

قصص الأنبياء

بحث يتكفل إثبات نبوة الأنبياء من آدم إلى الخاتم محمد صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين بنقل الحوادث التاريخية والبرهنة على صحة هذا
الاعتقاد النبوي

ميثم العقيلي

تمهيد

يقع الكلام في هذا البحث المستل من أبحاثنا في العقائد في استعراض
مهمات الحوادث والوقائع التاريخية الخاصة بنبوة كل نبي أو رسول أو عبد صالح
اختلف في نبوته على وجه يمكن أن يقع موضوعاً لبحثنا العقائدي هذا،
خصوصاً وأن الكثير من هذه الحوادث قد نالتها يد الكذب والتدليس والخرافة،

مع ملاحظة مدى الإهمال الواضح من قبل العلماء على تنقيح مثل هذه الحوادث إلا النزر القليل الواقع في رفع بعض الشبهات عن الأنبياء ﷺ في مواضع متفرقة، والحال أن مثل هذه المباحث التي قد روعي في أغلبها فراغاً واسعاً حالها حال أكثر الأحكام الشرعية الأمر الذي دعى السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس) تسميتها بمنطقة الفراغ، ولكنه كما ترى أنه فراغ شكلي لأن مضمونه يحتاج إلى تنقيح وتحقيق يقع على عاتق الباحثين والمفكرين فهو منطقة استنباط لا فراغ.

لذا فإننا سوف نعتمد بعد الله سبحانه وتعالى على النصوص القرآنية والأخبار الشريفة الواردة عن طريق أئمة أهل البيت ﷺ كأدلة أساسية في المقام كما هو في غيره، مع التعرض لبعض مواقع الخلاف ذات الصلة التاريخية العقائدية من جهة رفع الشبهات والإشكالات التي أثرت على الأنبياء ﷺ من خلال المرور بالمصادر التاريخية عند الفريقين عامة وما كتب في قصص الأنبياء على نحو خاص وبيان الحق في المسألة على أن تكون الروايات والحوادث الواردة عن طرق العامة كشواهد لا حجية لها إلا ما وافقت طرقنا المعتبرة بطبيعة الحال والمقال⁽¹⁾.

(1) من المصادر المؤلفة في تاريخ الأنبياء على وجه خاص من كتب العامة كتاب المبتدأ لابن إسحاق وكتاب ابن فرات الفارسي وكتاب وهب بن منبه وكتاب البداية والنهاية الجزء الخاص بقصص الأنبياء لابن كثير، ومن طرقنا كتاب الراوندي وكتاب بحار الأنوار الجزء الخاص بتاريخ الأنبياء وكتاب الجزائري. هذا مضافاً لكتب التاريخ بوجه عام كتاريخ الطبري

نبوة آدم □:

آدم □ كان أول الأنبياء الذين خلقهم الله سبحانه وخصه بأمانته ورسالاته وفي حياته □ عدة مواطن لا بد من التوقف عندها، ومنها:

الموطن الأول: كيفية خلقته:

إن ظاهر القرآن الكريم فيه دلالة على أن آدم □ لم يكن أول المخلوقات، فقبله كانت الأرض والسماء والملائكة والجن والماء والعرش والكرسي وغيرها من الحقائق، ولكن آدم □ كان أول المخلوقات البشرية على هيئة الإنسان، قال تعالى: [وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ

في تاريخ الأمم والملوك والمسعودي في مروج الذهب وابن الأثير في الكامل واليعقوبي. هذا مع أننا ابتدأنا بذكر أحوال وترجمة أغلب الأنبياء والصالحين الذين ورد ذكر حياتهم وقصصهم ابتداءً بنبينا وأبينا آدم وانتهاءً برسولنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مع أننا في كتاب طالب الخطابة قد ذكرنا شيئاً أكثر تفصيلاً مما مذكور هنا، بل أن المذكور هنا مقتطع من هناك مع مراعاة بعض التغييرات التي ألحقناها هنا بشيء من التقديم والتأخير تارة، وأخرى بالحذف والإضافة على وجه لا يقدح في تغيير بعض المباني الجوهرية، وعلى الله سبحانه التوكل ومنه نستمد الحول والقوة.

بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * [2].

وأما قول الملائكة فكان من باب الاستخبار والاستعلام لا من باب الاعتراض فإنه يدل على أن هناك خلقاً في الأرض قبل آدم □ قد أفسدوها وسفكوا الدماء بها، وهو الصحيح وكان هذا الخلق يسمى بـ (النسناس) أو (النناس) الذين أسكنهم مع الجن في أواسط الأرض مدة سبعة آلاف سنة قبل خلق آدم □، وأما في شرق الأرض وغربها فهناك خلق على خلاف الملائكة والجن والنسناس ليست لهم خاصية الطيران التي كانت موجودة عند الملائكة والجن والنسناس وإنما كانوا يدبون على الأرض كالهوام. ويدل عليه رواية جابر عن أبي جعفر □ قال : [سئل أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام هل كان في الأرض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم □ وذريته ؟ فقال : نعم قد كان في السماوات والأرض خلق من خلق الله يقدرسون الله، ويسبحونه،

ويعظمونه بالليل والنهار لا يفترون، وأنّ الله عزّ وجلّ لما خلق الأرضين خلقها قبل السّماوات. ثم خلق الملائكة روحانيّين لهم أجنحة يطّرون بها حيث يشاء الله، فأسكنهم فيما بين أطباق السّماوات يقدّسونه في الليل والنّهار، واصطفى منهم إسرافيل وميكائيل وجبرائيل. ثم خلق عزّ وجلّ في الأرض الجنّ روحانيين لهم أجنحة، فخلقهم دون خلق الملائكة، وحفظهم أن يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران وغير ذلك، فأسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السّبع وفوقهنّ يقدّسون الله اللّيل والنّهار لا يفترون. ثم خلق خلقاً دونهم، لهم أبدان وأرواح بغير أجنحة، يأكلون ويشربون نسناس أشباه خلقهم وليسوا بإنس، وأسكنهم أوساط الأرض على ظهر الأرض مع الجن يقدّسون الله اللّيل والنّهار لا يفترون]. قال : [وكان الجن تطير في السّماء، فتلقى الملائكة في السّماوات، فيسلمون عليهم ويزورونهم ويستريحون اليهم ويتعلّمون منهم الخير. ثمّ أنّ طائفة من الجن والنّسناس الّذين خلقهم الله واسكنهم أوساط الأرض مع الجن تمرّدوا وعتوا عن أمر الله، فمرحوا وبغوا في الأرض بغير الحقّ، وعلا بعضهم على بعض في العتوّ على الله تعالى، حتّى سفكوا الدماء فيما بينهم، وأظهروا الفساد، وجحدوا ربوبية الله تعالى. ثم خلق الله تعالى خلقاً على خلاف خلق الملائكة وعلى خلاف خلق الجن وعلى خلاف خلق النّاس يدبّون كما يدبّ الهوام في الأرض يشربون ويأكلون كما تأكل الأنعام من مراعي الأرض، كلّهم ذكران ليس فيهم أناث،

ولم يجعل الله فيهم شهوة النساء، ولا حبّ الأولاد، ولا الحرص، ولا طول الأمل، ولا لذة عيش.. قال : إنّ الله أحبّ أن يخلق خلقاً، وذلك بعد ما مضى من الجن والنّسناس سبعة آلاف سنة، فلمّا كان من خلق الله أن يخلق آدم للذي أراد من التدبير والتّقدير فيما هو مكوّن من السماوات والأرضين كشف عن أطباق السّماوات.. [3].

هذا وأنّ للملائكة قولاً آخر عندما أطلعهم الله سبحانه على ذنوب أهل الأرض، قال أمير المؤمنين [فاطلعت الملائكة ورأوا ما يعملون فيما من المعاصي وسفك الدّماء والفساد في الأرض بغير الحقّ، اعظموا ذلك وغضبوا لله، وأسفوا على أهل الأرض، ولم يملكوا غضبهم وقالوا : ربّنا أنت العزيز الجبار الظّاهر العظيم الشّأن وهؤلاء كلّهم خلقك الضّعيف الدّليل في أرضك، كلّهم ينقلبون في قبضتك، ويعيشون برزقك ويتمتّعون بعافيتك، وهم يعصونك بمثل هذه الذّنوب العظام لا تغضب ولا تنتقم منهم لنفسك بما تسمع منهم وترى وقد عظم ذلك علينا واكبرناه فيك . قال : فلمّا سمع الله تعالى مقالة الملائكة قال : إنّني جاعل في الأرض خليفة فيكون حجّتي على خلقي في الأرض، فقالت الملائكة : سبحانك ربّنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك ؟ فقال الله تعالى : يا ملائكتي إنّّي أعلم ما لا تعلمون أنّي أخلق خلقاً بيدي أجعلهم خلفائي على

(3) تفسير الراوندي 1:31.

خلقي في أرضي، ينهونهم عن معصيتي، وينذرونهم ويهدونهم إلى طاعتي، ويسلكون بهم طريق سبيلي، أجعلهم حجة لي عذراً ونذراً وأنفي الشياطين من أرضي وأطهرها منهم، فأسكنهم في الهواء من أقطار الأرض وفي الفيافي، فلا يراهم خلق، ولا يرون شخصهم، ولا يجالسونهم، ولا يخالطونهم، ولا يؤاكلونهم، ولا يشاربونهم، وأنقرّ مرّة الجنّ العصاة عن نسل برّتي وخلقي وخيرتي، فلا يجاورون خلقي، وأجعل بين خلقي وبين الجنّ حجاباً، فلا يرى خلقي شخص الجنّ، ولا يجالسونهم، ولا يشاربونهم، ولا يتجمعون تجمّعهم، ومن عصاني من نسل خلقي الذي عظّمته واصطفيته لغيب أسكنهم مساكن العصاة وأوردهم موردهم ولا أبالي . فقال الملائكة : لا علم لنا ألا ما علّمتنا أنّك أنت العليم الحكيم , فقال للملائكة: انيّ خالق بشراً من صلصال من حماء مسنون فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين...[.

وأما هذا الصلصال من حمأ مسنون فهو الطين أو التراب المأخوذ من أديم الأرض ومنه سمي آدم ؑ, حيث ورد في صحيحة الحلبي قول إمامنا الصادق ؑ: [إنّ القبضة التي قبضها الله تعالى من الطين الذين خلق آدم صلوات الله عليه منه أرسل الله إليها جبرئيل أن يأخذ منها إن شاء، فقالت الأرض : أعوذ بالله أن تأخذ مني شيئاً، فرجع فقال : يا ربّ تعوذت بك . فأرسل الله تعالى إليها إسرافيل وخيّرهُ، فقال مثل ذلك فرجع فأرسل الله إليها ميكائيل وخيّرهُ أيضاً، فقالت مثل ذلك، فرجع فأرسل الله إليها ملك الموت، فأمره

على الحتم، فتعوّذت بالله أن يأخذ منها، فقال ملك الموت : وأنا أعوذ بالله أن أرجع إليه حتى آخذ منك قبضة . وإنما سمّي آدم لأنّه أخذ من أديم الأرض . وقال : إنّ الله تعالى خلق آدم من الطين وخلق حوّا من آدم، فهّمه الرّجال الأرض وهمة النساء الرّجال . وقيل : أديم الأرض أدنى الأرض الرّابعة إلى اعتدال، لأنّه خلق وسط الملائكة .⁽⁴⁾ وفي رواية عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله عليه قال : [كانت الملائكة تمرّ بآدم صلوات الله عليه - أي بصورته - وهو ملقي في الجنّة من طين، فتقول : لأمر ما خلقت؟].

وبعد هذه المنزلة العظيمة لأبينا آدم ﷺ إثر تكريمه وأمر الملائكة بالسجود له واسكانه الجنة أراد الله سبحانه بيان العلة والحكمة في هذا التكريم وهو الذرية الطاهرة والمطهرة من صلبه وهم آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد روى أبو الصلت الهروي عن مولانا الإمام الرضا ﷺ قال : [إن آدم صلوات الله عليه لما أكرمه الله تعالى بإسجاده ملائكته له وبإدخاله الجنّة ناداه الله : أرفع رأسك يا آدم، فانظر إلى ساق عرشي، فنظر فوجد عليه مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، فقال آدم ﷺ : يا ربّ من هؤلاء ؟ قال عزّ وجلّ : هؤلاء ذريّتك، لولا هم ما خلقتك].

(4) بحار الأنوار (11 / 113)، برقم : (35) .

وكذا ورد في رواية أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمينة العرش فإذا خمسة أشباح، فقال : يا رب هل خلقت قبلي من البشر أحداً ؟ قال : لا قال : فمن هؤلاء الذين أرى أسماءهم ؟ فقال : هؤلاء خمسة من ولدك ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الجن ولا الإنس هؤلاء خمسة شققت لهم اسماً من أسمائي، فأنا المحمود وهذا محمد وأنا الأعلى وهذا علي وأنا الفاطر وهذه فاطمة وأنا ذو الأحسان وهذا الحسن وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت على نفسي أنه لا يأتيني أحد وفي قلبه مثقال حبة من خردل من محبة أحدهم إلا أدخلته جنّتي وآليت بعزّي أنه لا يأتيني أحد وفي قلبه مثقال حبة من خردل من بغض أحدهم إلا أدخلته ناري، يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي، بهم أنجي من أنجي وبهم أهلك من أهلك].⁽⁵⁾

وأما الأمر بالسجود لآدم ﷺ فهو سجد على الأرض بالمعنى المتعارف والمتعاهد ولكنه لم يكن لشخص آدم ﷺ وإنما طاعة لله سبحانه وتعالى وتحية لآدم ﷺ، كما كان سجد يعقوب ﷺ وأولاده ليوسف ﷺ، كما أن يوسف ﷺ سجد معهم بعد ذلك شكراً لله على اجتماعهم بعد ذلك الفراق الطويل بتفصيل آت.

(5) اثبات الهداة 1 / 614 رقم: 634. بحار الأنوار 27 / 6 رقم: 11.

وأما إبليس لعنه الله فهو كان من الجن بنص القرآن الكريم، قال جل جلاله:
 [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ
 عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ] ⁽⁶⁾. ولكن كان كثير العبادة وكانت الملائكة تراه أنه منها ولكن
 بعد اختباره بالسجود ظهر أنه من الجن، روى جميل بن دراج قال سألت أبا
 عبد الله عليه الصلاة والسلام أكان إبليس من الملائكة أم من الجن ؟ قال :
 [كانت الملائكة ترى أنه منها، وكان الله يعلم أنه ليس منها، فلما أمر
 بالسجود كان منه الذي كان]. وروى هشام بن سالم عن الصادق □ قال :
 [أمر إبليس بالسجود لآدم، فقال : يا ربّ وعزّتك إن أعفيتني من السجود
 لآدم □ لأعبدك عبادة ما عبدك أحد قطّ مثلها قال الله جلّ جلاله : إني
 أحبّ أن اطاع من حيث أريد . وقال : إنّ إبليس رن أربع رنات : أولاهم
 يوم لعن، ويوم أهبط إلى الارض، وحيث بعث محمّد □ على فترة من الرّسل،
 وحين أنزل أم الكتاب . ونخر نخرتين : حين أكل آدم من الشّجرة، وحين
 أهبط من الجنّة]. وقال □ في قوله تعالى : [فبدت لهما سوءاتهما] كانت
 سوءاتهما لا ترى، فصارت ترى بارزة، وليس كما روي في بعض الروايات
 الاسرائيليات أن عوراتهما قد ظهرت فإن هذا مضافاً لمخالفته للنصوص القطعية
 الدالة على أن لباسهما كان من أفضل اللباس واستره، قال عز وجل: [يَا بَنِي
 آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ]

(7). أنه مخالف للذوق والأدب والحشمة التي ينبغي أن يتزين بها الناس فكيف من هو أفضلهم وأكملهم. وقال : [الشجرة التي نعى عنها آدم صلوات الله عليه وهي السنبلة]. وفي رواية أخرى أنها شجرة العنب ولا تنافي بينهما، لأن شجرة الجنة تحمل الأنواع من الأكل، وكانت تلك الشجرة تحمل العنب والحنطة جميعاً. وورد في ذلك عن عبد السلام بن صالح الهروي قال : قلت للرضا □ : يا بن رسول الله □ أخبرنا عن الشجرة التي أكل منها آدم □ وحواء □ ما كانت ؟ فقد اختلف الناس فيها، فقال □ : [يا أبا الصلت إنما الشجرة بالجنة تحمل أنواعاً، فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب، وليست كشجرة الدنيا].

الموطن الثاني: نزول آدم إلى الأرض:

إن أبانا آدم □ عندما أمره الله سبحانه وتعالى بالهبوط إلى الأرض كان المكان الذي نزل فيه على جبل الصفا، كما كان نزول أمنا حواء □ على جبل المروة - وفي رواية أنه هبط في الهند - فبدأ آدم □ بأداء تكليفه الشرعي فكان من أمره أن بعث الله تعالى إليه بجبرئيل □ ليعلمه المناسك والأحكام الشرعية. فقد روى عبد الحميد بن أبي الدليل، عن أبي عبد الله الصادق □ قال : [هبط آدم صلوات الله عليه على الصفا، ولذلك سمي ((الصفا)) لأن المصطفى هبط عليه، قال تبارك وتعالى : (إن الله اصطفى آدم ونوحاً) وهبطت حواء □ على المروة، وإنما سميت ((المروة)) لأن المرأة هبطت عليها، وهما جبلان عن يمين

الكعبة وشمالها، فاعتزلها آدم ☐ حين فرّق بينهما، فكان يأتيها بالنهار فيتحدّث عندها فإذا كان الليل خشى أن تغلبه نفسه فيرجع فمكث بذلك ما شاء الله ثم أرسل إليه جبرئيل ☐ فقال : السّلام عليك يا آدم الصّابر لبلّيته إنّ الله تعالى بعثني إليك لأعلّمك المناسك التي يريد الله أن يتوب عليك بها فانطلق به جبرئيل فأخذ بيده حتّى أتى مكان البيت فنزل غمام من السّماء فقال له جبرئيل : يا آدم خطّ برجلك حيث أظّلك هذا الغمام فأنه قبلة لك ولاخر عقب من ذريتك فخطّ هناك آدم برجله فانطلق به إلى منى فأراه مسجد منى فخطّ برجله بعد ما خطّ موضع المسجد الحرام وبعد ما خطّ البيت ثم انطلق إلى عرفات فأقام على المعرف ثم أمره جبرئيل عند غروب الشّمس أن يقول : ربّنا ظلمنا أنفسنا، سبعاً ليكون سنّة في ولده يعترفون بذنوبهم هناك ثم أمره بالافاضة من عرفات ففعل آدم ☐ ذلك ثم انتهى إلى كمع فبات ليلته بها وجمع فيها الصّلاتين في وقت العتمة في ذلك الموضع إلى ثلث الليل وأمره إذا طلعت الشّمس أن يسأل الله تعالى التّوبة والمغفرة سبع مرّات لتكون سنّة في ولده فمن لم يدرك عرفات فأدرك جمعاً فقد أدرك حجّة وأفاض من جمع إلى منى ضحوة فأمره أن يقرب إلى الله سبحانه وتعالى قرباناً ليتقبل الله منه ويكون سنّة في ولده فقرب آدم قرباناً فتقبّل منه قربانه فأرسل الله ناراً من السّماء فقبضت قربان آدم فقال له جبرئيل : يا آدم إنّ الله تعالى قد أحسن إليك أن علّمك المناسك فأحلق

رأسك تواضعاً لله إذ قرّب قربانك فخلق آدم صلوات الله عليه رأسه ثم أخذ جبرئيل □ بيد آدم لينطلق به إلى البيت فعرض له إبليس عند الجمرة فقال : يا آدم أين تريد فقال جبرئيل : يا آدم ارمه بسبع حصيات ففعل آدم □ فقال جبرئيل : إنك لن تراه بعد مقامك هذا أبداً ثم انطلق به إلى البيت فأمره أن يطوف بالبيت سبع مرّات ففعل ذلك آدم □ فقال جبرئيل : حلّت لك زوجتك⁽⁸⁾.

وبعدها عكف آدم □ على البكاء لما اقترفه من ذنب كان يراه بينه وبين ربه عظيماً وثقيلاً لما فيه من البعد والفراق عن تلك الأجواء القدسية والنفحات الإيمانية، ولكن الله تعالى قد غفر له ذلك لعلمه سبحانه بعصمته وطهارته ولكن الحكمة والتدبير الإلهيين اقتضى ذلك فأرسل إليه جبرئيل □ مبشراً، عن عبد الرحمن بن سيابة عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال : [لما طاف آدم صلوات الله عليه بالبيت مائة عام ما ينظر إلى حوّا ولقد بكى على الجنة حتى صار على خديه مثل التهرين العظيمين من الدّموع ثم أتاه جبرئيل □ فقال : حيّاك الله وبيّاك فلما أن قال : حيّاك الله تبلّج وجهه فرحاً ولما قال : وبيّاك، ضحك . قال : ولقد قام على باب الكعبة وثيابه جلود الإبل والبقر فقال : ألّهم أقلني عثرتي وأعدني إلى الدّار الّتي أخرجتني منها فقال الله جلّ

(8) بحار الأنوار 11:169.

ثناؤه : قد أقلتكَ عثرتك وسأعيدك إلى الدّار الّتي أخرجتك منها⁽⁹⁾. وفي الروايات الصحيحة أن آدم ﷺ قد سأل ربه تعالى بحق محمد وآل محمد عليه وآله السلام أن يتوب عليه فتاب عليه, قال الحسن بن علي الخزاز: [يا ربّ بحق محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ، فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم وما علمك بمحمّد ؟ فقال حين خلفني رفعت رأسي، فرأيتُ في العرش مكتوباً : محمد رسول الله عليّ أمير المؤمنين].

وأما صفة جسمه وكيفية معيشته فقد جاء في الأخبار ما يبين ذلك, فعن مقاتل بن سليمان قال : قلت لأبي عبد الله صلوات الله عليه : كم كان طول آدم صلوات الله عليه حين أهبط إلى الأرض ؟ وكم كان طول حوّا ؟ فقال : [وجدنا في كتاب عليّ عليه الصّلاة والسلام أن الله تعالى لما أهبط آدم صلوات الله عليه وزوجته ﷺ إلى الأرض كان رجلاه على ثنية الصّفا ورأسه دون أفق السّماء وأنّه شكّا إلى الله تعالى ممّا يصبه من حرّ الشّمس فصيرّ طوله سبعين ذراعاً بذراعه وجعل طول حوّا خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعتها]. وعن عامر عن أبي جعفر صلوات الله عليه قال : [قال رسول الله ﷺ : إنّ الله عزّ وجلّ حين أهبط آدم صلوات الله عليه من الجنّة أمره أن يحرث بيده، فيأكل من كدّها بعد نعيم الجنّة، فجعل يجار ويكي على الجنّة مائتي سنة، ثمّ إنّّه سجد لله سجدة، فلم يرفع رأسه ثلاثة أيام ولياليها].

(9) نفس المصدر ص176.

الموطن الثالث: ذرية آدم □:

إن مسألة بدأ الذرية والتناسل من آدم وحواء H قد شابتها الطعون والأقاويل باعتبار ما رواه من ان بدء التناسل كان من الأخوة والأخوات، وكقبلها قالوا إن الله خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى؟! وكان موقف أمتنا □ من هذا إلا ردع هذه الأباطيل والأكاذيب التي سطرها أيادي المنحرفين من اليهود والنصارى والمجوس وبعض من يدعي العلم. والحال أن خلق حواء كان مثل خلق آدم □ بالإبداع والنشأة الجديدة. وفيه يقول إمامنا الصادق □: [سبحان الله إن الله لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجته من غير ضلعه ؟ ولا يكون لمتكلم أن يقول : ان آدم كان ينكح بعضه بعضاً؟]. ثم قال : [إن الله تعالى لما خلق آدم وأمر الملائكة فسجدوا ألقى عليه السَّبات، ثم ابتدع له خلق حواء، ثم جعلها في موضع النقرة التي بين وركيه، وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل، فاقبلت تتحرك فانتبه لتحركها، فلما انتبه تودي أن تنحى عنه، فلما نظر إليها نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير أنها أنثى، فكلمها وكلمته بلغته، فقال لها من أنت ؟ فقال : أنا خلق خلقتني الله تعالى كما ترى . فقال آدم عند ذلك : يا رب ما هذا الخلق الحسن الذي قد أنسني قربه والنظر اليه ؟ فقال الله تعالى : يا آدم هذه أمتي حواء، أفتحب أن تكون معك فتؤنسك وتحادثك وتكون تابة لأمرك ؟ فقال : نعم يا رب لك عليّ بذلك الحمد والشكر ما بقيت . قال : فاخطبها إليّ فأثما أمتي وقد

تصلح لك زوجة للشهوة، والقي الله عليه الشهوة، وقد علمه قبل ذلك المعرفة بكل شيء فقال : يا ربِّ إني أخطبها اليك فما رضاك لذلك لي ؟ فقال : مرضاتي أن تعلمها معالم ديني، فقال : ذلك لك يا ربِّ إن شئت ذلك لي، فقال : فقد شئت ذلك وقد زوجتكها فضمتها إليك، فقال لها آدم : إني فاقبلي، فقال : بل أنت . فأمر الله آدم أن يقوم إليها فقام، ولولا ذلك لكنّ النساء يذهبن إلى الرجال].

كما أن زواج أبناء آدم □ - شيث وياقث - كان من حوريات الجنة - نزلة ومنزلة - فالصحيح في ذلك ما رواه زرارة : سئل أبو عبدالله □ عن بدء النسل من آدم صلوات الله عليه كيف كان ؟ وعن بدء النسل من ذرية آدم، فإن أناساً عندنا يقولون : إنّ الله تعالى أوحى إلى آدم أن يزوّج بناته من بنيّه، وأنّ هذا الخلق كلّهم أصله من الأخوة والأخوات فمنع ذلك أبو عبد الله عليه الصّلاة والسّلام عن ذلك، وقال : [نبئت أنّ بعض البهائم تنكرت له أخته، فلمّا نزا عليها ونزل ثمّ علم أنّها أخته قبض على عزموله بأسنانه حتّى قطعه فخرّ ميتاً، وآخر تنكرت له أمّه ففعل هذا بعينه، فكيف بالإنسان في فضله وعلمه، غير أن جيلاً من هذه الأمة الذين يرون أنّهم رغبوا عن علم أهل بيوتات أنبيائهم، فأخذوه من حيث لم يؤمروا بأخذه، فصاروا إلى ما يرون من الضّلال.. فقال : إنّ آدم صلوات الله عليه ولد له سبعون بطناً، فلمّا قتل قابيل هابيل جزع جزعاً قطعه عن إتيان النساء، فبقي لا يستطيع أن يغشى

حوّا خمسمائة سنة، ثم وهب الله له شيئاً وهو هبة الله، وهو أول وصي أوصي إليه من بني آدم في الأرض، ثم وراه بعده يافث، فلما أدركا وأراد الله أن يبلغ بالنسل ما ترون أنزل بعد العصر يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها نزلة، فأمر الله أن يزوجهما من شيث ثم أنزل الله بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها منزلة، فأمر الله آدم أن يزوجهما من يافث فزوجهما منه، فولد لشيث غلام وليافث جارية، فأمر الله آدم □ حين أدركا أن يزوجهما بنت يافث من ابن شيث، ففعل فولد الصّفوة من التّبيين والمرسلين من نسلهما ومعاذ الله أن يكون ذلك ما قالوه من الإخوة والأخوات ومناكحهما].

وأما قضية قتل قابيل لأخيه هابيل فكانت من أجل القربان الذي قدماه بين يدي الله سبحانه، قال تعالى ذكره: [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِإِذْنِ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ] (10). وفي الأخبار أن القربان من طرف هابيل

كان كبشاً لأنه كان راعي غنم، وأما قاييل فكان الزوان كونه يعمل بالزراعة، روى عبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال : [كان هايبيل راعي الغنم وكان قاييل حرّاثاً فلما بلغا قال لهما آدم ﷺ : إني أحب أن تقرّبا إلى الله قرباناً لعلّ الله يتقبّل منكما، فانطلق هايبيل إلى أفضل كبش في غنمه، فقربه التماساً لوجه الله ومرضاة أبيه، فأما قاييل فإنه قرب الزوان الذي يبقى في البيدر الذي لا تستطيع البقر أن تدوسه، فقرب ضغثاً منه لا يريد به وجه الله تعالى ولا رضى أبيه، فقبل الله قربان هايبيل وردّ على قاييل قربانه . فقال إبليس لقاييل : إنّه يكون لهذا عقب يفتخرون على عقبك بأن قبل قربان أبيهم، فاقتله حتى لا يكون له عقب، فقتله فبعث الله تعالى جبرئيل فأجّنه، فقال قاييل : يا ويلي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب يعني به مثل هذا الغريب الذي لا أعرفه جاء ودفن أخي ولم أهتد لذلك، ونودي قاييل من السماء لعنت لما قتلت أخاك، وبكى آدم ﷺ على هايبيل أربعين يوماً وليلاً].

وأما قضية نبوة هبة الله شيث من بعد آدم ﷺ فكانت بعد مقتل هايبيل، وذلك لما دخل في قلب آدم ﷺ من حزن شديد فأراد الله سبحانه أن يستخلفه بولد يكون نبياً من بعده وكان في ذلك الوقت أن حضرت وفاة آدم ﷺ، وفيه روى علي بن أبي حمزة، عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال : [إن ابن آدم حين قتل أخاه قتل شرهما خيرهما، فوهب الله تعالى لآدم ولداً، فسماه

هبة الله وكان وصيّه، فلمّا حضرت آدم صلوات الله عليه وفاته، قال : يا هبة الله قال : لبيك قال : انطلق إلى جبرئيل فقل : إنّ أبي آدم يقرؤك السلام ويستطعمك من طعام الجنّة وقد اشتاق إلى ذلك، فخرج هبة الله، فاستقبله جبرئيل □، فأبلغه ما أرسله به أبوه اليه، فقال له جبرئيل □ : رحم الله أباك فرجع هبة الله وقد قبض الله تعالى آدم □، فخرج به هبة الله وصلى عليه، وكبرّ عليه خمساً وسبعين تكبيرة سبعين لآدم وخمساً لأولاده من بعده].

هذا وقد أوصى آدم بوصيته لابنه هبة الله □ بعد أن جمع بنيه رجالاً ونساءً وأخذ عليهم السمع والطاعة على أن يسير بهم بطاعة الله عز وجل وتبليغ شريعته، وأخبره بأن يعهد بالنبوة لمن بعده بخير ولده بأمر الله تعالى، فقد جاء عن مولانا الإمام الباقر □ أن آدم □ قال لولده: [يا ولدي أنّ الله أوحى إليّ : إنّني متوفيك وأمري أن أوصي إلى خير ولدي وأنّه هبة الله، وأنّ الله اختاره لي ولكن من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا أمره، فإنّه وصيّتي وخليفتي عليكم، فقالوا جميعاً : نسمع له ونطيع أمره ولا نخالفه].

وأما الأنبياء الذين جاؤوا من بعد هبة الله □ فيقول فيهم مولانا الباقر □ عندما حضرت الوفاة هبة الله: [فلمّا حضرته وفاته أوصى إلى ابنه قينان وسلّم إليه التّابوت، فقام قينان في إخوته وولد أبيه بطاعة الله تعالى وتقدّس، فلمّا حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه يزد وسلّم إليه التّابوت وجميع ما فيه، وتقدّم إليه في نبوة نوح صلوات الله عليه، فلمّا حضرت وفاة يزد أوصى إلى ابنه

أخنوخ — وهو ادريس — وسلم اليه التابوت وجميع ما فيه والوصية، فقام أخنوخ به، فلما قرب أدله أوحى الله تعالى اليه اني رافعك إلى السماء فأوصى إلى ابنك خرقاسيل، ففعل، فقام خرقاسيل بوصية أخنوخ، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه نوح وسلم اليه التابوت، فلم يزل التابوت عند نوح حتى حمّله معه في سفينته، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه سام وسلم إليه التابوت وجميع ما فيه. [(11)].

أقول: إن هذا التابوت فيه مواريث آدم □، ومواريث من بعده من الأنبياء يتوارثونه فيما بينهم وبين أوصيائهم كابراً عن كابر، وهو الذي نزل على أم موسى □ يوم ولادته ووضعته في البحر فكان بنو إسرائيل يتبركون به، فلما حضرت موسى □ الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوة وأودعه يوشع وصيه، فلم يزل التابوت بينهم حتى استخف بنو إسرائيل به وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات فلم يزل بنو إسرائيل في عز وشرف ما دام التابوت عندهم فلما عملوا بالمعاصي واستخفوا بالتابوت رفعه الله تعالى منهم، وقد رده عليهم في زمن ملك طالوت عندما سألوا نبيهم على تفصيل آت في نبوة داود □.

(11) نفس المصدر السابق 265.

نبوة إدريس □:

أخنوخ بن يزد بن قينان بن هبة الله شيث بن آدم □, وأما تسميته بإدريس فقليل لكثرة ما يدرس من كلام الله سبحانه, وهو أول من خط بالقلم وكان خياطاً وأول من خاط الثياب وقيل إن الله سبحانه علمه علم النجوم والحساب وعلم الهيئة و ان ذلك معجزة له. وكانت له مواقف ومعاجز مع جبابة عصره وأهل الكفر في زمانه من ولد قاييل, مع ذكر عبادته ومنزله في السهلة ورفعته مكاناً علياً, كما قال جل جلاله: [وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً * وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً] (12).

أما قصته مع الجبابة فلقد روى عن إبراهيم بن أبي البلاد عن أبيه عن أبي جعفر صلوات الله عليه قال : [كان نبوة إدريس □ أنه كان في زمنه ملك جبّار وأنه ركب ذات يوم في بعض نزهة، فمرّ بأرض خضرة نضرة لعبد مؤمن فأعجبته، فسأل وزرائه لمن هذه ؟ فقالوا : لفلان، فدعا به، فقال له : أمتعني بأرضك هذه، فقال : عيالي أحوج إليها منك، فغضب الملك وانصرف إلى أهله . وكانت له امرأة من الأزارقة يشاورها في الأمر إذا نزل به، فخرجت إليه فرأت في وجهه الغضب، فقالت : أيها الملك اتّما يغتم ويأسف من لا يقدر على التّغيير، فان كنت تكره أن تقتله بغير حجة، فأنا

أَكْفِيكَ أَمْرَهُ وَأَصِيرَ أَرْضَهُ بِيَدِكَ بِحُجَّةٍ لَكَ فِيهَا الْعِذْرُ عِنْدَ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ،
فَقَالَ : مَا هِيَ ؟ قَالَتْ : أُبْعَثُ أَقْوَاماً مِنْ أَصْحَابِي الْأَزَارِقَةِ حَتَّى يَأْتَوْكَ بِهِ،
فَيَشْهَدُونَ لَكَ عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَنَّهُ قَدْ بَرِئَ مِنْ دِينِكُمْ، فَيَجُوزُ لَكَ قَتْلُهُ وَأَخْذُ
أَرْضِهِ، قَالَ : فَافْعَلِي وَكَانَ أَهْلُهَا يَرُونَ قَتْلَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَمَرْتَهُمْ بِذَلِكَ، فَشَهِدُوا
عَلَيْهِ أَنَّهُ بَرِئَ مِنْ دِينِ الْمَلِكِ، فَقَتَلَهُ وَاسْتَخْلَصَ أَرْضَهُ . فَغَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى
لِلْمُؤْمِنِ فَأَوْحَى إِلَى إِدْرِيسَ □ أَنْ أَنْتَ عَبْدِي الْجَبَّارُ فَقُلْ لَهُ : أَمَا رَضِيتَ أَنْ
قَتَلْتُ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ ظُلماً حَتَّى اسْتَخْلَصْتُ أَرْضَهُ، فَأُحَوِّجْتُ عِيَالَهُ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَجَعْتُهُمْ، أَمَا وَعِزَّتِي لِأَنْتَقِمَنَّ لَهُ مِنْكَ فِي الْآجِلِ، وَلَأَسْلِبَنَّكَ مَمْلَكَتَكَ فِي
الْعَاجِلِ، وَلَأَطْعَمَنَّ الْكِلَابَ وَلَحْمَكَ، فَقَدْ غَرَّكَ حُلْمِي، فَأَتَاهُ إِدْرِيسُ □
بِرِسَالَةِ رَبِّهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ أَصْحَابُهُ . فَقَالَ الْجَبَّارُ : أَخْرَجَ عَنِّي يَا
إِدْرِيسُ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَمْرَاتِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ إِدْرِيسُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ : لَا
تَهْوِلَنَّ رِسَالَةَ إِدْرِيسَ أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْهِ مِنْ يَاقْتُلُهُ وَأَكْفِيكَ أَمْرَهُ، وَكَانَ لِإِدْرِيسَ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَصْحَابُ مُؤْمِنُونَ يَأْنِسُونَ بِهِ وَيَأْنِسُ بِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ يُوْحَى
اللَّهُ وَرِسَالَتَهُ (4) إِلَى الْجَبَّارِ، فَخَافُوا عَلَى إِدْرِيسَ مِنْهُ . ثُمَّ بَعَثَتْ امْرَأَةُ الْجَبَّارِ
أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنَ الزَّارِقَةِ لِيَقْتُلُوا إِدْرِيسَ، فَأَتَوْهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ فِي مَجْلِسِهِ، فَانْصَرَفُوا
وَرَأَوْهُمْ أَصْحَابُ إِدْرِيسَ، فَأَحْسَسُوا بِأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ قَتْلَ إِدْرِيسَ □، فَتَفَرَّقُوا فِي
طَلَبِهِ وَقَالُوا لَهُ : خُذْ حَذْرَكَ يَا إِدْرِيسُ، فَتَنْتَحِيَ عَنِ الْقَرْيَةِ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ
وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ نَاجَى رَبَّهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ

تنح عنه وخلني وإياه . قال إدريس صلوات الله عليه : أسألك أن لا تمطر السماء على أهل هذه القرية، وإن خرجت وجهدوا وجاعوا . قال الله تعالى : إني قد أعطيتك ما سألته، فأخبر إدريس أصحابه بما سأل الله من حبس المطر عليهم وعنهم، وقال : اخرجوا من هذه القرية إلى غيرها من القرى، فتفرقوا وشاع الخبر بما سأل إدريس ﷻ ربه . وتنحى إدريس إلى كهف في جبل شاهق، ووكل الله تعالى ملكاً يأتيه بالطعام عند كل مساء، وكان يصوم النهار، وظهر في المدينة جبار آخر، فسلب ملكه وقتله وأطعم الكلاب لحمه ولحم امرأته، فمكثوا بعد إدريس عشرين سنة لم تمطر السماء عليهم مطرة، فلما جهدوا ومشى بعضهم إلى بعض . فقالوا : إن الذي نزل بنا مما ترون بسؤال إدريس ﷻ ربه، وقد تنحى عنا ولا علم لنا بموضعه، والله أرحم بنا منه، فأجمعوا أمرهم على أن يتوبوا إلى الله تعالى، فقاموا على الرماد، ولبسوا المسوح، وحثوا على رؤوسهم التراب، وعجوا إلى الله بالتوبة والاستغفار والبكاء والتضرع إليه . فأوحى الله تعالى إلى الملك الذي يأتي إدريس ﷻ بطعامه : أن أحبس طعامه عنه، فجاع إدريس ﷻ ليلة، فلما كان في ليلة اليوم الثاني لم يؤت بطعامه قل صبره وكذلك الليلة الثالثة، فنادى يا رب حبست عني رزقي من قبل أن تقبض روحي . فأوحى الله إليه اهبط من موضعك، واطلب المعاش لنفسك، فهبط إلى قرية فلما دخلها نظر إلى دخان بعض منازلها، فأقبل نحوه فهجم على عجوز كبيرة وهي ترفق قرصين

لها على مقلاة فقال : بيعي مَنّي هذا الطعام، فحلفت أنّها ما تملك شيئاً غيرهما واحد لي وواحد لإبني، فقال : إنّ ابنك صغير يكفيه نصف قرصة فيحیی به ويجزيني النصف الآخر، فأكلت المرأة قرصها، وكسرت القرص الآخر بين إدريس وبين ابنها، فلمّا رأى ابنها إدريس يأكل من قرصته اضطرب حتّى مات، فقالت يا عبدالله : قتلت ابني جزءاً على قوته، فقال لها إدريس □ : أحییه باذن الله ولا تجزعي . ثم أخذ إدريس بعضد الصبي وقال : أيتها الرّوح الخارجة عن هذا الغلام ارجعي إليه وإلى بدنه باذن الله تعالى، أنا إدريس النبيّ، فرجعت روح الغلام إليه، فقالت أشهد أنك إدريس النبيّ، وخرجت ونادت في القرية بأعلى صوتها : إبشروا بالفرج قد دخل إدريس □ قريبتكم . ومضى إدريس حتّى جلس على موضع مدينة الجبار الأول وهي تلّ، فاجتمع إليه الناس من أهل قريته، فقالوا مسّنا الجوع والجهد في هذه العشرين سنة، فادع الله تعالى لنا أن يمطر علينا، قال إدريس □ : لا أدعوا حتّى يأتيني جباركم وجميع أهل قريتكم مشاة حفاة، فبلغ الجبار قوله، فبعث إليه أربعين رجلاً يأتوه بادريس، فأتوه وعنفوا به، فدعا عليهم فماتوا، فبلغ الجبار الخبر، فبعث إليه خمسمائة رجل، فقالوا له : يا إدريس إنّ الملك بعثنا إليك لنذهب بك إليه، فقال لهم إدريس □ : انظروا إلى مصارع أصحابكم قالوا : متنا بالجوع فارحم وادع الله أن يمطر علينا فقال : حتّى يأتي الجبار . ثم إنهم سألوا الجبار أن يمضي معهم، فأتوه وقفوا بين يديه

خاضعين، فقال إدريس □ : الآن، فنعم . فسأل الله أن يمطر عليهم فاضلتهم سحابة من السماء، فارعدت وأبرقت وهطلت عليهم⁽¹³⁾.

وأما قصته مع عباد الأصنام فقد كان من ذرية قابيل أولاد خمسة: (ود، سواع، يعوث، يعوق، نسر). الذين ذكروا في القرآن الكريم في سورة نوح، قال سبحانه: [وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا]⁽¹⁴⁾. فكان أن إبليس قد استغل رئاسة هؤلاء في قومهم فأضلهم على عبادتهم على شكل تماثيل وصور قد صورها لهم فلما بلغ خبرهم إدريس □ قاتلهم وشردهم في البلاد إلى أن ظهر عليهم نوح □ ودعاهم إلى التوحيد فأبوا عليه ذلك أيضاً، حيث جاء في رواية يزيد بن معاوية، قال : سمعت أبا جعفر □ يقول في مسجد النبي □ : [إنَّ إبليس اللعين هو أوَّل من صوَّر صورةً على مثال آدم □ ليفتن به النَّاس ويضلِّهم عن عبادة الله تعالى، وكان ودّ في ولد قابيل، وكان خليفة قابيل على ولده وعلى من بحضرتهم في سفح الجبل يعظّمونه ويسوّدونه، فلمّا أن مات ودّ جزع عليه اخوته وخلف عليهم ابناً يقال له : سواع فلم يغن غنا أبيه منهم، فأتاهم إبليس في صورة شيخ فقال : قد بلغني ما أصبتم به من موت ودّ وعظيمكم فهل لكم في أن أصوّر لكم على مثال ودّ صورةً تستريحون إليها وتأنسون بها ؟ قالوا : افعل، فعمد

(13) البحار 11 / 271.

(14) نوح:33.

الخبث إلى الآنك فإذا به حتى صار مثل الماء . ثم صوّر لهم صورةً مثال ودّ في بيته، فتدافعوا على الصّورة يلثمونها ويضعون خدودهم عليها ويسجدون لها، وأحبّ سواع أن يكون التعظيم والسّجود له، فوثب على صورة ودّ، فحكّها حتى لم يدع منها شيئاً وهمّوا بقتل سواع، فوعظهم وقال : أنا أقوم لكم بما كان يقوم به ودّ، وأنا ابنه، فان قتلتموني لم يكن لكم رئيس، فمالوا إلى سواع بالطّاعة والتّعظيم . فلم يلبث سواع أن مات وخلف ابناً يقال له : يغوث فجزعوا على سواع فأتاهم إبليس وقال : أنا الذي صوّرت لكم صورة ودّ، فهل لكم أن أجعل لكم مثال سواع . على وجه لا يستطيع أحد أن يغيّره قال : فافعل، فعمد إلى عود فنجره ونصبه لهم في منزل سواع، وإمّا سمّي ذلك العود خلافاً، لأنّ إبليس عمل صورة سواع على خلاف صورة ودّ قال : فسجدوا له وعظّموه وقالوا ليغوث : ما نأمنك على هذا الصّنم أن تكيده كما كاد أبوك مثال ودّ، فوضعوا على البيت حرّاساً وحجاباً، ثم كانوا يأتون الصّنم في يوم واحد ويعظّمونه أشدّ ما كانوا يعظّمون سواعاً، فلمّا رأى ذلك يغوث قتل الحرسة والحجاب ليلاً وجعل الصّنم رميماً، فلما بلغهم ذلك أقبلوا ليقتلوه فتوارى منهم إلى أن طلبوه ورأسوه وعظّموه . ثمّ مات وخلف ابناً يقال له : يعوق فأتاهم إبليس، فقال : قد بلغني موت يغوث وأنا جاعل لكم مثاله في شيء لا يقدر أحد أن يغيّره قالوا : فافعل، فعمد الخبيث إلى حجر جرع أبيض، فنقره بالحديد حتى صوّر لهم مثال يغوث،

فعظّموه أشدّ ما مضى، وبنوا عليه بيتاً من حجر، وتبايعوا أن لا يفتحوا باب ذلك البيت إلّا في رأس كلّ سنة، وسُمّيَت البيعة يومئذ، لأنّهم تبايعوا وتعاقدوا عليه، فاشتدّ ذلك على يعوق، فعمد إلى ربطة وخلق فألقاها في الحاير ثمّ رماها بالنّار ليلاً، فأصبح القوم وقد احترق البيت والصّنم والحرس وأرغض الصّنم ملقى، فجزعوا وهمّوا بقتل يعوق، فقال لهم : إن قتلتم رئيسكم فسدت أموركم فكفّوا . فلم يلبث أن مات يعوق، خلف ابناً يقال له : نسرّاً، فأتاهم إبليس فقال : بلغني موت عظيمكم، فأنا جاعا لكم مثال يعوق في شيء لا يبلى، فقالوا : افعَلْ فعمد إلى الدّهب وأوقد عليه النّار حتّى صار كاملاً، وعمل مثلاً من الطّين عِلْصورة يعوق، ثم أفرغ الدّهب فيه، ثمّ نصبه لهم في ديرهم، واشتدّ ذلك على نسر ولم يقدر على دخول تلك الدّير، فانحاز عنهم في فرقة قليلة من اخوته يعبدون نسرّاً، والآخرى يعبدون الصّنم . حتّى مات نسر وظهرت نبوة إدريس، فبلغه حال القوم وأنّهم يعبدون جسماً على مثال يعوق وأنّ نسرّاً كان يعبد من دون الله، فصار اليهم بمن معه حتّى نزل مدينة تشر وهم فيها، فهزّمهم وقتل من قتل وهرب من هرب، فتنفّروا في البلاد، أمروا بالصّنم فحمل وألقي في البحر، فاتخذت كلّ فرقة منهم صنماً وسمّوها بأسمائهم، فلم يزلوا بعد ذلك قرناً بعد قرن لا يعرفون إلّا تلك الاسماء . ثمّ ظهرت نبوة نوح □، فدعاهم إلى عبادة

الله وحده وترك ما كانوا يعبدون من الأصنام، فقال بعضهم : (لا تذرَنَّ آلهتكم ولا تذرَنَّ وُدّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً). [(15)].

وأما ما يخص عبادته فكان يسيح النهار ويصومه، ويبيت حيث ما جنه الليل، ويأتيه رزقه حيث ما أفطر، وكان يصعد له من العمل الصالح مثل ما يصعد لأهل الأرض كلّهم، وكان لمسكنه فضل كثير وهو مسجد السهلة إذ كان مسكناً لكثير من الأنبياء الصالحين □، فعن عمار اليقظان قال : كان عند أبي عب دالله صلوات الله عليه جماعة وفيهم رجل يقال له : أبان بن نعمان فقال : [أيكم له علم بعَمِّي زيد بن عليّ صلوات الله عليه؟]. فقال : أنا أصلحك الله قال : وما علمك به قال : كنّا عنده ليلة : فقال هل لكم في مسجد سهلة ؟ فخرجنا معه إليه، فوجدنا معه إجتهداً كما قال . فقال أبو عبد الله صلوات الله عليه : [كان بيت إبراهيم صلوات الله عليه الذي خرج منه إلى العمالقّة، وكان بيت إدريس □ الذي كان يخيّط فيه، وفيه صخرة خضراء فيها صورة وجوه النّبيين، وفيه مناخ الرّاكب - يعني : الخضر □] - ثم قال : [لو أنّ عمي أتاه حين خرج فصلّى فيه واستجار بالله لأجاره عشرين سنة ؛ وما أتاه مكروب قط، فصلّى فيه ما بين العشاءين ودعا الله إلا فرج الله عنه .] [(16)].

وورد عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر صلوات الله عليه قال : قال

(15) بحار الأنوار 3 / 250 . 252 رقم 8.

(16) بحار الأنوار 100 / 434 .

رسول الله ﷺ : [إنّ ملكاً من الملائكة كانت له منزلة، فأهبط الله تعالى من السماء إلى الأرض، فأتى إدريس النبي ﷺ، فقال له : اشفع لي عند ربك، قال : فصلى ثلاث ليال لا يفتر وصام أيامها لا يفطر . ثم طلب إلى الله تعالى في السحر للملك، فأذن له في الصعود إلى السماء، فقال له الملك : أحبّ أن اكافيك، فاطلب إليّ حاجة، فقال : تربني ملك الموت لعلّي آنس به، فإنه ليس يهتني مع ذكره شيء فبسط جناحيه . ثم قال له : اركب فصعد به، فطلب ملك الموت في سماء الدنيا، فقبل له : إنه قد صعد فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة، فقال الملك الملك الموت : ما لي أراك قاطباً ؟ قال : أتعجب أنّي كنت تحت ظلّ العرش حتّى أومر أن أقبض روح إدريس بين السماء الرابعة والخامسة، فسمع إدريس ذلك، فانتفض من جناح الملك، وقبض ملك الموت روحه مكانه .].

نبوة نوح □:

نوح بن متوشلخ بن أخنوخ - إدريس - بن يزد بن قينان بن هبة الله شيث بن آدم □. ووفي رواية أن اسمه عبد الجبار وإنما سمي نوحاً لأنه كان ينوح على نفسه. وفي أخرى لأنه بكى خمسمائة سنة وكان اسمه عبد الأعلى. وفي ثالثة: عبد الملك. ولا يعد تسميته بهذه الأسماء كلها. وكانت مهنته النجارة ومن صفاته أنه دقيق الوجه، في رأسه طول، عظيم العينين، دقيق الساقين، كثير لحم الفخذين، ضخمة السرة، طويل اللحية عريضاً طويلاً جسيماً، وكان في غضبه وانتهاره شدة، فبعثه الله سبحانه وهو ابن ثمانمائة وخمسين سنة، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى، فلا يزدادون إلا طغياناً، قال عز وجل: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ] ⁽¹⁷⁾. وقال عز شأنه: [إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا * يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبِلاً وَهَمَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا

أَصَابِعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (18).

أما ما يخص عمره الطويل هذا فقد ورد أنه عمر ألفين وخمسمائة سنة منها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن يبعث وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ومائتا سنة في عمل السفينة وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة. قال السيد عبد العظيم بن عبد الله الحسيني: سمعت عليّ بن محمد العسكري صلوات الله عليهما يقول: [عاش نوح صلوات الله عليه ألفين وخمسمائة سنة، وكان يوماً في السفينة نائماً فضحك حام ويافث فزجرهما سام ونهماها عن الضحك فانتبه نوح صلوات الله عليه. وقال لهما: جعل الله ذريتكما خولاً لذرية سام إلى يوم القيامة، لأنه برّني وعققتما، فلا زالت سمة عقوقكما في ذريتكما ظاهرة وسمة البرّ في ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا، فجميع السودان حيث كانوا من ولد حام، وجميع الترك والسقالية وأجوج ومأجوج والصّين من يافث حيث كانوا، وجميع البيض سواهم من ولد سام..] (19).

(18) نوح: 1-7.

(19) بحار الأنوار 11 / 287. 288 رقم : 10.

أقول: الظاهر أن لنوح □ خمسة أولاد؛ (سام، حام، يافث، كنعان، عابر)، فالأول هو النبي المنصوص عليه بعد أبيه، والرابع الذي مات في الغرق وقد عصا والده والأخير مات قبل الغرق. ثم أن الثلاثة قد ولد كل منهم ولد، فولد سام: العرب وفارس والروم. وولد يافث: الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج. وولد حام: القبط والسودان والبربر. وقد ذكر ابن كثير في قصصه تبعا لتاريخ الطبري أن حاماً واقع امرأته في السفينة، فدعا عليه نوح أن تشوه خلقه نطفته، فولد له ولد أسود وهو كنعان بن حام جد السودان. وقيل بل رأى أباه نائماً وقد بدت عورته فلم يسترها وسترها أخواه، فلهذا دعا عليه أن تغير نطفته، وأن يكون أولاده عبيداً لإخوته. وهذا كما ترى من الخرافات والأساطير الكاذبة، لأن التغير في لون البشر من آياته تعالى وتقدس الذاتية التي لا تقبل التعليل سوى أنها صادرة منه وبلطفه ومنه الجليل⁽²⁰⁾.

وأما ما يخص تكذيب قومه له فقد كانوا يضربونه ضرباً حتى يغشى عليه وتسيل مسامعه دماً كثيراً فيحملونه ويرمون به فيبيت أو على أبواب داره، فإذا أفاق قال: [اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون]. وكان إذا أصبح و أمسى قال: [اللهم إني أشهدك أن ما أصبح أو أمسى بي من نعمة في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر بها علي حتى ترضى وبعد الرضا]. ومنه قوله سبحانه في حقه: [إنه كان عبداً شكوراً]. فأوحى الله تعالى

(20) قصص الأنبياء 1:90.

إليه أن لن يؤمن قومك إلا من آمن، فعندها أقبل على الدعاء عليهم كما تقدم في الآيات، فأعقم الله أصلاب الرجال وأرحام النساء فلبثوا أربعين سنة لا يولد لهم وقحطوا في تلك الأربعين سنة حتى هلكت أموالهم و أصابهم الجهد والبلاء حتى أغرقهم الله تعالى وألهمهم التي كانوا يعبدونها. وروى الصدوق بإسناده إلى وهب قال: إن نوحاً لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى فلا يزدادون إلا طغياناً ومضى ثلاثة قرون من قومه وكان الرجل منهم يأتي بابنه وهو صغير فيوقفه على رأس نوح ع فيقول يا بني إن بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون. وعن أبي جعفر صلوات الله عليه قال: [مكث نوح] في قومه يدعوهم إلى الله سرّاً وعلانية، فلمّا عتوا وأبوا قال: (ربّ إني مغلوب فانتصر) فأوحى الله تعالى إليه أن اصنع الفلك، وأمره بغرس النوى، فمّر عليه قومه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون: قد قعد غراساً حتّى إذا طال وصار طوالاً قطعه ونجره، فقالوا قد قعد نجّاراً، ثمّ ألّفه فجعله سفينة، فمروا عليه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون: قد قعد ملاحاً في أرض فلاة حتّى فرغ منها. (21).

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: [لما فار التنور وكثر الماء في السكك خشيت أم صبي عليه وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء عرجت به حتى بلغت ثلثيه فما بلغها الماء حتى استوت

على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها حتى ذهب بما الماء فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي].

وقد كان من أسرة نوح ﷺ ممن غضب الله تعالى عليه أيضاً كما في زوجته وابنه؛ أما زوجته [ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ] ⁽²²⁾. قال ابن عباس: كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس إنه مجنون وإذا آمن أحد بنوح أخبرت الجبابة من قوم نوح به وكانت امرأة لوط تدل على أضيافه وكان ذلك خيانتهم لهما وما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتهم في الدين. وقال السدي كانت خيانتهم أنهما كانتا كافرتين. وقيل كانتا منافقتين. وقال الضحاك خيانتهم النميمة إذ أوحى الله إليهما أفشئاه إلى المشركين.

أقول: الخيانة الواردة في الآية مطلقة تشمل جميع المعاني المتقدمة حتى الزوجية على نحو ارتكاب الزنا والفاحشة، وإن كانت الخيانة الدينية أو العقائدية أشد وأقوى شرعاً وما عليه المشهور، ولكن الأولى لا تقل عنها أهمية خصوصاً وأن العرف والعادات والتقاليد يرى أقوائيتها الشديدة، مع أن هناك انصرافاً من موارد إطلاقها ينصرف من مطلق ما فحش وقبح إلى الفاحشة بمعنى الزنا

والخيانة الزوجية. بل إذا جوزنا الخيانة العقائدية كالكفر والنفاق التي هي بنظر المشهور جازت ماعداها بطريق أولى. مع أن هذه الخيانة لا تنافي عصمة الأنبياء أو الطعن بهم بأي حال من الأحوال، لأن الذنب قد صدر من غيره وليس منه وإن كانت له ولاية على زوجته أو باقي أفراد أسرته، ولكن كما ترى لا ملازمة بين فساد الأسرة وفساد رب الأسرة كما لا يخفى. والشواهد على هذا كثيرة فإن أول المعارضين والخائنين الذين وقفوا بوجه رسول الله ﷺ في أول البعثة هم عشيرته الأقربين وكان أبو لهب عمه من أكثرهم عدواناً، وأما بعد استشهاده فقد انقلبت عليه زوجته عائشة وحفصة ابنتا أقرب صحابته أبي بكر وعمر.

وأما ابن نوح وهو كنعان فقد قال سبحانه فيه: [وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ] (23).

ففي عيون أخبار الرضا ؑ قال الوشاء قال لي: [كيف تقرأون: (قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح)]. فقلت من الناس من يقرأ: (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) نفاه عن أبيه. فقال ؑ: [كلا لقد كان ابنه ولكن لما عصى الله عز وجل نفاه عن أبيه].

أقول: هذا مبني على القراءة المتواترة القائمة على الفعل الماضي وما بعده منصوب على المفعولية، فيكون المعنى أن أعماله غير صالحة. ولكن قرأ الكسائي ويعقوب وسهل على المصدرية وما بعده صفة له وأولوه على أن ابن نوح تولد من الخيانة، وحينئذ فقلوه ؑ يجوز أن يكون رداً للتأويل لا للقراءة يعني أن تأويلهم باطل لأن نفيه عنه باعتبار الدين والعمل، ويجوز أن يكون نفيّاً للقراءة يعني أنها قراءة باطلة لم ينزل بها جبرئيل.

وفي علل الشرائع عن أبي عبد الله ؑ قال: [إن النجف كان جبلاً وهو الذي قال ابن نوح: (سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) ولم يكن على وجه الأرض جبل أعظم منه فأوحى الله عز و جل إليه يا جبل أيعتصم بك مني فتقطع قطعاً قطعاً إلى بلاد الشام وصار رماداً دقيقاً وصار بعد ذلك بحراً عظيماً وكان يسمى ذلك البحر ببحر بني ثم جف بعد ذلك وقيل بني جف فسمي نجف ثم صار بعد ذلك يسمونه نجف لأنه كان أخف على ألسنتهم].

وأما بعد الطوفان والوصية بالنبوة من بعد نوح ﷺ فقد روى علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس، قال: كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً معهم أهلهم، وإنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوماً، وإن الله وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوماً، ثم وجهها إلى الجودي فاستقرت عليه، فبعث نوح ﷺ الغراب ليأتيه بخبر الأرض، فذهب فوقع على الجيف فأبطأ عليه، فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ولطخت رجلها بالطين، فعرف نوح أن الماء قد نضب، فهبط إلى أسفل الجودي فابتنى قرية وسماها ثمانين، فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها العربية. وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض، فكان نوح ﷺ يعبر عنهم.

وفي الوصية روى عبد الحميد ابن أبي الديلم عن أبي عبد الله عليه الصلاة والسلام قال: [عاش نوح صلوات الله عليه بعد النزول من السفينة خمسمائة سنة، ثم أتاه جبرئيل ﷺ فقال: يا نوح إنه قد انقضت نبوتك واستكملت أيامك، فيقول الله تعالى: ادفع ميراث العلم وآثار علم النبوة التي معك إلى ابنك سام، فإني لا أترك الأرض إلا وفيها عالم يعرف به طاعتي ويكون نجاة فيما بين قبض النبي وبعث النبي الآخر، ولم أكن أترك الناس بغير حجة، وداع إليّ وهاد إلى سبيلي وعارف بأمرى، فإني قد قضيت أن أجعل لكل قوم هادياً أهدي به السعداء، ويكون حجة على الأشقياء. قال: فدفع نوح صلوات الله عليه جميع ذلك ابنه سام، فأما حام ويافت فلم يكن

عندهما علم ينتفعان به . قال : وبشرهم نوح بهود صلوات الله عليهما، وأمرهم باتباعه، وأمرهم أن يفتحوا الوصية كل عام فينظروا فيها، فيكون ذلك عيداً لهم، كما أمرهم آدم صلوات الله عليه⁽²⁴⁾.

وفي موته □ روي أن ملك الموت جاءه وهو في الشمس, قال: السلام عليك. فرد عليه نوح السلام فقال: [ما حاجتك يا ملك الموت ؟]. قال: جئت لأقبض روحك. قال له: [تدعني أدخل من الشمس إلى الظل]. فقال له: نعم. فتحول نوح ثم قال □: [يا ملك الموت فكأن ما مر بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس إلى الظل فامض لما أمرت به]. قال: فقبض روحه.

نبوة هود □:

هود بن عبد الله بن رياح بن حيلوث بن عاد بن عوض بن آدم بن سام بن نوح □. ويقال إن هوداً هو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. بعثه الله تعالى إلى قوم عاد، وهو عاد بن عوض بن سام بن نوح. قال سبحانه: [وإلى عادٍ آخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرِه أفلأ تَتَّقُونَ * قال المَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَادِبِينَ * قال يا قوم ليس بي سفاهةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَبْلِغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَادُّكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَادُّكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قال قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَضِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ] (25). وكان أشبه الناس بآدم صلوات الله عليهما، وكان رجلاً آدم، كثير الشعر، حسن الوجه، ولم يكن أحد من الناس أشبه بآدم منه إلا ما كان من يوسف بن يعقوب صلوات الله عليهما. وأما قومه فكانوا على ثلاثة

عشر قبيلة من قبائل اليمن ممن أول من عبد الأصنام بعد الطوفان وكانت أصنامهم ثلاثة: صدا وصمودا، وهرا. ويسكنون أحقاف الزمان، وأنه لم يكن أمة أكثر منهم أشد بطشاً، وكانت بلادهم من أخصب بلاد العرب وأكثرها أنهاراً وجناناً، وقد اتخذوا من الرمل قصوراً مشيّدة وحصوناً ومدائن ومصانع ومنازل وبساتين. وقد كان الله تعالى قد سخر لهم من قطع الجبال والصخور والعمد والقوة على ذلك والعمل به شيئاً لم يسخره لأحد كان قبلهم ولا بعدهم، فسموا بذلك بذات العماد من حيث أنهم يسلخون العمد من الجبال، فيجعلون طول العمد مثل طول الجبل الذي يسلخونه منه من أسفله إلى أعلاه، ثم ينقلون تلك العمد فينصبونها، ثم يبنون فوقها القصور، وقد كانوا ينصبون تلك العمد أعلاماً في الأرض على قوارع الطريق، وكان كثرتهم بالدّهناء وبيرين وعالج إلى اليمن إلى حضرموت.

فأرسل الله إليهم رسوله هوداً ؑ يبلغهم عبادة الله سبحانه الواحد الأحد ويشهرهم بالجنة والثواب وينذرهم من النار والعذاب المحقق بهم المتمثل بالريح، فلما رأوا الريح القيم - تلقحت بالعذاب وعقمت عن الرحمة - قد أقبلت عليهم قالوا لهود أتحوّفنا بالريح، فجمعوا ذراريهم وأموالهم في شعب من تلك الشّعاب، ثم قاموا على باب ذلك الشّعب يردّون الريح عن أموالهم وأهاليهم، فدخلت الريح من تحت أرجلهم بينهم وبين الأرض حتّى قلعتهم، فهبّت بهم صعداً، ثم رمت بهم من الجوّ ثم رمت بهم الريح في البحر، وسلّط الله عليهم الدّر فدخلت

في مسامعهم، وجاءهم من الدَّر ما لا يطاق قبل أن يأخذهم الرِّيح فسيَّروهم من بلادهم وحال بينهم وبين مرادهم، وطحنت تلك القصور والحصون والمدائن والمصانع حتَّى عاد ذلك كله رملاً دقيقاً تسفيهه الريح، وكانت تلك الريح ترفع الرجال والنساء، فتهب بهم صعداً، ثم ترمي بهم من الجوِّ فيقعون على رؤوسهم منكسين.

وروي عن مولانا الإمام الصادق □: [كانت أعمار قوم هود صلوات الله عليه أربعمئة سنة وقد كانوا يعذبون بالقحط ثلاث سنين، فلم يرجعوا عمّا هم عليه، فلمّا رأوا ذلك بعثوا وفداً لهم إلى جبال مكة، وكانوا لا يعرفون موضع الكعبة، فمضوا واستسقوا فرفعت لهم ثلاث سحبات، فقالوا : هذه حفا يعني التي ليس فيها ماء وسمّوا الثّنية فاجياً واختاروا الثالثة التي فيها العذاب . قال : والريح عصفت عليهم، وكان رئيسهم يقال له : الخلجان فقالوا : يا هود ما ترى الرِّيح إذ أقبلت أقبل معها خلق كثير كأمثال الأباعر معها أعمدة هم الذين يفعلون بنا الأفاعيل، فقال : أولئك الملائكة، فقالوا : أترى ربّك إن نحن آمنا به أن يديلنا منهم، فقال لهم هود □ : إنّ الله تعالى لا يديل أهل المعاصي من أهل الطّاعة، فقال له الخلجان : وكيف لي بالرجال الذين هلكوا ؟ فقال له هود : يبدلك الله بهم من هو خير لك منهم، فقال : لا خير في الحياة بعدهم، فاختار اللّحاق بقومه، فأهلكه الله تعالى]. وعن ابن بابويه حدثنا أبي حدثنا سعد بن عبد الله عن عبد الملك بن طريف عن

الأصبع بن نباته، قال: خرجنا مع أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى نخيلة فإذا أناس من اليهود معهم ميت لهم، فقال أمير المؤمنين للحسن صلوات الله عليهما: [انظر ما يقول هؤلاء في هذا القبر؟] فقال: [يقولون: هو هود □]. فقال: [كذبوا أنا أعلم به منهم، هذا قبر يهود بن يعقوب]، ثم قال: [من ها هنا من مهرة؟]. فقال شيخ كبير: أنا منهم، فقال له: [أين منزلك؟]. فقال: في مهرة على شاطئ البحر، فقال: [أين هو من الجبل الذي عليه الصّومعة]. قال: قريب منه قال: ما يقول قومك فيه؟ فقال: يقولون هو قبر ساحر، فقال: [كذبوا أنا أعلم به منهم، ذلك قبر هود □ وهذا قبر يهودا] (26).

أقول: وقبر هود وصالح □ معلومان وهو الكائن في مقبرة النجف الأشرف، وهو الذي أشار إليه أمير المؤمنين □، حيث بعد عذاب قوم هود □ توجه مع الذين آمنوا معه إلى مكة ثم إلى العراق.

وروى ابن أبي الديلم عن أبي عبد الله سلام الله عليه قال: [لما بعث الله هوداً أسلم له العقب من ولد سام، وأمّا الآخرون فقالوا: من أشدّ منا قوّة، فأهلكوا بالريح العقيم، ووصى وبشرهم بصالح صلوات الله عليهما].

نبوة صالح □

صالح بن حاطر بن ثمود بن حاطر بن سام بن نوح صلوات الله عليه. وقيل: صالح بن ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح □. بعثه الله تعالى إلى قوم ثمود عاثر بن إرم بن سام بن نوح. قال عز وجل: [وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ * وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُوبِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ] (27). وكان □ حسن الجسم وافر اللحية ربعة من الرجال قد دعى قومه إلى عبادة التوحيد وترك عبادة الأصنام لمنهم طالبيه بأن يأتيهم بمعجزة من السماء على أن تكون ناقة تخرج من صخرة كانوا يعظمونها، فقد ورد عن أبي بصير عن أبي عبد الله صلوات الله عليه

في قوله تعالى : [كذبت ثمود بالنذر]. فقال : [هذا لما كذبوا صالحاً صلوات الله عليه، وما أهلك الله تعالى قوماً قطّ حتى يبعث إليهم الرّسل قبل ذلك فيحتجّوا عليهم، فإذا لم يجيبوهم أهلكوا، وقد كان بعث الله صالحاً □ فدعاهم إلى الله فلم يجيبوه وعتوا عليه، وقالوا : لن نؤمن لك حتى تخرج لنا من الصّخرة ناقةً عُشراء، وكانت صخرة يعظمونها ويذبحون عندها في رأس كلّ سنة ويجمعون عندها، فقالوا له : إن كنت كما تزعم نبياً رسولاً، فادع الله يخرج لنا ناقةً منها فأخرجها لهم كما طلبوا منه . فأوحى الله تعالى إلى صالح أن قل لهم : إنّ الله تعالى جعل لهذه النّاقة شرب يوم ولكم شرب يوم، فكانت النّاقة إذا شربت يومها شربت الماء كلّهُ، فيكون شراهم ذلك اليوم من لبنها، فيحلبونها فلا يبقى صغير ولا كبير إلا شرب من لبنها يومه ذلك، فإذا كان الليل واصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوهم ذلك اليوم ولا تشرب النّاقة، فمكثوا بذلك ما شاء الله حتى عتوا ودبروا في قتلها، فبعثوا رجلاً أحمر أشقر أزرق لا يعرف له أب ولد الزّنا، يقال له : قدار ليقتلها، فلمّا توجّهت النّاقة إلى الماء ضربها ضربة، ثمّ ضربها أخرى فقتلها، وفرّ فصيلها حتى صعد إلى جبل، فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا أكل منها، فقال لهم صالح □ : أعصيتم ربّكم إنّ الله تعالى يقول : إن تبتم قبلت توبتكم، وإن لم ترجعوا بعثت إليكم العذاب في اليوم الثالث، فقالوا يا صالح ائيتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين، قال : إنّكم تصبحون غداً وجوهكم مصفرة، واليوم

الثاني محمّرة، واليوم الثالث مسوّدة، فاصفرت وجوههم فقال بعضهم : يا قوم قد جاءكم ما قال صالح، فقال العتاة : لا نسمع ما يقول صالح ولو هلكنا، وكذلك في اليوم الثاني والثالث، فلمّا كان نصف الليل أتاهم جبرئيل، فصرخ بهم صرخة خرقت أسماعهم وقلقلت قلوبهم، فماتوا أجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم، ثم أرسل الله عليهم ناراً من السماء فأحرقتهم [(28)].

أقول: ظاهر بعض الأخبار أن صالح □ قد غاب بعد أن عذاب قومه وقد شكوا فيه ووقفوا عليه، ولذا كان له في هذا الشك والوقوف شبه في أمير المؤمنين □ من بعد رسول رسول الله □ وحال بعض الصحابة الذين انقلبوا من بعده. وكذا الشبه في إمامنا المهدي عجل الله فرجه الشريف في غيبته وكيف أن الأمة قد شكت وجحدت هذا الأمر الإلهي. ومن هذه الأخبار عن زيد الشحام عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال : [إن صالحاً □ غاب عن قومه زماناً، وكان يوم غاب كهلاً حسن الجسم، وافر اللحية، ربعة من الرجال، فلمّا رجع إلى قومه لم يعرفوه، وكانوا على ثلاث طبقات : طبقة جاحدة ولا ترجع أبداً، وأخرى شاقة، وأخرى على يقين، فبدأ حين رجع بالطبقة الشاقة، فقال لهم : أنا صالح فكذبوه وشتموه وزجروه، وقالوا : إنّ صالحاً كان على غير صورتك وشكلك، ثم أتى إلى الجاحدة فلم يسمعوا منه ونفروا منه أشد

التفور . ثم انطلق إلى الطبقة الثالثة وهم أهل اليقين، فقال لهم : أنا صالح، فقالوا أخبرنا خبراً لا نشكّ فيه أنك صالح انا تعلم أنّ الله تعالى الخالق يحوّل في أيّ صورة شاء، وقد أخبرنا وتدارسنا بعلامات صالح □ إذا جاء، فقال : أنا الذي أتيتكم بالنّاقة، فقالوا : صدقت وهي التي تتدارس فما علامتها ؟ قال : لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم، فقالوا : آمنا بالله وبما جئتنا به، قال عند ذلك الذين استكبروا وهم الشّكّاك والجاحاد : (وإنّا بالذي آمنتم به كافرون). قال زيد الشّحام : قلت : يا بن رسول الله □ هل كان ذلك اليوم عالم ؟ قال : [الله أعلم من أن يترك الأرض بلا عالم، فلمّا ظهر صالح □ اجتمعوا عليه، وإنّما مثل عليّ والقائم صلوات الله عليهما في هذه الأُمّة مثل صالح □] (29).

أقول: إن هود وصالح من الأنبياء العرب مع شعيب ورسول الله عليهم الصلوات واتم السلام، كما في رواية أبي ذر في حديث رسول الله عليه وآله السلام الطويل في ذكر الانبياء والمرسلين قال فيه: [منهم أربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب ونبيك يا أبا ذر]. وفي رواية خمسة بإضافة إسماعيل □، يقال إن هوداً □ أول من تكلم بالعربية، وقيل نوح، وقيل آدم وهو الصحيح. كما يقال للعرب الذين كانوا قبل إسماعيل □ العرب العاربة، وهم قبائل كثيرة: منهم عاد، وثمود، وجهم، وطسم، وجديس، وأميم، ومدين، وعملاق، وعبيل،

وجاسم، وقحطان، وبنو يقطن، وغيرهم. وأما العرب المستعربة فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وكان إسماعيل بن إبراهيم ﷺ أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة وكان قد أخذ كلام العرب من جرهم الذين نزلوا عند أمه هاجر بالحرم ولكن أنطقه الله بها في غاية الفصاحة والبيان بتفصيل آت.

نبوة إبراهيم □:

إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح □. قال تعالى: [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ] (30). روي في قصة ولادته □ عن أبي بصير عن أبي عبد الله □ قال : [كان آزر عم إبراهيم □ منجماً لنمرود، وكان لا يصدر إلا عن رأيهِ، فقال : لقد رأيت في ليلتي عجباً، فقال : ما هو ؟ فقال : إن مولوداً يولد في أرضنا هذه يكون هلاكنا على يديه، فحجبت الرجال عن النساء، كان تارخ وقع على أم إبراهيم □ فحملت، فأرسل إلى القوابل لتنظر إلى النساء، ولا يكون في البطن شيء إلا علمن به، فنظرن إلى أم إبراهيم، والزم الله ما في الرحم الظَّهر، فقلن ما نرى بها شيئاً، فلما وضعت ذهبت به إلى بعض الغيران فجعلته فيه وأرضعته، وجعلت على باب الغار صخرة، فجعل

الله رزقه في إيمانه فجعل يمصّها فتشخب لبناً، وجعل يشبّ في اليوم كما يشبّ غيره في الجمعة، ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر، فمكث ما شاء الله أن يمكث . ثم أخرج إبراهيم من السرب، فرأى الزهرة وقوماً يعبدونها، فقال : أهذا - على سبيل الانكار - ري ؟ فلم يلبث أن طلع القمر وعبدته قوم أيضاً وقال □ أيضاً على سبيل الانكار ليكون ذلك حجة عليهم في إثبات التوحيد ونفي التشبيه، وذلك قوله تعالى : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) [31].

أقول: أما آزر الكافر هذا فكان عم إبراهيم □ وكانت العرب تسمي العم أباً فيرتفع إشكال كفر أبيه حينئذ المتوجه إلى عقيدتنا بأن آباء رسول الله □ وأجداده من الرجال والنساء كانوا موحدين ولم يكن فيهم كافر قط، وذلك لقوله تعالى: [الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ]. بمعنى أنه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد. وقوله سبحانه: [إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ]. فلا يكون أحد أجداده منهم. مضافاً لقوله عليه وآله السلام: [لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات]. وأما أم إبراهيم □ فقليل أن اسمها أميلة، وقيل: بونا بنت كربت بن كرتي من بني أرفخشذ بن سام بن نوح. وكان لإبراهيم □ أخوان؛ تاحور وهاران، وولد لهاران لوط □، وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد فيها، وهي أرض الكلدانيين وهي أرض بابل. وهذا هو الصحيح

المشهور عند أهل السير والتواريخ والأخبار، وصحح ذلك الحافظ ابن عساكر، بعد ما روى من طريق هشام بن عمار، عن الوليد، عن سعيد بن عبد العزيز، عن مكحول، عن ابن عباس قال: ولد إبراهيم بغوطة دمشق، في قرية يقال لها برزة، في جبل يقال له قاسيون. ثم قال: والصحيح أنه ولد ببابل. وإنما نسب إليه هذا المقام لانه صلى فيه إذ جاء معيناً للوط □. فتزوج إبراهيم سارة، وناحور ملكا. ثم سافر تارخ بابنه إبراهيم وامرأته سارة وابن أخيه لوط بن هاران، فخرج بهم من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين وهي أرض بيت المقدس، فنزلوا حران فمات فيها تارخ وله مائتان وخمسون سنة. وهذا يدل على أنه لم يولد ببحران، وإنما مولده بأرض الكلدانيين وهي أرض بابل وما والاها. ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكنعانيين، فأقاموا ببحران وهي أرض الكشدانيين في ذلك الزمان، وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضاً، وكانوا يعبدون الكواكب السبعة، وقد تقدم في حديث الإمام الرضا □ مع المأمون لعنه الله مسألة رفع الشبهات حول تردد إبراهيم □ في عبادة هذه الكواكب فراجع.

وأما قصته □ مع النمرود عندما قام بتكسير وتحطيم أصنامهم أمر النمر بحرقه بنار عظيمة، فقد روى أبان بن عثمان عن أبي عبد الله □ قال: [لما أخذ نمرود إبراهيم □ ليلقيه في النار، قلت : يا رب عبدك وخليك ليس في أرضك أحد يعبدك غيره، قال الله تعالى : هو عبدي آخذه اذا شئت، ولما ألقى إبراهيم □ في النار، تلقاه جبرئيل □ في الهوآء وهو يهوي إلى النار، يا إبراهيم

ألك حاجة ؟ فقال : أما اليك فلا وقال : يا الله يا واحد يا أحد يا صمد،
ويا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، نجني من النار برحمتك . فأوحى
الله إلى النار : كوني برداً وسلاماً على إبراهيم]. وفي رواية الإمام الباقر ؑ أن
جبرئيل نزل معه في وسط النار يحدثه، قال: [لما قال الله تعالى للنار : (كوني
برداً وسلاماً على إبراهيم) لم تعمل يومئذ نار على وجه الأرض، ولا انتفع بها
أحد ثلاثة أيام، قال : ونزل جبرئيل يحدثه وسط النار، قال نمروذ : من اتخذ
إلهاً فليتخذ مثل إله إبراهيم، فقال عظيم من عظمائهم : إني عزمت على
النيران أن لا تحرقه، قال : فخرجت عنق من النار فأحرقته، وكان نمروذ ينظر
بشرفة على النار . فلما كان بعد ثلاثة أيام قال نمروذ لآزر : اصعد بنا حتى
ننظر فصعدا، فاذا إبراهيم في روضة خضراء ومعه شيخ يحدثه، قال :
فالتفت نمروذ إلى آزر، فقال ما أكرم ابنك على الله .].

أقول: وفي بعض الروايات أن إبراهيم ؑ قد دعى الله سبحانه في قضية
إحراقه بالنار بحق أهل البيت ؑ، حاله حال سائر الأنبياء ؑ عندما كانت تمر
بهم مثل هذه الظروف الحرجة مع طواغيت زمانهم، قال الإمام الرضا ؑ: [لما
أشرف نوح صلوات الله عليه على الغرق دعا الله بحقنا، فدفع الله عنه
الغرق، ولما رمي إبراهيم في النار دعا الله بحقنا، فجعل النار عليه برداً وسلاماً
وإن موسى ؑ لما ضرب طريقاً في البحر دعا الله بحقنا، فجعله يبساً، وإن

عيسى ﷺ لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا، نجى من القتل فرفعه إليه⁽³²⁾.
كما أنه ورد أن إبراهيم ألبسه جبرئيل قميصاً من فضة وكان يتداول هذا
القميص بين الأنبياء من بعده ﷺ، في كتاب المحاسن رفعه إلى علي بن الحسين
ﷺ أن هاتفاً هتف به فقال يا علي بن الحسين أي شيء كانت العلامة بين
يعقوب ويوسف ؟ . فقال: [لما قذف إبراهيم في النار هبط جبرئيل بقميص
فضة فألبسه إياه ففرت عنه النار ونبت حوله النرجس فأخذ إبراهيم ﷺ
القميص فجعله في عنق إسحاق في قصة من فضة وعلقها إسحاق في عنق
يعقوب وعلقها يعقوب في عنق يوسف ﷺ، فقال له إن نزع هذا القميص من
بدنك علمت أنك ميت أو قد قتلت فلما دخل عليه إخوته أعطاهم القصة
وأخرجوا القميص فاحتملت الريح رائحته فألقته على وجه يعقوب بالأردن
فقال : (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لَا أَنْ تُفَنِّدُونِ)]. هذا مع أن في معجزة
تحويل النار إلى برد وسلام إطراد ومنه ما حصل في أصحاب نبي الله دانيال ﷺ
بتفصيل آت.

ثم بعد ذلك أمر النمرود بنفي إبراهيم ﷺ إلى بيت المقدس لتبدأ رحلة هذا
النبي مع طاغية آخر مع زواجه من هاجر وولادتها لنبي الله إسماعيل ﷺ، عن
إبراهيم بن أبي رباب الكرخي عن أبي عبد الله ﷺ، قال : [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ كَانَ
مولده بكونا، وكان من أهلها وكانت أم إبراهيم وأم لوط ﷺ اختين، وأنه تزوج

(32) نفس المصدر رقم: 27.

سارة بنت لاجج، وهي بنت خالته، وكانت صاحبة ماشية كثيرة وحال حسنة، فملك إبراهيم جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه، فكثرت الماشية والزرع، حتى لم يكن بأرض كوثا رجل أحسن حالاً منه . وإن إبراهيم لما كسر أصنام نمrod أمر به فأوثق وعمل له حيراً فيه الحطب، وألهب فيه النار، ثم قذف بإبراهيم ☐ لتحرقه، ثم اعتزلوها ثلاثاً حتى خمدت، ثم أشرفوا على الخير فإذا هم بإبراهيم صلوات الله عليه سليماً مطلقاً من وثاقه، فأخبروا نمrod، فأمرهم أن ينفروا إبراهيم من بلاده، فإنه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم وأضر بآلهتكم، فأخرجوا إبراهيم ولوطاً ☐ إلى الشّامات . فخرج إبراهيم ومعه لوط وسارة (وقال : إني ذاهبٌ إلى ربي سيهدين) يعني إلى بيت المقدس، فتحمل إبراهيم بماشيته وماله وعمل تابوتاً وحمل سارة فيه، فمضى حتى خرج من سلطان نمrod وصار إلى سلطان رجل من القبط، فمبعشر له، فاعترضه فقال له : افتح هذا التّابوت حتى تعطيني عشرة وأبى إلاّ فتحه، ففتح إبراهيم صلوات الله عليه، فلما بدت سارة وكانت موصوفة بالحسن، قال : فما هي ؟ قال إبراهيم : حرمتي وابنة خالتي، قال : فما دعائك إلى أن حبستها في هذا التّابوت، فقال إبراهيم صلوات الله عليه : الغيرة عليها أن لا يراها أحد . قال : فبعث الرّسل إلى الملك فأخبره بخبر إبراهيم، فأرسل الملك أن يحملوه والتّابوت معه، فلما دخل عليه قال الملك لإبراهيم : افتح التّابوت وأرني من فيه، قال : إنّ فيه حرمتي وابنة خالتي وأنا

مفتد فتحه بجميع ما معي، فأبى الملك إلا فتحه، قال : ففتحه فلمّا رأى سارة الملك، فلم يملك حمله سفهه أنّ مدّ يده إليها، فقال إبراهيم : أَللّهُمّ احبس يده عن حرمتي، فلم يصل إليها يده ولم ترجع إليه، فقال الملك : إنّ إلهك هو الذي فعل بي هذا ؟ قال : نعم إنّ إلهي غيور يكره الحرام، وهو الذي حال بينك وبينها، فقال الملك : ادع ربّك يرّد عليّ يدي، فان أجابك لم أعترض لها، فقال إبراهيم صلوات الله عليه : اللهمّ ردّ عليه يده ليكفّ عن حرمتي، فردّ الله تعالى عليه يده . فأقبل الملك نحوها ببصره، ثم عاد بيده نحوها، فقال إبراهيم □ اللهمّ احبس يده عنها، فبيست يده ولم تصل إليها، فقال الملك لإبراهيم : إنّ إلهك لغيور فادع إلهك يرّد عليّ يدي، فإنّه إن فعل بي لم أعد، فقال له إبراهيم □ : أسأل ذلك على أنّك إن عدت لم تسألني أن أسأله، فقال الملك : نعم، فقال إبراهيم : أَللّهُمّ إن كان صادقاً فردّ عليه يده، فرجعت عليه يده . فلمّا رأى الملك ذلك عظم إبراهيم □ وأكرمه، وقال : فنطلق حيث شئت، ولكن لي إليك حاجة، قال إبراهيم □ وما هي ؟ قال : أحبّ أن تأذن لي أن أخدمها قبطيّة عندي جميلة عاقلة تكون لها خادمة، فأذن له إبراهيم □ فدعا بها فوهبها لسارة، وهي هاجر أم إسماعيل □، فسار إبراهيم بجميع ما معه، وخرج الملك معه يتبعه ويمشي خلف إبراهيم □ إعظاماً له، فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم □ : أن قف ولا تمش قدّام الجبّار، فوقف إبراهيم صلوات الله عليه وقال للملك : إنّ إلهي

أوحى إليّ الساعة أن أعظمك وأقدمك وأمشي خلفك، فقال : أشهد أنّ إهلك رفيق حليم كريم . قال : ووّدعه الملك، وسار إبراهيم حتّى نزل بأعلى الشّامات، وخلف لوطاً بأدنى الشّامات، ثمّ إنّ إبراهيم أبطأ عن الولد، فقال لسارة : أن لوشت لمّتعني من هاجر لعلّ الله يرزقني منها ولداً فيكون خلفاً، فابتاع إبراهيم □ هاجر من سارة فوقع عليها، فولدت إسماعيل □ .⁽³³⁾

ثم أن سارة ولدت لإبراهيم □ إسحاق فكان له ولدان، إلا أنه أخذ هاجر وولدها إسماعيل □ إلى بيت الله الحرام لتبدأ رحلة أخرى في سبيل الله تعالى بعد أن اتخذه سبحانه خليلاً؛ روى عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبد الله صلوات الله عليه في قوله تعالى : (وامراته قائمة فضحكت) : [يعني : حاضت، وهي يومئذ ابنة تسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة وعشرين سنة، قال : وإنّ قوم إبراهيم □ نظروا إلى إسحاق □ قالوا : ما أعجب هذا وهذه ، يعنون إبراهيم □ وسارة أخذاً صبيّاً وقالوا : هذا ابننا يعنون إسحاق، فلمّا كبر لم يعرف هذا وهذا لتشابههم حتّى صار إبراهيم يعرف بالشّيب قال : فثنى إبراهيم □ لحيته، فرآى فيها طاقة بيضاء فقال إبراهيم : اللّهمّ ما هذا ؟ فقال : وقار فقال : اللّهمّ زدني وقاراً .]. وعنه □ في موضع آخر قال : [لما جاء المرسلون إلى إبراهيم صلوات الله عليه جاءهم بالعجل، فقال كلوا، قالوا : لا نأكل حتّى نخبرنا ما ثمنه ؟ فقال : إذا أكلتم فقولوا : بسم الله وإذا فرغتم فقولوا : الحمد لله،

(33) بحار الأنوار 12 / 45 . 47 رقم 38 عن الكافي.

فقال : فالتفت جبرئيل □ إلى أصحابه وكانوا أربعة وجبرئيل رئيسهم، فقال : حق أن يتخذ هذا خليلاً .[. وعن أمير المؤمنين □ قال : [شب إسماعيل وإسحاق فتسابقا فسبق إسماعيل فأخذه إبراهيم □ فأجلسه في حجره وأجلس إسحاق إلى جنبه، فغضبت سارة وقالت : أما انتك قد جعلت أن لا تسوي بينهما فاعزها عني، فانطلق إبراهيم □ بإسماعيل صلوات الله عليهما وبأمة هاجر حتى أنزلهما مكة، فنقد طعامهم، فأراد إبراهيم أن ينطلق فيلتمس لهم طعاماً، فقالت هاجر إلى من تكلنا، فقال : أكلكم إلى الله تعالى، وأصاحبما جوع شديد، فنزل جبرئيل □ وقال لهاجر : إلى من وكلكما ؟ قالت : وكلنا إلى الله قال : ولقد وكلكما إلى كاف، ووضع جبرئيل يده في زمزم ثم طواها، فإذا الماء قد نبع، فأخذت هاجر قربة مخافة أن يذهب، فقال جبرئيل : إنها تبقى فادعي ابنك فأقبل فشربوا وعاشوا حتى أتاهم إبراهيم □ فأخبرته الخبر فقال : هو جبرئيل □ .[.

أقول: إن هناك تفصيلاً في حادثة عطش إسماعيل وطريقة بحث أمه عن الماء، وهو أنها سعت بين جبلي الصفا والمروة لتكون من مناسك الحج الواجبة، حيث ورد عن معاوية بن عمّار، قال : سألت ابا عبد الله عليه الصلاة والسلام عن السّعي، فقال : [إن إبراهيم □ لما خلف هاجر أم إسماعيل عطش الصبي ولم يكن بمكة ماء، فأنت هاجر إلى الصّفا، فصعدت فوقها، ثم نادى هل بالوادي من أنيس ؟ فلم يجبها أحدٌ، فرجعت إلى المروة حتى فعلت ذلك

سبعاً، فأجرى بذلك سنّة، قال : فأثاها جبرئيل وهي على المروة، فقال لها : من انت ؟ فقالت : أمّ ولد إبراهيم، فقال : إلى من ترككما ؟ قالت : إلى الله تعالى فقال : وكلكما إلى كاف، قال : فحصى الصبي برجله فنبعت زمزم، ورجعت هاجر إلى الصبي، فلما رأت الماء قد نبع جمعت التراب حوله ولو تركته لكان سيحاً، قال : ومّر ركب من اليمن يريد سفرأ لهم فرأوا الطير قد حلقت قالوا : وما حلقت إلا على ماء، وقد كانوا يتجنبون منه، لأنّه لم يكن بها ماء، فأتوهم فأطعموهم وسقوهم، وكان الناس يمرّون بمكة، فيطعمونهم من الطعام وهم يسقونهم من الماء. [(34).

وأما بعد أن بلغ إسماعيل الرشد والسعي مع أبيه رأى الوالد رؤيا ذبح الولد □، قال سبحانه: [فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ] (35).

(34) علل الشرائع، بحار الأنوار 12 / 106 رقم 19.

(35) الصافات: 102-109.

أقول: أما رؤيا الأنبياء عموماً فهي وحي منزل كما ورد، فلا يمكن الاعتراض عليه إطلاقاً، وهذا ما حصل من قبل الوالد وولده □ من دون أي اعتراض لعلمهما بأن الرؤيا صادقة وغير قابلة للتأويل. نعم هناك خلاف في بعض موارد الآيات، كما في قوله: (وتله للجبين) تله للجبين فليل ألقاه على وجهه لئلا يشاهده في حال ذبحه، وقاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك. وقيل: بل أضجعه كما تضيع الذبائح وبقي طرف جبينه لاصقاً بالأرض. وأسلم أي سمى إبراهيم وكبر، وتشهد الولد للموت. قال السدي وغيره: أمر السكين على حلقه فلم تقطع شيئاً. ويقال: جعل بينها وبين حلقه صفيحة من نحاس. وأما الذبيح فالمشهور أنه كبش أبيض أعين أقرن رآه مربوطاً بسمرة في ثبير وهو الكبش الذي قرنه ابن آدم فتقبل منه. وقال الثوري عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، قال: كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً. وأما الذبيح فالصحيح أنه إسماعيل لا إسحاق □، حيث روى كعب الأحبار نقلاً عن صحف اليهود أن المذكور في التوراة هو إسحاق، وهو كما ترى.

لا يقال كما قيل عن ابن كعب القرظي: إن قوله سبحانه قوله: [فبشرناه بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب]. قال: فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب، ثم يؤمر بذبح إسحق وهو صغير قبل أن يولد له؟ هذا لا يكون، لانه يناقض البشارة المتقدمة. والله أعلم.

قلنا: إن قوله: " فبشرناها بإسحق " جملة تامة، وقوله: " ومن وراء إسحاق يعقوب " جملة أخرى ليست في حيز البشارة. قال: لانه لا يجوز من حيث العربية أن يكون مخفوضاً إلا أن يعاد معه حرف الجر، فلا يجوز أن يقال مررت يزيد ومن بعده عمرو، حتى يقال ومن بعده بعمرو. وقال: فقوله ومن وراء إسحق يعقوب سوف يكون منصوباً بفعل مضمر تقديره: (ووهبنا لإسحق يعقوب).

فإن قلت: يمكن أن يكون قوله تعالى: (فلما بلغ معه السعي) دال على أن إسماعيل وأمه لم يكونا مع إبراهيم □، لأنهما كانا في جبال مكة خصوصاً وأن إسماعيل كان صغير السن، فيتعين أن يكون المراد منه إسحاق.

قلنا: هذا خلاف ما تقدم بحسب الوقائع التاريخية، فإن إسماعيل أكبر سناً من إسحاق، مع أنه هو الذي سكن مكة من دون أن يكون لإسحاق وأمه موضع يذكر فيها وإنما بقوا في الشام، وسيأتي أنه إبراهيم كان يتنقل بينهما بطي الأرض بنحو الاعجاز.

وأما في موت إبراهيم □ عن أبي بصير عن أحدهما صلوات الله عليهما، قال : [كان سبب وفاة إبراهيم □ أنه أتاه ملك الموت ليقبضه فكره إبراهيم، فرجع ملك الموت إلى ربه، فقال : إن إبراهيم كره الموت، فقال : دع إبراهيم فإنه يحب أن يعبدني حتى رأى إبراهيم شيخاً يأكل ويخرج منه ما يأكل،

فكره الحياة وأحبّ الموت، فأتى داره فإذا فيها أحسن صورة ما رآها قطّ، قال : من انت ؟ قال : أنا ملك الموت فقال : يا سبحان الله من هذا الذي يكره قربك ورؤيتك ؟ وأنت بهذه الصّورة، قال : يا خليل الله إن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً بعثني إليه في هذه الصّورة، وإذا أراد بعبد شراً بعثني إليه في صورة غيرها وقبض إبراهيم ؑ بالشّام .⁽³⁶⁾

(36) نفس المصدر رقم 8.

نبوة إسماعيل □

إسماعيل بن إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح □. قال تعالى ذكره: [وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا] (37). فبعد أن توفت أمه هاجر ودفنها في الحجر وجعله عليها لئلاً يوطأ قبرها فإنه قد تزوج بإمرأة من العمالة يقال لها سماء، وقد كان إبراهيم □ يزوره بطي الأرض، كما في رواية ابن الحجاج، قال: سمعت أبا عبد الله صلوات الله عليه يقول: [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ □ اسْتَأْذَنَ سَارَةَ أَنْ يَزُورَ إِسْمَاعِيلَ بِمَكَّةَ، فَأَذْنَتْ لَهُ عَلَى أَنْ لَا يَبِيتَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِلَ عَنْ حِمَارِهِ]، قلت: كيف كان ذلك؟ قال: [طَوَيْتَ لَهُ الْأَرْضَ].

وفي وصفه بصدق الوعد في الآيات المتقدمة ما رواه العرقوني، قال: قال أبو عبد الله □: [إِنَّ إِسْمَاعِيلَ نَبِيَّ اللَّهِ وَعَدَ رَجُلًا بِالصَّفَاحِ، فَمَكَثَ بِهِ سَنَةً مُقِيمًا وَأَهْلُ مَكَّةَ يَطْلُبُونَهُ لَا يَدْرُونَ أَيْنَ هُوَ؟ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ضَعَّفْنَا بَعْدَكَ وَهَلَكْنَا، فَقَالَ: إِنَّ فُلَانِ الظَّاهِرَ وَعَدَنِي أَنْ أَكُونَ هَاهُنَا وَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى يَجِيءَ قَالَ: فَخَرَجُوا إِلَيْهِ حَتَّى قَالُوا لَهُ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدْتَ النَّبِيَّ فَاخْلَفْتَهُ فَجَاءَ وَهُوَ يَقُولُ لِإِسْمَاعِيلَ □: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا ذَكَرْتَ وَلَقَدْ نَسِيتَ

ميعادك، فقال : أما والله لو لم تجئني لكان منه المحشر فانزل الله : (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد).

أقول: لكن هناك من الروايات مما يعارض ذلك، حيث ورد أنه إسماعيل بن حزقيل وفي قصته عن الفضل ابن أبي قرّة السّمندي عن الصادق عن آبائه صلوات الله عليهم: [قال رسول الله ﷺ : إنّ أفضل الصدقة صدقة اللسان، تحقن به الدماء وتدفع به الكريهة وتجبرّ المفعة إلى أخيك المسلم . ثم قال ﷺ : إنّ عابد بني إسرائيل الذي كان أعبدهم كان يسعى في حوائج الناس عند الملك، وأنّه لقي إسماعيل بن حزقيل، فقال : لا تبرح حتى أرجع إليك يا إسماعيل، فسها عنه عند الملك، فبقي إسماعيل إلى الحول هناك، فأنتب الله لإسماعيل عشباً فكان يأكل منه، وأجرى له عيناً وأظله بغمام، فخرج الملك بعد ذلك إلى التّنزه ومعه العابد فرآى إسماعيل، فقال : إنّك لها هنا يا إسماعيل ؟ فقال له : قلت : لا تبرح فلم أبرح، فسّمّي ((صادق الوعد)).

قال : وكان جبّار مع الملك فقال : أيّها الملك، كذب هذا العبد قد مررت بهذه البريّة فلم أره ها هنا فقال له إسماعيل : إن كنت كاذباً فنزع الله صالح ما أعطاك، قال : فتناثرت أسنان الجبّار، فقال الجبّار : إيّ كذبت على هذا العبد الصّالح فاطلب : يدعو الله ان يردّ عليّ أسناني فأيّ شيخ كبير، فطلب إليه الملك، فقال : إيّ أفعل قال : السّاعة ؟ قال : لأخره إلى السّحر ثمّ دعا، قال يا فضل : انّ أفضل ما دعوتم الله بالأسحار قال الله تعالى :

(وبالأسحار هم يستغفرون)]. وفي رواية أخرى بنفس الإسناد قال : [إنَّ إسماعيلَ الَّذي سَمِّي صادق الوعد ليس هو إسماعيل بن إبراهيم خليل الله □ أخذه قومه فسلخوا جلده، فبعث الله إليه ملكاً فقال له : قد امرت بالسمع والطاعة لك فمر فيهم بما أحببت، فقال : لا، يكون لي بالحسين □ أسوة] (38).

ثم أنه جاء في التاريخ أنه لما ولد إسماعيل أوحى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحاق من سارة، فخر الله ساجداً، وقال له: قد استجبت لك في إسماعيل وباركت عليه وكثرته ونميته جداً كثيراً، ويولد له اثنا عشر عظيماً، وأجعله رئيساً لشعب عظيم.

أقول: إن المقصود من هذه البشارة العظيمة بولادة إثني عشر من ولد إسماعيل هم الأئمة الطاهرين المعصومين من ولد علي وفاطمة من آل بيت رسول الله □ بحسب الأدلة القطعية والصحيحة التي نؤكد تفصيلها إلى أصل الإمامة. ولقد تكلفت وتعسفت العامة من المخالفين بحمل هذا العدد على ما أسموهم بالخلفاء الراشدين الاثني عشر، فاعتبروا بالأربعة من أبي بكر وعمر

(38) بحار الأنوار (13 / 389)، برقم: (4) و(75 / 373 — 374)، برقم: (24) و(87 / 165)، برقم: (7) من قوله: يا فضل إن . . . وفيه: الفضل بن أبي قرة والآية في سورة الذاريات: (18).

وعثمان وأمير المؤمنين ، وضموا إليهم بعض حكام بني العباس على بعد اتفاقهم على كون عمر بن عبد العزيز منهم واختلافهم بالبقية الباقية.

نبوة لوط ؑ

لوط ؑ قد بعثه الله سبحانه في قرية انتشرت فيهم المعاصي والموبقات والفواحش كان من أبرزها إتيان الرجال والاكتفاء بهم دون النساء، وأن إمرأته كانت منهم وخارجة عن طاعته، وأنه كان مقارناً لأبراهيم ؑ، ومن أجل منزلتهما الشريفة عند الله سبحانه كان يؤخر العذاب عن قوم لوط، ولما أتى أمره تعالى أراد أن يعوض إبراهيم من عذاب قوم لوط بغلام عليم ليسلي به مصابه بهلاك قوم لوط، فبعث الله رسلاً إلى إبراهيم يبشرونه بإسماعيل، فدخلو عليه ليلاً ففزع وخاف أن يكونوا سراقاً فلما رآوه فزعاً قالوا : [إنا نبشرك بغلام عليم] ثم قالوا: [إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين] أي قوم لوط، فلما كان اليوم الثامن مع طلوع الفجر قدم الله رسلاً إلى إبراهيم يبشرونه بإسحاق ويعزّونه بهلاك قوم لوط. وروي عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر صلوات الله عليه قال : [إنّ رسول الله ؑ : سأل جبرئيل كيف كان مهلك قوم لوط ؟ فقال : إنّ قوم لوط كانوا أهل قرية لا ينتظفون عن الغائط، ولا يتطهّرون من الجنابة، بخلاء أشحاء على الطّعام، وأنّ لوطاً لبث فيهم ثلاثين سنة، وإنّما كان نازلاً فيهم ولم يكن منهم، ولا عشيرة له فيهم ولا قوم، وأنّه دعاهم إلى الله تعالى وإلى الإيمان به واتباعه، ونهاهم عن الفواحش، وحثّهم على طاعة الله فلم يجيبوه ولم يطيعوه . وأنّ الله لما أراد عذابهم بعث إليهم رسلاً عذراً أو نذراً، فلما عتوا عن أمره بعث الله إليهم ملائكة ليخرجوا من كان فيها من المؤمنين،

وقالوا : أسر يا لوط بأهلك، فلما انتصف الليل سار لوط □ ببنااته وتولّت امرأته مدبرة، فانطلقت إلى قومها تسعى بلوط وتخبرهم أنّ لوطاً سار ببنااته، وإنيّ نوديت من تلقاء العرش لما طلع الفجر يا جبرئيل حق القول من الله بحتم عذاب قوم لوط اليوم، فأهبط إلى قرية لوط وما حوت فأقبلها من تحت سبع أرضين، ثم أخرج بها إلى السماء وأوقفها حتّى يأتيك أمر الجبار في قلبها ودع منها آية بينة منزل لوط عبدة للسيارة، فهبطت على أهل القرية فقلعت ذلك حتّى سمع أهل السّماء برياً ديوكها، فلما طلعت الشّمس نوديت : أقلب القرية فقلبتها عليهم حتّى صار أسفلها أعلاها . فقال رسول الله □ : يا جبرئيل وأين كانت قريتهم ؟ قال : في موضع بحيرة طبريّة اليوم، وهي في نواحي الشّام، فقال رسول الله □ : حين قلبتها في أيّ موضع وقعت ؟ قال : وقعت فيما بين بحر الشّام إلى مصر، فصارت تلولا في البحر . [(39)]

أقول: إن هذا الإخبار من قبل إمرأته سبقه إخباراً آخر ولكن بالإشارة عندما حل ملائكة الرحمن على لوط □ ضيوفاً على شكل بشر وبصورة حسنة ليوقعوا العذاب بهذه القرية، قال إمامنا الصادق □: [فلما أبصرت بهم امرأته أبصرت هيئة حسنة، فصعدت فوق السّطح، فصفت فلم يسمعوا، فدخلت لما رأوا الدّخان أقبلوا يهرعون إليه حتى وقفوا بالباب، فقال لوط : (فاتّقوا الله لا تخزوني في ضيفي) ثم كابروه حتّى دخلوا عليه قال : فصاح

جبرئيل يا لوط دعهم يدخلوا قال : فدخلوا فأهوى جبرئيل أصبعيه وهو قوله تعالى : (فطمسنا أعينهم) ثم قال جبرئيل : (إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) .[١٠]

وأما سبب فاحشة إتيان الرجال فالمروي عن أبي بصير عن أحدهما صلوات الله عليهما في قوله تعالى : [أتأتون الفاحشة] فقال : [إن إبليس أتاهم في صورة شاب حسن فيه تأنيث وعليه ثياب حسنة، فلجأ إلى شباب منهم فأمرهم أن يقعوا به ففعلوا، ولو أمرهم أن يفعل بهم لأبوا عليه فالتذوا ذلك، ثم ذهب وتركهم فأحال بعضهم على بعض]⁽⁴⁰⁾.

ذو القرنين

قال سبحانه: [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تَعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا * كَذَلِكَ وَقَدْ

(40) نفس المصدر رقم 13.

أَحْطَنَّا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (41).

ذو القرنين □ لم يكن نبياً ولكن كان عبداً صالحاً من عباد الله الصالحين على ما نطقت به الروايات وقد آتاه الله تعالى ملكاً وسدده ببعض الكرامات والمعاجز فتح بها شرق الأرض ومغربها بالدعوة إلى توحيد الله وطاعة أنبيائه □، وكان معاصراً لإبراهيم □، ومن أصحابه العبد الصالح الخضر □. روى أبو بصير عن أبي جعفر صلوات الله عليه قال : [إِنَّ ذَا الْقُرْنَيْنِ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا أَحَبَّ اللَّهُ فَأَحَبَّهُ اللَّهُ، وَنَاصَحَ اللَّهُ فَنَاصَحَهُ اللَّهُ، أَمَرَ قَوْمَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَضْرَبُوهُ عَلَى قَرْنِهِ فَغَابَ عَنْهُمْ زَمَانًا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ فَضْرَبُوهُ عَلَى قَرْنِهِ الْآخَرِ . وَفِيكُمْ مِنْ هُوَ عَلَى سُنَّتِهِ، وَأَنَّهُ خَيْرُ السَّحَابِ الصَّعْبِ وَالسَّحَابِ الدَّلُولِ،

فاختار الذّلول فركب الذّلول، وكان إذا انتهى إلى قوم كان رسول نفسه إليهم لكيلا يكذب الرّسل. [42]. وفي موضعه آخر عنه صلوات الله عليه، قال : [حجّ ذو القرنين في ستمائة ألف فارس، فلمّا دخل الحرم شيعة بعض أصحابه إلى البيت، فلمّا انصرف قال : رأيت رجلاً ما رأيت أكثر نوراً ووجهاً منه، قالوا : ذاك إبراهيم خليل الرّحمن صلوات الله عليه، قال : اسرجوا فاسرجوا ستمائة دابة في مقدار ما يسرج دابة واحدة، قال : ثم قال ذو القرنين : لا بل نمشي إلى خليل الرّحمن، فمشى ومشى معه بعده أصحابه النقباء . قال إبراهيم □ : بم قطعت الدّهر ؟ قال : بأحد عشر كلمة : وهي سبحان من هو باق لا يفنى، سبحان من هو عالم لا ينسى، سبحان من هو حافظ لا يسقط، سبحان من هو بصير لا يرتاب، سبحان من هو قيّوم لا ينام، سبحان من هو ملك لا يرام، سبحان من هو عزيز لا يضام، سبحان من هو محتجب لا يرى، سبحان من هو واسع لا يتكلّف، سبحان من هو قائم لا يلهو، سبحان من هو دائم لا يسهو .].

أقول: إن اسم ذي القرنين فيه اختلاف بين الروايات فتارة روي أنه عبد الله بن ضحّاك بن معد، كما في قول الصادق □: [ملك الأرض كلها أربعة مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان فـسليمان بن داود وذو القرنين. والكافران

نمرود وبخت نصر. واسم ذي القرنين عبد الله بن ضحاك بن معبد]. وأخرى: عياش. وفي الثالثة اسكندر من أهل الاسكندرية. ورابعة أنه من أهل الروم كما في رواية أبي عقبة الأنصاري، قال: كنت في خدمة رسول الله ﷺ فجاء نفر من اليهود، فقالوا لي: استأذن لنا على محمد. فأخبرته فدخلوا عليه، فقالوا: أخبرنا عما جئنا نسالك عنه، قال: [جئتموني تسألوني عن ذي القرنين]، قالوا: نعم، فقال: [كان غلاماً من أهل الروم ناصحاً لله عز وجل فأحبته الله، وملك الأرض فسار حتى أتى مغرب الشمس، ثم سار إلى مطلعها، ثم سار إلى جبل يأجوج ومأجوج، فبنى فيها السد]، قالوا: نشهد أنّ هذا شأنه، وأنه لفي التوراة. وفي حديث الإمام الرضا عن آبائه ﷺ عن رسول الله ﷺ: [لكل أمة صديق وفاروق وصديق هذه الأمة وفاروقها علي بن أبي طالب، إنّ عليّاً سفينة نجاتها وباب حطّتها، وأنه يوشعها وشمعوها وذو قرنيها. معاشر الناس إنّ عليّاً خليفة الله وخليفتي عليكم بعدي وأنه لأمر المؤمنين وخير الوصيّين من نازعه نازعي، ومن ظلمه ظلمي، ومن برّه برّي، ومن جفاه فقد جفاني].

وأما تسميته بذي القرنين فمضافاً لما تقدم من ضربه على قرنه أي رأسه فقليل أنه كان رأى في المنام أنه دنى من الشمس فأخذ بقرنها في شرقها وغربها، فلما قص رؤياه على قومه سموه ذا القرنين، فلما رأى هذه الرؤية بعدت همته وعلا صوته وعز في قومه. وكان ذو القرنين إذا مر بقرية زار فيها كما يزار الأسد

المغضب فينبعث في القرية ظلمات ورعد وبرق وصواعق يهلك من خالفه، كل ذلك بمعاجز أيده الله سبحانه بها.

وأما قصته مع الخضر □ فقليل له إن الله في أرضه عيناً يقال لها عين الحياة لا يشرب منها ذو روح إلا لم يمت حتى الصيحة، فدعا ذو القرنين الخضر وكان أفضل أصحابه عنده ودعا ثلاثمائة وستين رجلاً ودفع إلى كل واحد منهم سمكة وقال لهم اذهبوا إلى موضع كذا وكذا فإن هناك ثلاثمائة وستين عيناً فيغسل كل واحد سمكته في عين غير عين صاحبه فذهبوا يغسلون وقعد الخضر يغسل فانسابت منه السمكة في العين وبقي الخضر متعجباً مما رأى وقال في نفسه: ما أقول لذي القرنين. ثم نزع ثيابه يطلب السمكة فشرب من مائها واغتمس فيه ولم يقدر على السمكة فرجعوا إلى ذي القرنين فأمر ذو القرنين بقبض السمك من أصحابه فلما انتهوا إلى الخضر لم يجدوا معه فدعاه وقال له: ما حال السمكة فأخبره الخبر. فقال له: ماذا صنعت ؟. قال: اغتستمت فيها فجعلت أغوص وأطلبها فلم أجدها. قال: فشربت من مائها ؟. قال: نعم. قال: فطلب ذو القرنين العين فلم يجدها فقال للخضر كنت أنت صاحبها.

وأما قصته مع يأجوج ومأجوج فهم قوم من أقوام الروم ذكرت لهم في الكتب التاريخية عدة أوصاف، ومنها: أن طولهم طول الغلمان لا يتجاوزون خمسة أشبار، وهم على مقدار واحد في الخلق والصور عراة حفاة لا يغزلون ولا يلبسون ولا يحتذون، عليهم وبر كوبر الإبل يواريههم ويستترهم من الحر والبرد، ولكل واحد

منهم أذنان إحداهما ذات شعر والأخرى ذات وبر، ظاهرهما وباطنهما، ولهم مخالب في موضع الأظفار، وأضراس وأنياب كالسباع، وإذا نام أحدهم افترش إحدى أذنيه والتحف الأخرى فتسعه لحافاً، وهم يرزقون نون البحر كل عام يقذفه عليهم السحاب فيعيشون به ويستمتطون في أيامه كما يستمطر الناس المطر في أيامه، فإذا قذفوا به أخصبوا وسمنوا وتوالدوا وأكثروا فأكلوا منه إلى الحول المقبل ولا يأكلون معه شيئاً غيره وإذا أخطأهم النون جاعوا وساحوا في البلاد فلا يدعون شيئاً أتوا عليه إلا أفسدوه وأكلوه وهم أشد فساداً من الجراد والآفات وإذا أقبلوا من أرض إلى أرض جلا أهلها عنها وليس يغلبون ولا يدفعون حتى لا يجد أحد من خلق الله موضعاً لقدمه ولا يستطيع أحد أن يدنو منهم لنجاستهم وقذارتهم فبذلك غلبوا. وإذا أقبلوا إلى الأرض يسمع حسهم من مسيرة مائة فرسخ لكثرت كما يسمع حس الريح البعيدة ولهم همهمة إذا وقعوا في البلاد كههممة النحل إلا أنه أشد وأعلى وإذا أقبلوا إلى الأرض حاشوا وحوشها وسباعها حتى لا يبقى فيها شيء لأنهم يملئون ما بين أقطارها ولا يتخلف وراءهم من ساكن الأرض شيء فيه روح إلا اجتلبوه وليس فيهم أحد إلا وعرف متى يموت وذلك من قبل أنه لا يموت منهم ذكر حتى يولد له ألف ولد ولا تموت أنثى حتى تلد ألف ولد فإذا ولدوا الألف برزوا للموت وتركوا طلب المعيشة.

من هنا وعندما وصل ذو القرنين لبلاد الروم اشتكت أممهم من هذه الأمة الملعونة فقالوا له فقد بلغنا ما آتاك الله من الملك والسلطان وما أيدك به من الجنود ومن النور والظلمة وإنا جيران يأجوج ومأجوج وليس بيننا وبينهم سوى هذه الجبال وليس لهم إلينا طريق إلا من هذين الجبلين لو مالوا علينا أجلونا من بلادنا ويأكلون يفرسون الدواب والوحوش كما يفرسها السباع ويأكلون حشرات الأرض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح ولا نشك أنهم يملئون الأرض ويملون أهلها منها ونحن نخشى كل حين أن يطلع علينا أوائلهم من هذين الجبلين وقد آتاك الحيلة والقوة فاجعل بيننا وبينهم سداً. فقال لهم ما تقدم في الآيات السابقة فقد دعى بزبر أي قطع من الحديد بعد أن دلهم على هذا المعدن والنحاس فضرب لهم في جبلين حتى فتقهما واستخرج منهما معدنين من الحديد والنحاس. قالوا فبأي قوة نقطع هذا الحديد والنحاس فاستخرج لهم من تحت الأرض معدناً آخر يقال له السامور وهو أشد شياً بياضاً وليس شياً منه يوضع على شياً إلا ذاب تحته فصنع لهم منه أداة يعملون بها وبه قطع سليمان بن داود أساطين بيت المقدس وصخوره جاءت بها الشياطين من تلك المعادن فجمعوا من ذلك ما اكتفوا به فأوقدوا على الحديد النار حتى صنعوا منه زبراً مثل الصخور فجعل حجارتها من حديد ثم أذاب النحاس فجعله كالطين لتلك الحجارة ثم بنى وقاس ما بين الجبلين فوجده ثلاثة أميال فحفروا له أساساً حتى كاد يبلغ الماء وجعل عرضه ميلاً وجعل حشوه زبر الحديد وأذاب النحاس فجعله خلال الحديد فجعل طبقة من نحاس وأخرى من حديد ثم

ساوى الردم بطول الصدفين فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرة وسواد الحديد فيأجوج يأتونه في كل سنة مرة وذلك أنهم يسيحون في بلادهم حتى إذا وقعوا إلى الردم حبسهم فرجعوا يسيحون في بلادهم فلا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة فإذا جاء أشراطها وهو قيام القائم الحجة بن الحسن المهدي عجل الله فرجه فتحه الله عز وجل لهم.

أقول: إن هذه الأقوام بتلك الأوصاف الخيالية مضافاً للسد الذي بناه ذو القرنين □ مما لا وجود له في زماننا، إلا على نحو من المجازية والكنائية فمن حيث الأوصاف الجسمية يمكن أن تكون قصر قاماتهم كناية عن التجهيزات الحربية التي يتجهز بها جيوش هؤلاء التي قد يبدو من يتجهز بها قصير القامة فيبدون على مقدار واحد في الخلق والصور. وأما كونهم عراة حفاة لا يلبسون ولا يحتذون فهو إشارة إلى حالة الإباحية المغزية التي تعيشها هذه المجتمعات. وأما الأذنان فهم جواسيسهم وعملائهم المنتشرون في العالم، وأما مخالبهم وأضراسهم فهي ترسانتهم العسكرية التي يفتكون ويبطشون بها كل من يخالف سياساتهم الظالمة. وأما السد فهو الرعاية واللطف الإلهي بوجود القائم من آل محمد صلوات الله عليه وآله الذي يحفظ به العباد والبلاد من شرور هؤلاء الذين عاثوا في الدنيا فساداً وضلالاً وسفكاً للدماء وهتكاً للأعراض وانتهاكاً للشرائع والأحكام، فلا بد لهذا السد من يوم تتفجر من خلاله أنوار الحق القدسة لتبتدئ ما نعيشه اليوم من ظلمات هذه الأقوام البائسة بعونه سبحانه وتقدس.

نبوة يعقوب □

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح □. قال عز وجل: [وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ] ⁽⁴³⁾. وولادته كانت في فلسطين وهي الأرض المقدسة التي قدسها الله سبحانه كونها مسكن إسحاق وولادة يعقوب ويوسف □، كما أنه المسمى بإسرائيل ومنه أنبيائهم. ثم أنه تعالى ابتلى يعقوب بالحزن والبكاء على فقد ابنه يوسف □ وكان في سبب هذا البلاء عدم إطعامه لسائل صادق لم يعلم به، فقد روى أبو حمزة الثمالي، قال: صليت مع علي بن الحسين صلوات الله عليهما الفجر يوم الجمعة، فنهض إلى منزله وأنا معه، فدعا مولاة له فقال: [لا يقف اليوم على بابي سائل إلا أطعمتموه، فإن اليوم يوم الجمعة]. قلت: ليس كل سائل محق. فقال: [أخاف أن يكون بعض من يسألنا محققاً فلا نطعمه ونردّه، فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله □ أطعموهم، إن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً، فيتصدق منه ويأكل هو وعياله منه، وأن سائلاً مؤمناً صواماً قواماً محققاً له عند الله منزلة كان مجتازاً غريباً إعتز بباب يعقوب عشية الجمعة عند أوان إفطاره، فتهتف على بابه: أطعموا السائل الغريب الجائع من فضل طعامكم. فلما يئس شكا جوعه إلى الله تعالى

وبات خاوياً وأصبح صائماً، وباب يعقوب وآله شباعاً بطاناً، وأصبحوا عندهم فضلة من طعام، فأوحى الله تعالى إلى يعقوب صلوات الله عليه : استوجبت بلوأي أو ما علمت أنّ البلوى إلى أوليائي أسرع منها إلى أعدائي، وذلك حسن نظرمي لأوليائي، استعدّ والبلائي..[.

أقول: وهذا لا ينافي عصمته فإنها لا تدل على علمه بالسائل بدليل تصدقه في كل يوم على الفقراء والمساكين من لحم هذا الكبش تقرباً لله سبحانه، ولو فرضنا أنه يعلم فكان لعدم إطعامه حكمة وتديباً إلهياً كان سبباً في رؤيا يوسف □ وما رافقها من بلاء على آل يعقوب عليه و□. هذا مع أن المعاجز والكرامات لم تنقطع عن يعقوب □ بعد هذه الحادثة ولا لحظة فكان الحجة في زمانه، فعن محمد بن مسلم، قال : قلت لأبي جعفر □ : أخبرني عن يعقوب □ كم عاش مع يوسف بمصر بعدما جمع الله ليعقوب شمله، وأراه تأويل رؤيا يوسف الصادقة ؟ قال : [عاش حولين]، قلت : فمن كان الحجة في الارض، يعقوب أم يوسف ؟ قال : [كان يعقوب الحجة، وكان الملك ليوسف، فلمّا مات يعقوب صلوات الله عليه حمله يوسف في تابوت إلى ارض الشام، فدفنه في بيت المقدس، وكان يوسف بعد يعقوب الحجة]، قلت : فكان يوسف رسولاً نبياً ؟ قال : [نعم أما تسمع قول الله تعالى : ولقد جائكم يوسف من قبل بالبينات .[.

هذا وأنه كان عالماً بالملكيدة التي دبرها أولاده ليوسف □، قال حنان بن سدير عن أبيه قال : قلت لأبي جعفر صلوات الله عليه : أخبرني عن يعقوب □ حين قال لولده : (يا بني اذهبوا فتجسسوا من يوسف وأخيه)، أكان عالماً بأنه حي ؟ قال : [نعم]. قلت : فكيف ذلك ؟ قال : [ان هبط عليه ملك الموت . قال يعقوب □ ليوسف : حدثني كيف صنع بك إختوك ؟ قال : يا ابت دعني، فقال أقسمت عليك إلا أخبرتي، قال : أخذوني فأقعدوني على رأس الحب، ثم قالوا لي : انزع قميصك، قلت لهم : إني أسألكم بوجه يعقوب ألا تنزعوا قميصي، وتبدوا عورتي، فرفع فلان عليّ السكين وقال : انزع، فصاح يعقوب □ وسقط مغشياً عليه ثم أفاق فقال : يا بني كيف صنعوا بك ؟ قال : إني أسألك بآل إبراهيم وإسحاق وإسماعيل إلا أعفيتني عنه، فتركه].

أقول : أما أسمائهم؛ زوتيل، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وزبالون ويشجر، ونفتالي، وزبالون، وروبييل وأمهم إليا ابنة خالة يعقوب، ثم توفت إليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين. وبنى أكثر المفسرين على أن إخوة يوسف كانوا أنبياء. وقال بعضهم لم يكونوا أنبياء إنما الأنبياء لا تقع منهم القبائح والمعاصي، وهو الصحيح ولكنهم كانوا آباء لأنبياء، كما في لاوي الذي من ذريته موسى وهارون، ويهوذا الذي من ذريته داود وسليمان وهكذا. هذا مع أنهم كانوا يعلمون بعلم أبيهم بما فعلوه بأخيهم ولكنهم عمدوا إلى خديعة

أخرى وهي إتيانهم بدم كذب متهمين ذنباً بأكل أخيه، حيث ورد عن إمامنا الباقر [في قوله تعالى: [وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ]: [قالوا إنهم ذبحوا جدياً على قميصه قالوا نعمد إلى قميصه فنلطخه بالدم ونقول لأبينا إن الذئب أكله فلما فعلوا ذلك قال لهم لاوي يا قوم أ تظنون أن الله يكتم هذا الخبر عن نبيه يعقوب فقالوا وما الحيلة قال نقوم ونغتسل ونصلي جماعة ونتضرع إلى الله تعالى أن يكتم ذلك عن أنبيائه إنه جواد كريم فاغتسلوا وكان في سنة إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنهم لا يصلون جماعة حتى يبلغوا أحد عشر رجلاً فيكون واحد منهم إماماً وعشرة يصلون خلفه قالوا كيف نصنع وليس لنا إمام فقال لاوي نجعل الله إمامنا فصلوا وبكوا وتضرعوا وقالوا يا رب اكتم علينا هذا. ثم جاءوا إلى أبيهم عشاء يكون معهم القميص قد لطحوه بالدم فقالوا: (يا أبانا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ أَي نَعْدُو وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) الآية فقال يعقوب ما كان أشد غضب ذلك الذئب على يوسف وأشفقه على قميصه حيث أكل يوسف ولم يمزق قميصه. (44).

نبوة يوسف

(44) بحار الأنوار (12 / 277) ، برقم : (50) عن العلل مع اختلاف يسير في السند والمتن .

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروخ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح □. قال سبحانه: **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** * قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * **وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** * **لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ** ⁽⁴⁵⁾. وقد تقدم شيء في نبوة أبيه □ وحال أخوته وأما هذه الرؤيا فإن أسماء هذه الكواكب كما جاء عن تفسير علي بن إبراهيم مسنداً إلى جابر بن عبد الله الأنصاري، وهي؛ الطارق وحبان والذئال وذو الكتفين ووثاب وقابس وعموران وفيلق ومصبح والصبح والغروب والضياء والنور يعني الشمس والقمر وكل هذه محيطة بالسماء. وكانت هذه الرؤيا بمنزلة الإخبار بنبوة يوسف □ الذي كان من أحب الأولاد لأبيه وأرفعهم شأنًا ومنزلةً حتى دخل في قلوبهم الحسد وكان في أمرهم ما كان حتى باعوه لعزيز مصر بثمن بخس كما عبرت الآية، وقد جاء عن مولانا الإمام الرضا أنها كانت عشرين درهماً وهي قيمة كلب الصيد إذا قتل.

أقول: المشهور بين الأصحاب هو أن في كلب الغنم عشرين درهماً، وفي كلب الصيد أربعين أو القيمة فيهما أما البائعون فهم إخوته. وقيل باعه الواجدون بمصر. وقيل إن الذين أخرجوه من الجب باعوه من السيارة والأصح الأول.

وأما ما يتعلق بحال يوسف □ في قصر العزيز وأمراته زليخا وما جرى فيه من حادثة المراودة وكيفية أنه: (هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) فقد جاء في الرواية أنه رأى صورة يعقوب في ناحية البيت عاضاً على إصبعه يقول يا يوسف أنت في السماء مكتوب في النبئين وتريد أن تكتب في الأرض من الزناة فعلم أنه قد أخطأ وتعدى. وفي ثانية أن زليخا قامت إلى صنم في بيته فألقت عليه ثوباً وقالت لا يرانا فإني أستحي منه، فقال يوسف أفأنت تستحين من صنم لا يسمع ولا يبصر وأنا لا أستحي من ربي فوثب وعدا وعدت من خلفه وأدركهما العزيز على هذه الحالة وهو قوله عز وجل: [وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ] . فبادرت امرأة العزيز فقالت له: [مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] . فقال يوسف للعزيز: [هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي] . فألهم الله يوسف أن قال للملك سل هذا الصبي في المهد فإنه يشهد أنها راودتني عن نفسي، فقال العزيز للصبي فأنطق الله الصبي في المهد ليوسف حتى قال: [إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ] . فلما

رأى العزيز قميص يوسف قد تخرق من دبر قال لامرأته: [إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ] . ثم قال ليوسف: [أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ] . فشاع الخبر بمصر وجعلن النساء يتحدثن بحديثها ويعذلنها وهو قوله تعالى: [وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا] . فبلغ ذلك امرأة العزيز فبلغت إلى كل امرأة رئيسة فجمعن في منزلها وهيأت لهن مجلساً ودفعت إلى كل امرأة أترجة وسكيناً، فقالت أقطعن، ثم قالت ليوسف اخرج عليهن فلما نظرن إليه أقبلن يقطعن أيديهن وقلن: [إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ] فقالت امرأة العزيز فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ] . فما أمسى يوسف في ذلك اليوم حتى بعثت إليه كل امرأة رأته تدعوه إلى نفسها فضجر.

أقول: إن ما تقدم من سببي تذكير يوسف سواء من طرف أبيه وصورته، أم من طرف زليخا وصنمها، فهو من باب التأكيد لا التأسيس لأمر جديد، لأن عصمة يوسف □ راسخة في نفسه رسوخ إيمان واعتقاد بتفصيل تقدم. وأما الصبي الذي شهد فهو كان ابن أخت زليخا وقد نطق بإلهام من الله سبحانه أيضاً. هذا مع أن شيوع هذا الخبر وانتشاره في مصر فلا يحتمل في نشره نفس الأشخاص الذين كانوا حاضرين أما يوسف فواضح، وأما غيره فهو يعد عليهم نقصاً، فيحتمل غير بعيد أنه انتشر بالإعجاز الإلهي لما فيه من مقدمة لحبس يوسف وسجنه وما يترتب عليه من آثار عظيمة. وأما انطاق الصبي الذي كان

ابن اخت زليخا فهي مسألة مطردة حدثت كثيراً في قصص الأنبياء وأخبارهم عندما تتعلق مشيئة الله سبحانه بنصرة أوليائه وتصديقهم، ومنها حادثتان مرويتان عن سيدنا ومولانا الإمام الباقر عليه السلام:

الأولى: أخبرنا أبي علي بن الحسين عليه السلام حدثني جابر بن عبد الله، قال : سمعت سلمان الفارسي رضي الله عنه يحدث أنه كان في ملوك فارس ملك يقال له : روزين جبار عنيد عات، فلما اشتد في ملكه فساد في الأرض، ابتلاه الله بالصّداق في شقّ رأسه الأيمن حتّى منعه من المطعم والمشرب، فاستغاث وذللّ ودعا وزراءه، فشكى إليهم ذلك فأسقوه الأدوية وآيس من سكونه . فعند ذلك بعث الله نبياً فقال له : اذهب إلى روزين عبدي الجبار في هيئة الأطباء وابتدئه بالتّعظيم له والرّفق به، ومنّه سرعة الشّفاء بلا دواءٍ تسقيه ولا كيّ تكويه، وإذا رأيته قد أقبل وجهه إليك، فقل : إنّ شفاء دائك في دم صبيّ رضيع بين أبويه يذبّحانه لك طائعين غير مكرهين، فتأخذ من دمة ثلاث قطرات فتسعط به في منخرك الأيمن تبرأ من ساعتك، ففعل النّبي ذلك فقال الملك : ما أعرف في النّاس هذا، فقال : إنّ بدّلت العطيّة وجدت البغيّة قال : فبعث الملك بالرّسل في ذلك، فوجدوا جنيماً بين أبويه محتاجين، فأرغبهما في العطيّة، فانطلقا بالصّبي إلى الملك، فدعا بطاس فضّة وشفرة، وقال لأمه : امسكي ابنك في حجرك . فانطلق الله الصّبيّ وقال : أيّها الملك كّفهما عن ذبحي فبئس الوالدان هما، أيّها الملك : إنّ الصّبي الضّعيف إذا ضيم كان أبواه يدفعان عنه، وأنّ أبويّ ظلماني،

فأيّاك أن تعينهما على ظلمي . ففزع الملك فزعاً شديداً، أذهب عنه الداء، ونام روذين في تلك الحالة، فرآى في التّوم من يقول له : الإله الأعظم أنطق الصّبيّ، ومنعك ومنع أبويه من ذبحه، وهو ابتلاك الشّقيقة لنزعك من سوء السّيرة في البلاد، وهو الذي ردّك إلى الصّحة، وقد وعظك بما أسمعك . فانتبه ولم يجد وجعاً، وعلم أنّ كلّ من الله تعالى، فسار في البلاد بالعدل (46).

الثانية: أن أسقف نجران دخل على أمير المؤمنين □ فجرى ذكر أصحاب الأخدود، فقال □ : بعث الله نبياً حبشياً إلى قومه وهم حبشة، فدعاهم إلى الله تعالى، فكذبوه وحاربوه وظفروا به وخذّوا، وجعلوا فيها الحطب والنّار . فلمّا كان حرّاً قالوا لمن كان على دين ذلك النّبي □ : اعتزلوا وإلّا طرحناكم فيها، فاعتزل قوم كثير، وقذف فيها خلق كثير، حتّى وقعت امرأة ومعها ابن لها من شهرين، فقيل لها : إمّا أن ترجعي وإمّا أن تقذفي في النّار، فهمت أن تطرح نفسها في النّار، فلمّا رأت ابنها رحمته، فأنطق الله تعالى الصّبي، وقال : يا اماء ألقي نفسك وإيّاي في النّار، فإنّ هذا في الله قليل (47). وسيأتي تفصيل ذلك في نبوة دانيال □.

(46) بحار الأنوار (14 / 514 . 515)، برقم : (3) .

(47) بحار الأنوار (14 / 439)، برقم : (2) . وأما ما يتعلق بأصحاب الأخدود فقد اختلف في اسم نبيهم هذا وقد جاء عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام عن الباقر عليه السلام قال : ولّى عمر رجلاً كورة من الشّام ، فافتتحها وإذا أهلها أسلموا ، فبنى لهم

ثم أن يوسف □ كان قد سجن وقد ألهمه الله سبحانه علم تأويل الرؤى والأحلام ابتداءً برؤيا السجينين الذين سجنوا معه وانتهاءً برؤيا ملك مصر؛ أما رؤيا السجينين فإنه قد رأى أحدهما أنه يعصر خمراً قال يوسف تخرج من السجن وتصير على شراب الملك و ترتفع منزلتك عنده، وقال الآخر إني أرى في المنام أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل منه الطير ولم يكن رأى ذلك. فقال له يوسف أنت يقتلك الملك يصلبك وتأكل الطير من دماغك. فجدد الرجل وقال إني لم أر ذلك فقال له يوسف: [قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ] . فلما أراد من رأى في نومه أنه يعصر خمراً الخروج من الحبس قال له يوسف: [اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ] . فكان كما قال الله عز وجل: [فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ] . هذا مع أن يوسف

مسجداً فسقط ثم بناه فسقط . فكتب إلى عمر بذلك ، فلما قرأ الكتاب سأل أصحاب محمد صَلَّى الله عليه وآله هل عندكم في هذا علم ؟ قالوا : لا ، فبعث إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فأقرأه الكتاب فقال : هذا نبيّ كذّبه قومه ، فقتلوه ودفنوه في هذا المسجد ، وهو متشحط في دمه ، فاكتب إلى صاحبك فلينبشه ، فإنه سيجده طريقاً ليصل عليه وليدفنه في موضع كذا ، ثم لين مسجداً ، فإنه سيقوم ، ففعل ذلك ، ثم بنى المسجد فثبت . وفي رواية : اكتب إلى صاحبك أن يحفر ميمنة أساس المسجد ، فإنه سيصيب فيها رجلاً قاعداً يده على أنفه ووجهه ، فقال عمر : من هو ؟ قال عليّ عليه السلام : فاكتب إلى صاحبك فليعمل ما أمرته ، فان وجده كما وصفت لك أعلمتك إنشاء الله ، فلم يلبث إذ كتب العامل أصبت الرجل على ما وصفت ، فصنعت الذي أمرت فثبت البناء ، فقال عمر لعليّ عليه السلام : ما حال هذا الرجل ؟ فقال : هذا نبيّ اصحاب الأخدود . بحار الأنوار (14 / 440) ، برقم : (3 و4) . واثبات الهداة (2 / 364) ، برقم : (214) من الباب (11) الفصل (21) .

□ في فترة سجنه هذا كان من البكائين كما ورد في الأحاديث الشريفة، فعن أبي عبد الله □، قال: [ما بكى أحد بكاء ثلاثة آدم ويوسف وداود، أما آدم فبكى حين أخرج من الجنة وكان رأسه في باب من أبواب السماء فبكى حتى تأذى به أهل السماء فشكوا ذلك إلى الله فحط من قامته. وأما داود فإنه بكى حتى هاج العشب من دموعه وإن كان ليزفر الزفرة فيحرق ما نبت من دموعه. وأما يوسف فإنه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السجن فتأذى به أهل السجن فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً].

أقول: أما مسألة قول يوسف □ للسجين الناجي: (اذكري عند ربك) فهو لا ينافي وذلك لأن المنافي هو ترك الصبر والتوكل على الله سبحانه والاستغاثة بغيره على سبيل الاستقلال، وأما الاستغاثة من الغير ولو كان ظالماً فهو جائز بلا إشكال فيما لو ترتب على ذلك دفع المضرة والمفسدة. ولو سلمنا مبعوضة ذلك فإن الله سبحانه علم نبيه طريقاً أعلى وأكماً وأتم مما تقدم وهو التوسل والاستغاثة بآل محمد □ من أجل رفع هذا البلاء، فورد عن هشام بن سالم، قال: قلت لأبي عبد الله صلوات الله عليه: ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف ؟ قال: [حزن سبعين ثكلى]، قال: [ولما كان يوسف صلوات الله عليه في السجن دخل عليه جبرئيل □، فقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ابْتَلَاكَ وَابْتَلَى أَبَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ يَنْجِيكَ مِنْ هَذَا السَّجْنِ، فَاسْأَلِ اللَّهَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ أَنْ يَخْلُصَكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ، فَقَالَ يَوْسُفُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا عَجَلْتَ

فرجني وأرحتني ممّا أنا فيه . قال جبرئيل □ : فابشر أيّها الصّديق، فإنّ الله تعالى أرسلني إليك بالبشارة بأنّه يخرجك من السّجن إلى ثلاثة أيّام، ويملكك مصر وأهلها تخدمك أشرفها، يجمع إليك أخوتك وأباك، فابشر أيّها الصّدّيق إنّك صفيّ الله وابن صفيّه..[.

وأما مسألة كثرة البكاء فلأن هؤلاء الأنبياء العظام وغيرهم بمقتضى عصمتهم لا يكون البكاء صادراً عن حالة عاطفية متعلّقة الأمور الدنيوية والتشبهت بها، وإنما يكون طبقاً للأمر الإلهي بالبكاء وما يترتب عليه من فوائد عظيمة خلقية وأخلاقية توجب ذلة المخلوق أمام خالقه وتصاغره تجاهه بحيث لا يرى لنفسه قيمة أو منزلة ولو بالدقة. وفعلاً كانت حالة الأنبياء أما خالقهم وربهم الذي اختارهم وكلفهم بهذه المهمة العظيمة. هذا مع أن هناك أسباب ظاهرة قد جعلها الله سبحانه لتكون مدعاة لهذه الحالة العامة لعباد الله تعالى الصالحين، فمثلاً ما تقدم من بكاء آدم فمعلل بخروجه من الجنة المقتضي لبعده بحسب الظاهر عن مقام القرب والإنس الإلهي الذي كان يحظى به. وأما بكاء يوسف بحق أبيه □ فلما بين الوالد وابنه من صلة وعلاقة لا يمكن انفكاها. وأما بكاء داود □ فهو وإن كان محل خلاف ولكن ظاهره مضافاً لما قدمناه من كبروية الحالة المعنوية التي يشعر بها هؤلاء المعصومون بينهم وبين ربهم ما يأتي في نبوته.

وأما رؤيا الملك التي رآها وأفزعته ولم يستطع أحد من تأويلها فقد تذكر الغلام الذي نجي من السّجن يوسف □، فقال له : أيّها الملك أرسلني إلى

السَّجَن، فَإِنَّ فِيهِ رَجُلًا لَمْ يَرِ مِثْلَهُ حَلَمًا وَعَلِمًا وَتَفْسِيرًا، وَقَدْ كُنْتُ أَنَا وَفُلَانُ غَضِبْتُ عَلَيْنَا وَأَمَرْتُ بِحَبْسِنَا رَأَيْنَا رُؤْيَا، فَعَبَّرَهَا لَنَا وَكَانَ كَمَا قَالَ، ففُلَانُ صَلَبَ وَأَمَّا أَنَا فَنَجَوْتُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : انْطَلِقْ إِلَيْهِ، فَدَخَلَ وَقَالَ : يَا يُوسُفُ : (أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ) فَلَمَّا بَلَغَ رِسَالَةَ الْمَلِكِ يُوسُفُ الْمَلِكُ قَالَ : (اِئْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي) فَلَمَّا بَلَغَ يُوسُفُ رِسَالَةَ الْمَلِكِ قَالَ : كَيْفَ أَرْجُو كِرَامَتَهُ وَقَدْ عَرَفَ بَرَأءَتِي وَحَبْسَنِي سَنِينَ، فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ أَرْسَلَ إِلَى النَّسُوءِ فَقَالَ مَا خَطْبُكَ : (قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ) . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَخْرَجَهُ مِنَ السَّجَنِ، فَلَمَّا كَلِمَهُ أَعْجَبَهُ كَمَالُهُ وَعَقْلُهُ، فَقَالَ لَهُ : أَقْصِصْ رُؤْيَايَ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهَا مِنْكَ، فَذَكَرَهُ يُوسُفُ كَمَا رَأَى وَفَسَّرَهَا . قَالَ الْمَلِكُ : صَدَقْتَ فَمَنْ لِي بِجَمْعِ ذَلِكَ وَحِفْظِهِ ؟ فَقَالَ يُوسُفُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنِّي مَدْبَرُهُ وَالْقَيِّمُ بِهِ فِي تِلْكَ السَّنِينَ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : صَدَقْتَ دُونَكَ خَاتَمِي وَسِرِيرِي وَتَاجِي .

أقول: إن لتعبير هذه الرؤيا شبهاً بتعبير نبي الله دانيال □ لنبوخذ نصر في رؤياه على تفصيل آت. مع أن ما قام به يوسف من تدبير ينم عن حكمة وسداد جعل أهل مصر ينقادون إليه ويتدينون بدينه حتى ملكهم، فقد جاء في الرواية أنه يوسف □ كان قد جمع الطعام في السنين التي كثر فيها الرزق في الخزائن، وما أن أقبلت السنين العجاف فقام على بيع الطعام، فباعهم في السنة الأولى بالدرهم والدينار، حتى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم إلا صار في مملكة يوسف، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر

حليّ ولا جوهر إلّا صار في مملكته، وباعهم في السّنة الثالثة بالدّواب والمواشي حتّى لم يبق بمصر وما حولها دابّة ولا ماشية إلّا صارت في مملكة يوسف، وباعهم في السّنة الرّابعة بالعبيد والإماء حتّى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا أمة إلّا وصار في مملكة يوسف، وباعهم في السّنة الخامسة بالدّور والعقار حتّى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار إلّا صار في مملكة يوسف، وباعهم في السّنة السادسة بالمزارع والأنهار حتّى لم يبق بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة إلّا صار في مملكة يوسف □، وباعهم في السّنة السّابعة برفاقهم حتّى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حرّ إلّا صار في مملكة يوسف □ وصاروا عبيدًا له . فقال يوسف للملك : ما ترى فيها خوّلي ربّي ؟ قال : الرّأي رأيك، قال : إنّني أشهد الله وأشهدك أيّها الملك إنّني أعتقت أهل مصر كلّهم، ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم، ورددت عليك خاتمك وسريرك وتاجك على أن لا تسير إلّا بسيرتي، ولا تحكم إلّا بحكمي، فאלله أنجاهم على يديّ، فقال الملك : إنّ ذلك لديني وفخري، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّك رسوله، وكان من إخوة يوسف وأبيه □ ما ذكرته.

وأما ما يتعلق بامرأة العزيز زليخا وقضية زواجها بيوسف □ فقد روي عن بعض اصحابنا يرفعه، قال : إنّ امرأة العزيز احتاجت، فقيل لها : لو تعرّضت ليوسف صلوات الله عليه، فقعدت على الطّريق، فلمّا مرّ بها قالت : الحمد لله

الَّذِي جَعَلَ الْعَبِيدَ بِطَاعَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ مَلُوكًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَلُوكَ بِمَعْصِيَتِهِمْ عِبِيدًا، قَالَ : [مَنْ أَنْتَ ؟] . قَالَتْ : أَنَا زَلِيخَا فَتَزَوَّجْهَا .

أقول : إن ظاهر قول زليخا المتقدم التدين بدين يوسف ﷺ واعترافها المطلق بقدرة الله سبحانه وحسن ابتلائه، فجعل ذلك سبباً لزواجها، مع أن هناك سبباً آخر أعمق وهو إيمانها وتصديقها بنبوة نبي آخر الزمان محمد عليه وآله السلام، فقد ورد أنها ستأذنت لتدخل على يوسف ﷺ، فقبل لها : إِنَّا نَخَافُ بِقَدَمِ أَنْ تَقْدَمِي عَلَيْهِ لِمَا كَانَ مِنْكَ، قَالَتْ : أَنَا لَا أَخَافُ مِنْ يَخَافُ اللَّهُ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَ لَهَا : [يَا زَلِيخَا مَا لِي أَرَاكَ قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُكَ]، قَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَلُوكَ بِمَعْصِيَتِهِمْ عِبِيدًا، وَجَعَلَ الْعَبِيدَ بِطَاعَتِهِمْ مَلُوكًا . قَالَ لَهَا : [مَا الَّذِي دَعَاكَ إِلَى مَا كَانَ مِنْكَ ؟] قَالَتْ : حَسَنَ وَجْهِكَ يَا يُوسُفَ، قَالَ : [فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتَ نَبِيًّا يُقَالُ لَهُ : مُحَمَّدٌ ﷺ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَكُونُ أَحْسَنَ مِنِّي وَجْهًا، وَأَحْسَنَ مِنِّي خَلْقًا، وَأَسْمَحَ مِنِّي كَفًّا]، قَالَتْ : صَدَقْتَ، قَالَ : [فَكَيْفَ عَلِمْتَ أَنِّي صَدَقْتُ ؟] قَالَتْ : لِأَنَّكَ حِينَ ذَكَرْتَهُ وَقَعَ حَبَّةٌ فِي قَلْبِي، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى يُوسُفَ أَنَّهَا صَدَقْتَ إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُهَا لِحُبِّهَا مُحَمَّدٌ ﷺ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَتَزَوَّجَهَا .

وأما قبيل وفاته فإنه قد بشر بظهور موسى ﷺ لما يلاقيه آل يعقوب من بعده، فعن محمد الحلبي عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال : [إن يوسف بن يعقوب صلوات الله عليهما حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلاً، فقال : إن هؤلاء القبط سيظهرون عليكم، ويسومونكم سوء العذاب، إنما ينجيكم الله برجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن عمران بن فاهث بن لاوي، غلام طوال، جعد الشعر، آدم اللون، فجعل الرجل من بني إسرائيل، يسمي ابنه عمران، ويسمي عمران ابنه موسى..].

أقول: كانت النبوة من صلب لاوي بينما كان الملك من صلب يوسف ﷺ، وسببه أن يوسف ﷺ كان قد بعث مع البشير الذي بشر أبيه يعقوب ﷺ بمأتي راحلة مع ما يحتاج إليه في السفر - على ما حكاه الطبرسي - وسألهم أن يأتوه بأهلهم أجمعين ولما دنا كل واحد منهما من صاحبه بدأ يعقوب ﷺ بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الأحرار. فنزل جبرئيل ﷺ - على ما في تفسير علي بن إبراهيم - فقال: يوسف أخرج يدك. فأخرجها فخرج من بين أصابعه نور. فقال يوسف: ما هذا يا جبرئيل؟. فقال: هذه النبوة أخرجها الله من صلبك، لأنك لم تقم إلى أبيك فحط الله نوره ومحا النبوة من صلبه وجعلها في ولد لاوي أخي يوسف وذلك، لأنهم لما أرادوا قتل يوسف قال لا تقتلوه وألقوه في غيابة الجب، فشكر الله له ذلك.

نبوة أيوب ☐:

أيوب بن موص بن رزاح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح ☐. وأمه بنت لوط ☐، وعن وهب بن منبه اليماني، قال : إِنَّ شَعِيْباً وَأَيُّوبَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَبَلَعَمَ بَنَ بَاعُورَا كَانُوا مِنْ وَلَدِ رَهْطِ آمَنُوا لِإِبْرَاهِيمَ يَوْمَ أُحْرِقَ فَنَجَا، وَهَاجَرُوا مَعَهُ إِلَى الشَّامِ، فَزَوَّجَهُم بَنَاتُ لُوطَ، فَكُلُّ نَبِيٍّ كَانَ قَبْلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعْدَ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ نَسْلِ أَوْلَئِكَ الرِّهْطِ. وَأَمَّا امْرَأَتُهُ فَاسْمُهَا " لِيَا " بِنْتُ يَعْقُوبَ. وَقِيلَ رَحْمَةُ بِنْتُ أَفْرَائِيمَ، وَقِيلَ لِيَا بِنْتُ مَنَسَا بْنِ يَوْسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ. قَالَ سَبْحَانَهُ: [وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ] (48). وَقَدْ ابْتَلَاهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِلَاءً عَظِيْمًا فَصَبَرَ صَبْرًا جَمِيْلًا وَكَانَ يَضْرِبُ بِصَبْرِهِ الْمَثَلَ، وَكَانَ لِبَلَائِهِ هَذَا مِنْ دُونِ سَبَبٍ أَوْ عِلَّةٍ وَكَانَ قَدْ شَمِتَ فِيهِ النَّاسُ وَغَيَّرُوهُ وَظَنُّوا فِيهِ أَنَّهُ قَدْ أَذْنَبَ ذَنْبًا اسْتَحَقَّ عَلَيْهِ هَذَا الْبَلَاءِ. حَيْثُ وَرَدَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ : [ابْتَلَى أَيُّوبَ ☐ سَبْعَ سِنِينَ بِلَا ذَنْبٍ]. وَقَالَ : [مَا سَأَلَ أَيُّوبَ ☐ الْعَافِيَةَ فِي شَيْءٍ مِنْ بَلَائِهِ]. وَقَالَ : [قَالَ أَبِي صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ : إِنَّ أَيُّوبَ ابْتَلِيَ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَا يَذْنُبُونَ، لِأَنَّهُمْ

معصومون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً]، وقال: [إن الله تعالى ابتلى أيوب بلا ذنب، فصبر حتى غير، والأنبياء لا يصبرون على التعيير] (49).

أقول: إن دعاء أيوب ﷺ لا يتعارض مع عصمته باعتبار أنه ينافي قلة الصبر والتحمل، وذلك لأنه مضافاً إلى ما تقدم من أن صبر أيوب ﷺ قد وصل إلى درجات عالية وراقية، أن الدعاء أمر مطلوب ومرغوب في كل حال ونحن مأمورون به في دفع الشدائد والصعوبات. أما نوع البلاء فقد جاء في حديث الإمام الصادق ﷺ أنه قال الله جلّ جلاله: [إنّ عبدي أيوب ما أنعم عليه بنعمة إلاّ ازداد شكراً، فقال الشيطان: لو نصبت عليه البلاء، فابتليته كيف صبره، فسلبته على إبله ورقيقه، فلم يترك له شيئاً غير غلام واحد. فأتاه الغلام فقال: يا أيوب ما بقي من إبلك ولا من رقيقك أحد إلاّ وقد مات فقال أيوب: [الحمد لله الذي أعطى، والحمد لله الذي أعطى والحمد لله الذي أخذ]. فقال الشيطان: إنّ خيله أعجب إليه فسلب عليها، فلم يبق منها شيء إلاّ هلك، فقال أيوب: [الحمد لله الذي أعطى، والحمد لله الذي أخذ]. وكذلك ببقرة، وغنمه، ومزارعه، وأرضه، وأهله، وولده، حتى مرض مرضاً شديداً.

وأما شماتة الناس وتعييرهم فقد جاء عنه □ في موضع آخر عن هشام بن سالم، قال: [لما طال بلاء أيّوب □، ورآى إبليس صبره أتى إلى أصحاب له كانوا رهباناً في الجبال، فقال لهم : مرّوا بنا إلى هذا العبد المبتلى نسأله عن بليّته، قال : فركبوا وجاؤوه، فلمّا قربوا منه نفرت بغالهم فقربوها بعضاً إلى بعض، ثم مشوا إليه وكان فيهم شابّ حدث فسلموا على أيّوب وقعدوا، وقالوا : يا أيّوب لو أخبرتنا بذنبك . فلا نرى تبلي بهذا البلاء إلاّ لأمر كنت تستره . قال ايوب صلوات الله عليه : وعزّة ريّ إنّّه ليعلم أنّي ما أكلت طعاماً قط إلا ومعي يتيّم أو ضعيف يأكل معي، وما عرض لي أمران كلاهما طاعة إلاّ أخذت بأشدهما على بدني، فقال الشاب : سوءة لكم عمدتم إلى نبيّ الله، فعنفتموه حتّى أظهر من عبادة ربّه ما كان يسره، فعند ذلك دعا ربّه وقال : ((ربّ إنّني مسّني الشيطان بنصب وعذاب)) (50).

ثم أن امرأته أيضاً كانت من الصابرين لولا صدور زلة منها استوجبت أن يقسم نبي الله سبحانه أن يجلدّها مائة جلدة، حيث روي أنّه لما استحکم البلاء على أيوب من كل وجه صبرت عليه امرأته، فحسدها إبليس على ملازمتها بالخدمة، فقال لها : ألسنت أخت يوسف الصديق ؟ قالت : بلى، قال : فما هذا الجهد وهذه البليّة التي أراكم فيها ؟ قالت : هو الذي فعل بنا ليأجرنا بفضله علينا، لأنّه أعطاه بفضله منعماً ثم أخذه لبيتلينا، فهل رأيت منعماً أفضل

منه ؟ فعلى إعطائه نشكره، وعلى ابتلائه نحمده، فقد جعل لنا الحسينين كلتيهما، فابتلاه ليرى صبرنا، ولا نجد على الصبر قوّة إلا بمعونته وتوفيقه، فله الحمد والمنّة على ما أولانا وابلانا، فقال لها : أخطأت خطأ عظيماً ليس من هيهنا ألحّ عليكم البلاء وأدخل عليها شبيهاً دفعتها كلّها . وانصرفت إلى أيّوب صلوات الله عليه مسرعة وحكت له ما قال اللّعين فقال أيّوب : القائل إبليس لقد حرص على قتلي، إنّي لأقم بالله لا جلدنك مائة لم أصغيت إليه إن شفاني الله. قال ابن عباس : فأحى الله لهما أولادهما وأموالهما وردّ عليه كلّ شيء لهما بعينه، وأوحى الله تعالى إليه : وخذ بيدك ضعفاً فاضرب به ولا تحنث، فأخذ ضعفاً من قضبان وقاف من شجرة يقال لها : الثمام، فبر به يمينه وضربها ضربة واحدة، وقيل : أخذ عشرة منها فضربها بها عشر مرّات، وكان عمر أيّوب ثلاثاً وسبعين قبل أن بصيبه البلاء، فزادها الله مثلها ثلاثاً وسبعين سنة أخرى.

نبوة شعيب □:

شعيب بن ميكيل بن يشجن عيفا بن ثابت ابن مدين بن إبراهيم بن تارخ
 بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام
 بن نوح □. قال سبحانه: [وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا
 لَكُم مِّنْ إِلَٰهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا
 تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ
 لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ مَن آمَنَ بِهِ وَتَبْغُوهَا عِوَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فكَثَرْتُكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ
 كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ
 وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ
 الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِّن
 قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ
 عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ
 يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
 قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ * وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنْ
 اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ

جَاثِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ
الْخَاسِرِينَ [51].

تقدم أنه من الأنبياء العرب وأن إبراهيم قد زوجه ابنة لوط □ فبعثه الله سبحانه إلى أهل مدين العربية الواقعة على أطراف الشام التي لقيه فيها كليم الله موسى □ وما جرى بينهما. وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والثوري أنهم قالوا: كان ضرير البصر، وقد روى في حديث مرفوع: أنه بكى من حب الله حتى عمى، فرد الله عليه بصره، وقال: [يا شعيب أتبكي خوفاً من النار؟ أو من شوقك إلى الجنة؟ فقال: بل من محبتك، فإذا نظرت إليك فلا أبالي ماذا يصنع بي. فأوحى الله إليه: هنيئاً لك يا شعيب لقائي، فلذلك أخدمتك موسى بن عمران كليماً].

وهذا وكان شعيب □ أول من عمل الميزان والمكيال لقومه بعد أن دعاهم إلى طاعة الله سبحانه وتوحيده والعمل على عدم غش الناس بالبيع والشراء حتى كر سنة ورق عظمه، ثم غاب عنهم ما شاء الله، ثم عاد إليهم شاباً؟ وكان أمير المؤمنين □ يكرر هذا الحديث. ولكن بعد أن أعرض قومه عن طاعة الله تعالى وطففوا وغشوا في الميزان آتاهم الله العذاب. فعن ابن عباس، قال: إن الله تعالى بعث شعيباً إلى قومه وكان لهم ملك فاصابه منهم بلاء، فلما رأى الملك أن

القوم قد خصبوا أرسل إلى عمّاله، فحسبوا على النَّاس الطَّعام، وأغلوا أسعارهم، ونقصوا مكائيلهم وموازينهم، وبخسوا النَّاس أشياءهم، وعتوا عن أمر ربِّهم، فكانوا مفسدين في الارض، فلمّا رأى ذلك شعيب صلوات الله عليه قال لهم : ((لا تنقصوا المكيال والميزان إنِّي أرايكم بخير وإنِّي أخاف عليكم عذاب يوم محيط)) فأرسل الملك إليه بالإنكار . فقال شعيب : إنِّي منهّي في كتاب الله تعالى والوحي الذي أوحى الله إلي به : أنّ الملك إذا كان بمنزلك التي نزلتها ينزل الله بساحته نعمته، فلمّا سمع الملك ذلك أخرجهم من القرية، فأرسل الله إليه سحابة فأظلتهم، فأرسل عليهم في بيوتهم السّموم وفي طريقهم الشمس الحارة وفي القرية، فجعلوا يخرجون من بيوتهم وينظرون إلى السّحابة التي قد أظلتهم من أسفلها، فانطلقوا سريعاً كلّهم إلى أهل بيت كانوا يوفون المكايل والميزان ولا يبخسون النَّاس أشياءهم فنصّحهم الله وأخرجهم من بين العصاة، ثم أرسل على أهل القرية من تلك السّحابة عذاباً وناراً فأهلكتهم، وعاش شعيب صلوات الله عليه مائتين واثنين وأربعين سنة.

أقول: ورد عن سهل بن سعيد قال : بعثني هشام بن عبد الملك أستخرج له بئراً في رصافة عبد الملك فحفرنا منها مائتي قامة، ثمّ بدت لنا جمجمة رجل طويل، فحفرنا ما حولها فإذا رجل قائم على صخرة عظيمة عليه ثياب بيض، وإذا كفّه اليمنى على رأسه على موضع ضربة برأسه، فكنا إذا نجينا يده عن رأسه سالت الدّماء، وإذا تركناها عادت فسدت الجرح، وإذا في ثوبه مكتوب : أنا

شعيب بن صالح رسول رسول الله شعيب النبي ﷺ إلى قومه فضربوني وأصروا بي طرحوني في هذا الجبّ وهالوا عليّ التراب فكتبنا إلى هشام بما رأيناه فكتب : أعيّدوا عليه التراب كما كان واحتفروا في مكان آخر. ثم أن الملعون هشام بن عبد الملك هذا قد بعث للإمام الباقر ﷺ إلى الشام يسأله عن أسئلة في حادثة لها شاهد أيضاً في تاريخ شعيب ﷺ, فعن أبي بصير عن أبي عبد الله صلوات الله عليه, قال : [بعث هشام بن عبد الملك إلى أبي ﷺ, فأشخصه إلى الشّام, فلمّا دخل عليه قال له : يا أبا جعفر إنّما بعثت إليك لا سألك عن مسألة لم يصلح أن يسألك عنها غيري, ولا ينبغي أن يعرف هذه المسألة إلاّ رجل واحد, فقال له أبي : يسألني أمير المؤمنين عمّا أحبّ, فان علمت أجبتّه, وإن لم أعلم قلت : لا أدري وكان الصّدق أولى بي . فقال هشام : أخبرني عن اللّيلة الّتي قتل فيها عليّ بن أبي طالب, بما استدلّ الغائب عن المصر الّذي قتل فيه على ذلك ؟ وما كانت العلامة فيه للنّاس ؟ وأخبرني هل كانت لغيره في قتله عبرة ؟ فقال له أبي : أنّه لمّا كانت اللّيلة الّتي قتل فيها عليّ صلوات الله عليه لم يرفع عن وجه الارض حجرٌ إلاّ وجد تحته دم عبيط حتّى طلع الفجر, وكذلك كانت اللّيلة الّتي فقد فيها هارون أخو موسى ﷺ, وكذلك كانت اللّيلة الّتي قتل فيها يوشع بن نون, وكذلك كانت اللّيلة الّتي رفع فيها عيسى بن مريم ﷺ, وكذلك كانت اللّيلة الّتي قتل فيها الحسين صلوات الله عليه . فتربّد وجه هشام, وامتقع لونه, وهمّ أن يبطش بأبي فقال

له أبي : يا امير المؤمنين الواجب على الناس الطاعة لأمامهم والصّدق له بالتّصيحة، وأنّ الذي دعاني إلى ما أجبت به أمير المؤمنين فيما سألني عنه معرفتي بما يجب له من الطّاعة، فيحسن ظنّ أمير المؤمنين فقال له هشام : أعطني عهد الله وميثاقه ألاّ ترفع هذا الحديث إلى أحد ما حييت فأعطاه أبي من ذلك ما أرضاه . ثمّ قال هاشم : انصرف إلى أهلك إذا شئت، فخرج ابي متوجّهاً من الشّام نحو الحجاز، وابرّد هشام بريداً وكتب معه إلى جميع عمّاله ما بين دمشق إلى يثرب يأمرهم أن لا يأذنوا لأبي في شيء من مدينتهم، ولا يبايعوه في أسواقهم، ولا يأذنوا له في مخالطة أهل الشّام حتّى ينفذ إلى الحجاز، فلمّا انتهى إلى مدينة مدين ومعه حشمه، وأتاهم بعضهم فأخبرهم أنّ زادهم قد نفذ، وأنّهم قد منعوا من السوق، وأنّ باب المدينة أغلق . فقال : أبي : فعلوها ؟ انتوني بوضوء فأتى بماء فتوضّأ، ثمّ توكّأ على غلام له، ثمّ صعد الجبل حتّى إذا صار في ثنية استقبل القبلة، فصلى ركعتين، فقام وأشرف على المدينة، ثمّ نادى بأعلى صوته، وقال : (وإلى مدين أخاهم شعبياً قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إنّني أراكم بخير وإنّي أخاف عليكم عذاب يوم محيظ * ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين * بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين) ثمّ وضع يده على صدره، ثمّ نادى بأعلى صوته أنا والله بقيّة الله، أنا والله بقيّة الله . قال : وكان في أهل

مدين شيخ كبير قد بلغ السن وأدبته التجارب، وقد قرأ الكتب، وعرفه أهل مدين بالصّلاح، فلما سمع النداء قال لأهله : أخرجوني فحمل ووضعه وسط المدينة، فاجتمع الناس عليه، فقال لهم : ما هذا الذي سمعته من فوق الجبل، قالوا : هذا رجل يطلب السوق فمنعه السلطان من ذلك وحال بينه وبين منافعه، فقال لهم الشيخ : تطيعوني ؟ قالوا : اللهم نعم، قال : قوم صالح إنما ولي عقر الناقة منهم رجل واحد، وعدّوا جميعاً على الرضا بفعله، وهذا رجل قد قام مقام شعيب، ونادى مثل نداء شعيب صلوات الله عليه، وهذا رجل ما بعده، فارفضوا السلطان وأطيعوني وأخرجوا إليه بالسوق فاقضوا حاجته، وإلا لم آمن والله عليكم الهلكة، قال : ففتحوا الباب وأخرجوا السوق إلى أبي، فاشتروا حاجتهم ودخلوا مدينتهم، وكتب عامل هشام إليه بما فعلوه، وبخبر الشيخ، فكتب هشام إلى عامله بمدين بحمل الشيخ إليه، فمات في الطريق رضي الله عنه . [(52)] .

أقول: أما نداء الإمام □ لهذا الملعون بإمرة المؤمنين فمعلوم من ظروف التقية المكثفة التي كان يمر بها الإمام وشيعته خصوصاً وأن زمان حكام بني أمية هؤلاء كان اسم أمير المؤمنين □ يسب على المنابر وفي المحافل لذا رأيت ما صنعه هذا

(52) بحار الأنوار (46 / 315 - 317) ، برقم : (3) ، وجاءت فقرات من الحديث في (13 / 368) ، برقم : (12) و(14 / 336) ، برقم : (4) و(42 / 302) ، وأورد قسماً منه في إثبات الهداة (2 / 464) من الباب (11) الفصل (21) برقم : (213) .

الملعون عندما سمع منقبة من مناقب أمير المؤمنين وكيف أنه كتب لعماله أن
 يقاطعوا الإمام ولا يحدثوه ولا يبيعوا له ولا يشتروا كما فعل أجداده برسول الله ﷺ
 عندما ناصره وآزره أبو طالب ﷺ.

نبوة موسى □:

موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح □. قال جل جلاله: [وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا] (53). وفي تاريخه مواضع كثيرة، ومنها:

الموضع الأول: ولادته:

إن في ولادته الشريفة ظروف صعبة كانت تعيشها الأمة مشابحة لظروف جده إبراهيم □، حيث الجبايرة والطواغيت الذين يحكمون الأمة بالكفر والانحراف عن شريعة الله تعالى، فأخفى الله سبحانه ولادته لتكهن وعاظ السلاطين من علماء الجور بولادة النبي، وقد تقدم في نبوة يوسف □ بشارته بولادة ولد من ولد لاوي اسمه موسى بن عمران الأمر الذي جعل للكذابين موضعاً للدعوة الكاذبة لهذا المنصب الشريف، فقد ورد عن أبي عبد الله صلوات الله عليه أنه قال: [ما خرج موسى حتى خرج ثمانون كذاباً من بني إسرائيل، كلهم يدعي أنه موسى بن عمران، فبلغ فرعون أنهم يرجفون به ويطلبون هذا الغلام، فقال له كهنته وسحرته: إن هلاك دينك وقومك على يدي

هذا الغلام الذي يولد العام من بني إسرائيل، قال : فوضع القوابل على النساء، فلما رأى ذلك بنو إسرائيل قالوا : تعالوا لا نقرب النساء، فقال عمران أبو موسى : آتوهنَّ فإنَّ أمر الله واقع ولو كره المشركون، اللهم من تركه فإنِّي لا أتركه، ووقع على أم موسى، فحملت، فوضع على أم موسى قابلة تحرسها، فإذا قامت قامت وإذا قعدت قعدت. قال : فلما حملته أمه وقعت عليها المحبة . وكذلك حجج الله على خلقه، فقالت لها القابلة : مالك يا بنت تصفرين وتذوين ؟ فقالت : لا تلوميني فإنِّي إذا ولدت أخذ ولدي فذبح، قالت : فلا تحزني فإنِّي سوف أكرم عليك فلم تصدِّقها، فلما أن ولدت التفتت إليها وهي مقبلة، فقالت : ما شاء الله، فقالت : ألم أقل : إنِّي سوف أكرم عليك، ثم حملته فأدخلته المخدع وأصلحت أمره، ثم خرجت إلى الحرس وكانوا على الباب، فقالت : انصرفوا فإنما خرج دم مقطع فانصرفوا فارضعته، فلما خافت عليه أوحى الله إليها : اجعليه في تابوت، ثم اخرجيه ليلاً فاطرحيه في نيل مصر، فوضعت في التابوت ثم دفعته في اليم، فجعل يرجع إليها وجعلت تدفعه في الغمر وأنَّ الريح ضربته فانطلقت به، فلما رآته قد ذهب به الماء، فهتَّت أن تصيح فربط الله على قلبها . وقد كانت الصالحة امرأة فرعون وهي من بني إسرائيل قالت : إنَّها أيَّام الربيع فاخرجني فاضرب لي قبة على شاطئ البحر حتى أتزَّه هذه الايام، فضرب لها قبة على شطِّ النيل إذا أقبل التابوت يريدُها، فقال : هل ترون ما أرى

على الماء ؟ قالوا : أي والله يا سيّدتنا إنّنا لنرى شيئاً، فلمّا دنا منها ثرت إلى الماء فتناولته بيدها، وكاد الماء يغمرها حتّى صاحوا عليها، فجذبتّه فأخرجته من الماء، فأخذته فوضعتّه في حجرها فإذا غلام أجمل الناس، فوقعّت عليها له محبة، وقالت : هذا ابني، فقالوا : إنّني أصبت غلاماً طيباً نتّخذّه ولداً، فيكون قرّة عين لي ولك ولا تقتله، قال : ومن أين هذا الغلام ؟ قالت : ما أدري إلّا أنّ الماء جاء به، فلم تزل به حتّى رضي . فلمّا سمع الناس أنّ الملك يرّي ابناً لم يبق أحد من رؤوس من كان مع فرعون إلّا بعث امرأته إليه تكون ظئراً له، فأبى أن يأخذ من امرأة منهّن ثدياً، قالت امرأة فرعون : اطلبوا لابني ظئراً ولا تحقروا أحداً، فجعل لا يقبل من امرأة منهّن، فقالت أم موسى لاخته : قصيّّه : انظري أثر من له أثر، فانطلقت حتّى أتت باب الملك : قالت ها هنا امرأة صالحة : تأخذ ولدكم وتكفّله لكم، قلت : ادخلوها، فلما دخلت قالت لها امرأة فرعون : فمن انت ؟ قالت : من بني إسرائيل، قالت : إذهي فليس لنا فيك حاجة، فقال لها النّساء : انظري هل يقبل ثديها ؟ فقالت امرأة فرعون : إن يقبل هل يرضى فرعون بذلك ؟ فيكون الغلام من بني اسرائيل والمرأة من بني إسرائيل يعني الظئر لا يرضى أبداً، قلن : فانظري هل يقبل أم لا يقبل ؟ قالت امرأة فرعون : فاذهبي فادعيها فجاءت إلى أمّها فقالت : إنّ امرأة الملك تدعوك فدخلت عليها، فدفعت إليها موسى فوضعتّه في حجرها ثم القمته ثديها فقبل، فقامت امرأة فرعون

إلى فرعون فقالت : إنّ ابنك بد اقبل على ديسها ثديها وقبلته فقال : ومَن هي ؟ قالت : من بني إسرائيل قال : هذا ما لا يكون أبداً، فلم تنزل تكلمه وتقول : لا يخاف من هذا الغلام إنّما هو ابنك ينشأ في حبرك حتّى قلبت رأيه ورضي . فنشأ موسى في آل فرعون، وكتمت أمّه خبره وإخته والقابلة، حتّى هلكت الأمّ والقابلة . [(54)] .

أقول: إن اسم أم موسى أيارخا، وقيل أياذخت، ووحى الله سبحانه إليها وحي إلهام لا وحي نبوة كما هو واضح بمعنى التسديد والربط على القلب كما ربط على قلب اخته والقابلة ووالد موسى بطرد واحد، ولكن للأم خاصية تختلف عن عداها وكانت أم موسى واخته من نساء الجنة مع آسيا بنت مزاحم إمرة فرعون. وأما فرعون فكان قد رأى في منامه كأن ناراً قد أقبلت من نحو بيت المقدس، فأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بني إسرائيل. فلما استيقظ هاله ذلك، فجمع الكهنة والحذقة والسحرة. وسألهم عن ذلك، فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء، يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه، فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان. ثم أن ممارسة عملية القتل كانت قبل اللادة وبعد مبعث موسى ﷺ، فالأولى كانت للحذر من أصل وجود النبي والثانية من أجل تمتد وانتشار دعوته، وهذا هو الصحيح وإن كان قد اختلف المفسرين والمؤرخين في ذلك. هذا مع أنه قد ذكر غير واحد من المفسرين: أن القبط شكوا إلى فرعون

(54) بحار الأنوار (13 / 38 . 42)، راجع كمال الدين (1 / 150) .

قلة بني إسرائيل، بسبب قتل ولدانهم الذكور، وخشي أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار، فيصيرون هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل يعالجون فأمر فرعون بقتل الأبناء عاما وأن يتركوا عاما فذكروا أن هرون □ ولد في عام المسامحة عن قتل الأبناء، وأن موسى □ ولد في عام قتلهم.

الموضع الثاني: في قصر فرعون:

عاش موسى في قصر فرعون فترة طفولته الظاهرية إلى أن بلغ وصار رجلاً وكان الله سبحانه قد ألقى في قلبي فرعون وزوجته المحبة له، وفي فترة طفولته حصلت حادثة مع فرعون حيث روي عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال : [ألقى الله تعالى من موسى على فرعون وامراته المحبة، قال : وكان فرعون طويل اللحية، فقبض موسى عليها، فجهدوا أن يخلصوها من يد موسى فلم يقدروا على ذلك حتى جذّها، فأراد فرعون قتله، فقالت له امرأته : انّ هنا أمراً يستبين به هذا الغلام ادع بجمرة ودينار فضعهما بين يديه ففعل، فأهوى موسى إلى الجمرة ووضع يده عليها فأحرقتها، فلمّا وجد حرّ النار وضع يده على لسانه، فأصابته لغثة، وقد قال في قوله تعالى : ((أيما الأجلين قضيت)) : قضى أوفاهما وأفضلهما] .

أقول: أما محبة آسية فكانت حقيقية وصادقة، وقد قيل أنها كانت عمته في النسب، وأما محبة فرعون فكانت شكلية غير صادقة، ولو سلمناها ففرق واضح

بين المحبة والولاء والإتباع والطاعة، فكثير من الناس يحبون أشخاصاً ولكنهم لا يتبعونهم ولا يطيعونهم، ومن هنا فسر قتل الأنبياء بأنه كان بعدم إتباعهم وطاعتهم فعبّر القرآن عن عدم الطاعة بالقتل لاتحادهما بالنتيجة والآثار. ثم شاء الله سبحانه أن ينصر نبيه بأناس من شيعته من بني إسرائيل كانوا يبحثون عنه في هذه الفترة فعندما علم فرعون بذلك زاد في تعذيبهم وملاحقتهم، وورد عن إمامنا الصادق [وكان بنو إسرائيل تطلبه، فبلغ فرعون أنهم يسألون عنه فزاد في عذابهم، فشكوا ذلك إلى شيخ لهم عنده علم، فقال : إنكم لا تزالون فيه حتى يجيء الله بغلام من ولد لاوي بن يعقوب اسمه : موسى بن عمران غلام آدم جعد، فيبيناهم كذلك إذ أقبل موسى صلوات الله عليه يسير على بغلة حتى وقف عليهم، فرفع الشيخ رأسه فعرفه بالصفة، فقال له : ما اسمك ؟ قال : موسى قال : ابن من ؟ قال : ابن عمران، فوثب إليه الشيخ وقبل يده وثاروا إلى رجله فقبلوها، فعرفهم وعرفوه واتخذهم شيعته..].

ثم بعد ذلك حصلت حادثة القتل حيث أثناء مرور موسى [بمدينة من مدائن فرعون وجد فيها رجلين يقتتلان؛ أحدهما من شيعة فرعون وكان مصرياً قبطياً، والآخر من شيعته وكان من بني إسرائيل، فوكر القبطي فمات فذكره الناس وشاع أمره أن موسى قتل رجلاً من آل فرعون، فكان خائفاً حتى جاءه رجل وقال: إنهم يطلبونك، فخرج من مصر بغير دابة حتى انتهى إلى أرض

مدين. وقد تقدم دفع إشكالات القتل والخوف في حديث الإمام الرضا ؑ في جواب المأمون العباسي فراجع.

الموضع الثالث: زواجه ونبوته:

عندما خرج موسى من أرض مصر توجه تلقاء مدين فأنتهى إلى أصل شجرة تحتها بئر وكان الناس مجتمعين حولها من أجل أخذ الماء والسقي، وكانت هناك في الطرف الآخر جارتان من بنات شعيب ؑ فسألتهما موسى ؑ كما جاء في رواية الإمام الصادق ؑ: [فقال لهما: ما خطبكما، قالتا: أبونا شيخ كبير ونحن ضيعفتان لا نزاحم الرجال، فإذا استقي الناس وانصرفوا سقينا من بقية مائهم، فرحمهما موسى فاخذ الدلو واستقي وسقي لهما، فرجعنا قبل الناس وجلس موسى موضعه]. وفي موضع آخر قال الإمام الباقر ؑ في قوله سبحانه: [رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتُ إِلَيَّ مِنْ خَيْرِ فَقِيرٍ]، قال: [وأنه لاحتاج إلى شق تمره. فلما رجعتا إلى أبيهما قال: ما أعجلكما! قالتا: وجدنا صالحاً رحمنا فسقي لنا، فقال لاحدهما: اذهبي فادعيه فجاءت تمشي على استحياء، قالت: إنَّ أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، فقال موسى لها: وجهيني إلى الطريق وامشي خلفي، فانا بني يعقوب لا ننظر إلى أعجاز النساء].

أقول: إن هذه التي حدثت موسى ؑ هي التي تزوجها لقول الإمام الرضا ؑ عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: سألت أبا الحسن الرضا صلوات الله عليه

عن قوله تعالى : (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) أهي التي تزوج بها ؟ قال : [نعم، ولما قالت : ((استاجرته إن خير من استاجرت القوي الأمين)) قال أبوها : كيف علمت ذلك ؟ قالت لما أتيتها برسالتك، فأقبل معي قال : كوني خلفي ودليني على الطريق، فكنت خلفه أرشده كراهة أن يرى مني شيئاً]. وهي الصفراء التي خرجت على وصيه يوشع عندما دخل فلسطين فاتحاً بعد وفاة موسى وهارون □ وهي راكبة الزرافة أسوة بمن بعدها عائشة التي ركبتم الجمل في حربها على وصي رسول الله أمير المؤمنين عليه وآله السلام، فعن ابن أورمة بإسناده إلى أبي جعفر □ قال : [إِنَّ امْرَأَةَ مُوسَى □ خرجت على يوشع بن نون ركابة زرافة فكان لها أَوَّلُ النَّهَارِ وله آخر النَّهَارِ، فظفر بها فأشار عليه بعض من حضرة بما لا ينبغي فيها فقال : أبعد مضاجعة موسى لها ؟ ولكن أحفظه فيها] . وفي موضع آخر عن جعفر بن محمد بن عمار، عن أبيه قال : قال الصادق □ : [إِنَّ يَوْشَعَ بْنَ نُونٍ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَ مُوسَى صَابِراً مِنَ الطَّوَاغِيتِ عَلَى اللَّأْوَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْجَهْدِ وَالْبَلَاءِ، حَتَّى مَضَى مِنْهُمْ ثَلَاثَ طَوَاغِيتٍ، فَقَوَّى بَعْدَهُمْ أَمْرَهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْ مَنَاظِقِ قَوْمِ مُوسَى بِصَفَرَاءِ امْرَأَةِ مُوسَى فِي مَائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ فَقَاتَلُوا يَوْشَعَ، فَغَلِبَهُمْ وَقَتْلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَهَرَبَ الْبَاقُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاسْرَ صَفَرَاءُ، وَقَالَ : قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ أَلْقِيَ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى فَأَشْكُو إِلَيْهِ مَا لَقِيتَ

منك، فقالت صفراء : واويلاه والله لو أبيحت لي الجنة لا ستحييت أن أرى رسول الله وقد هتكت حجابيه على وصيّه بعده⁽⁵⁵⁾.

ثم أن موسى ﷺ سار بإمرأته هذه نحو بيت المقدس في ليلة باردة ومظلمة وقد أخطأ الطريق ليلاً لحكمة فرأى النار من جانب الطور الأيمن في وادي طوى التي بجانبها الشجرة التي بارك الله سبحانه في هذه الأرض حيث بعث فيها نبيه وكلمه تكليماً، روي عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: [فلما انتهى إلى النار إذا شجرة تضطرم من أسفلها إلى أعلاها، فلما دنا منها تأخرت ثم دنته، فنودي : أيّ أنا الله ربّ العالمين، وأن ألق عصاك، فألقاها فاذا هي حيّة مثل الجذع لأسنانها صرير يخرج من فمها مثل لهب النار، فولى مرتعداً، فنودي : لا تخف وخذها، فوقع عليه الأمان ووضع رجله على ذنبها وتناول لحيتها، فاذا يده في شعبة العصا قد عادت عصا]⁽⁵⁶⁾.

أقول: إن هذه النار في حقيقتها كانت نور هداية التي يستحيل رؤيتها إلا لمن كان مستحقاً وذا درجة عالية في التكامل، وعند أهل الكتاب أنه وضع يده على وجهه من شدة ذلك النور، مهابة له وخوفاً على بصره. وقد حصل من هذه الهداية مضافاً لنبوته وتشريفه بالرسالة على معجزين: العصا التي تنقلب

(55) بحار الأنوار (13 / 366) .

(56) بحار الأنوار (13 / 38 . 42) ، وراجع كمال الدين (1 / 150).

حية تسعى , واليد البيضاء للناظرين. مضافاً لمعاجز سبع فيكون المجموع تسع آيات التي نص عليها في القرآن الكريم, قال عز وجل: [إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ] (57).

ثم أن هذا المكان الذي بعث فيه موسى ﷺ روي أنه كربلاء المقدسة التي فضلت على سائر بقاع الأرض بما فيها الكعبة المشرفة, فعن المفضل عن مولانا الإمام الصادق ﷺ: [أن بقاع الأرض تفاخرت ففخرت الكعبة على البقعة بكربلاء فأوحى الله إليها اسكني ولا تفخري عليها فإنها البقعة المباركة التي نودي منها موسى من الشجرة وإنها الربوة التي أوت إليها مريم والمسيح ﷺ, وإن الدالية التي غسل فيها رأس الحسين ﷺ فيها, وفيها غسلت مريم عيسى و اغتسلت لولادتهما].

الموضع الرابع: حربه مع فرعون:

بعد أن أيد الله سبحانه نبيه ﷺ بتلك المعاجز وجب أن تحصل المعركة المرتقبة بينه وبين فرعون الذي كان قد استعد لهذا الحرب وتحصن بمدائنه السبعة عن دخول موسى ﷺ إليها، كما جاء ذلك في رواية الإمام الصادق ﷺ، قال: [إن فرعون بني سبع مدائن، فتحصن فيها من موسى، فلما أمره الله أن يأتي فرعون جاءه ودخل المدينة، فلما رآته الأسود بصبصبت بأذناهما، ولم يأت مدينة إلاّ انفتح له بابها حتى انتهى إلى التي هو فيها، فقعده على الباب وعليه مدرعة من صوف ومعه عصاه، فلما خرج الآذن، قال له موسى صلوات الله عليه: إيّ رسول ربّ العالمين إليك. فلم يلتفت، فضرب بعصاه الباب، فلم يبق بينه وبين فرعون باب إلاّ انفتح فدخل عليه، فقال أنا رسول ربّ العالمين فقال: ائني بآية فألقى عصاه وكان له شعبتان، فوقعت إحدى الشّعبتين في الأرض، والشّعبة الأخرى في أعلى القبة، فنظر فرعون إلى جوفها وهي تلهب ناراً، وأهوت إليه فاخذت فرعون، وصاح يا موسى خذها، ولم يبق أحد من جلساء فرعون إلاّ هرب، فلما أخذ موسى العصا ورجعت إلى فرعون نفسه همّ بتصديقه، فقام إليه هامان وقال: بينا أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد، واجتمع المألأ وقالوا هذا ساحر عليم، فجمع السّحرة لميقات يوم معلوم، فلما ألقوا حبالهم وعصيهم ألقى موسى عصاه

فالتقمّتها كلّها، وكان في السّحرة اثنان وسبعون شيخاً خرّوا سجّداً . ثمّ قالوا لفرعون ما هذا سحر لو كان سحراً لبقيت حبالنا وعصيتنا..] .

أقول: بعد هذه الوقائع اجتمع مع موسى ﷺ شيعة من بني إسرائيل بعد خروجه من عند فرعون منتصراً بنصر الله تعالى والعصا معه على حالها حية تتبعه وتنشق وتدور حوله والناس ينظرون إليه متعجبين وقد ملئوا رعباً، حتّى دخل موسى عسكره وأخذ برأسها فإذا هي عصا، فقام سلام الله عليه بجمع قومه وبنوا مسجداً وجعلوا بيوتهم قبلة كما نصت الآية. فبدأ فرعون بمكائده وألاعيبه الشيطانية التي قابلها جند الرحمن مؤيدين بتلك المعاجز السبع المتقدمة، وكان منها:

أولاً: الدم: أمر فرعون بأن يعمل له صرحاً فأمر وزيره هامان ببنائه حتّى اجتمع فيه خمسون ألف بناءً، سوى من يطبخ الآجر وينجّر الخشب والأبواب، ويضرب المسامير حتّى رفع بنياناً لم يكن مثله منذ خلق الله الدنيا، وكان أساسه على جبل، فزلزله الله تعالى، فانهدم على عماله وأهله وكل من كان عمل فيه من القهارمة والعمال، ولكنه بعد ذلك جيش الجيوش ليقاتل موسى ﷺ فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك النّيل، وكانوا يشربون منه، فضر به فتحوّل دماً عبيطاً، فإذا ورده بنوا إسرائيل استقوا ماءً صافياً، وإذا روده آل فرعون اختضبت أيديهم واسقيتهم بالدم، فجهدهم العطش حتّى أنّ المرأة من قوم فرعون تستقي من نساء بني إسرائيل، فإذا سكبت الماء لفرعونيّة تحوّل دماً، فلبثوا في ذلك

أربعين ليلة، وأشرفوا على الموت واستغاث فرعون وآله بمضغ الرّطبة، فصير ماؤها مالحاً، فبعث فرعون إلى موسى : ادع لنا ربك يعيد لنا هذا الماء صافياً، فضرب موسى بالعصا النّيل، فصار ماءً خالصاً.

ثانياً: الضفادع: أوحى الله سبحانه إلى موسى ﷺ أن يقوم إلى شفير النّيل حتى يخرج كلّ ضفادع خلقه الله تعالى من ذلك الماء، فأقبلت تدبّ سراعاً تؤمّ أبواب المدينة، فدخلت فيها حتى ملأت كلّ شيء، فلم تبق دار ولا بيت ولا إناء إلاّ امتلأت ضفادع، ولا طعام ولا شراب إلاّ في ضفادع، حتى غمّهم ذلك وكادوا يموتون، فطلب فرعون إلى موسى صلوات الله عليه أن يدعوا ربّه ليكشف البلاء، واعتذر إليه من الخلف، فأوحى الله تعالى إلى موسى أن أسعفه، فأناف موسى بالعصا، فلحق دميع الضّفادع بالنّيل .

ثالثاً ورابعاً: الجراد والقمل: أوحى الله جل جلاله إلى موسى ﷺ أن ينطلق إلى ناحية من الارض ويشير بالعصا نحو المشرق وأخرى نحو المغرب، فانبت الجراد من الأفقين جميعاً، فجاء مثل الأسود، وذلك في زمان الحصاد، فملا كلّ شي وغمّ الزّرع، فأكله وأكل خشب البيوت وأبوابها ومسامير الحديد والأقفال والسّلاسل، ونكت موسى الأرض بالعصا، فامتلأت فصار وجه الأرض أسود وأحمر، حتى أنّ ثيابهم وحفهم وأنيتهم فتجيء من أصله وتجيء من راس الرّجل وليحته وتأكل كلّ شيء، فلمّا رأوا الذي نزل من البلاء اجتمعوا إلى فرعون، وقالوا : ليس من بلاء إلاّ ويمكن الصّبر عليه إلاّ الجوع، فأنّه بلاء فاضح لا صبر

لأحد عليه، ما أنت صانع ؟ فأرسل فرعون إلى موسى ﷺ بجنده أنه لم يجتمع له أمره الذي أراد، فأوحى الله تعالى إلى موسى أن لا تدع له حجة وأن ينظره، فأشار بعصاه فانفثع الجراد والقمل من وجه الأرض .

خامساً: الطمس: وهو انقلاب أموال وزرع بني إسرائيل حجارة، وذلك عندما دعى عليهم موسى ﷺ بعد أن علم منهم كفرهم وجحودهم المتزايد، فطمس الله أموالهم حجارة، فلم يبق لهم شيئاً مما خلق الله تعالى يملكونه، ولا حنطة ولا شعيراً، ولا ثوباً ولا سلاحاً، ولا شيئاً من الأشياء إلا صار حجارة .

سادساً: الطاعون: أوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ مرسل على ابكار آل فرعون في هذه الليلة الطاعون، فلا يبقى بآل فرعون من إنسان ولا دابة إلا قتله، فبشّر موسى قومه بذلك، فانطلقت العيون إلى فرعون بالخبر، فلما بلغه الخبر قال لقومه : قولوا لبني إسرائيل : إذا أمسيتم فقدّموا أبكاركم وقدّموا أنتم ابكاركم واقربوا كلّ بكرين في سلسلة، فإنّ الموت يطرقهم ليلاً، فإذا وجدهم مختلطين لم يدر بأيّهم يبطش، ففعلوا، فلما جنّهم الليل أرسل الله تعالى الطاعون، فلم يبق منهم إنسان ولا دابة إلا قتله، فأصبح ابكار آل فرعون جيّفاً وأبكار بني إسرائيل أحياء سالمين، فمات منهم ثمانون ألفاً سوى الدواب .

سابعاً: الطوفان: وهو الغرق الذي لحق جند فرعون في البحر وقد شاء الله سبحانه أن يلقي بجثة فرعون على ساحل البحر حتى يقطع حجة من يدعي أنه

غاب ولم يغرق ليكون حجة على العالمين، ولكن قبل غرقهم هذا أن الله سبحانه أورث لبني إسرائيل من شيعه موسى □ الأموال والكنوز التي يكتنزها فرعون وملائته، وذلك عندما أوحى الله جلّت عظمته إلى موسى صلوات الله عليه إنّي مورث بني إسرائيل ما في أيدي آل فرعون، فقل لهم : ليستعبروا منهم الحلي والزينة، فاتّهم لا يمتنعون من خوف البلاء، وأعطى فرعون جميع زينة أهل وولده وما كان في خزائنه، فاتّهم لا يمتنعون من خوف البلاء، وأعطى فرعون جميع زينة أهله وولده وما كان في خزائنه، فأوحى الله تعالى إلى موسى بالمسير بجميع ذلك حتى كان من الغرق بفرعون وقومه ما كان.

بقي شيء: وهو ما يتعلق بقصة بلعم بن باعوراء الذي ورد ذكره في القرآن الكريم بقوله تبارك وتعالى: [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] (58).

حيث جاء في تفسير علي بن إبراهيم عن أبي الحسن الرضا □ أنه أعطي بلعم بن باعوراء الاسم الأعظم وكان يدعو به فيستجاب له فمال إلى فرعون فلما مر فرعون في طلب موسى □ وأصحابه قال فرعون لبلعم: ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا. فركب حمارته ليمر في طلب موسى □ فامتنعت عليه

حمارته فأقبل يضربها فأنطقها الله عز وجل فقالت ويل لك على ما تضربني أتريد أن أجيء معك لتدعو على نبي الله وقوم مؤمنين فلم يزل يضربها حتى قتلها وانسلخ الاسم الأعظم من لسانه وهو قوله: [فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ]. وهو مثل ضربه الله. فقال الرضا ؑ فلا يدخل الجنة من البهائم إلا ثلاثة: حمارة بلعم وكلب أصحاب الكهف والذئب، وكان سبب الذئب أنه بعث ملك ظالم رجلاً شرطياً ليحشر قوماً من المؤمنين وهو يعذبهم وكان للشرطي ابن يحبه فجاء ذئب فأكل ابنه فحزن الشرطي فأدخل الله ذلك الذئب الجنة لما أحزن الشرطي.

أقول: إن ذلك الشرطي كان من أعوان الظلمة ومعلوم أن معونة الظالمين في ظلمهم حرام ومن الكبائر فكان سبب إدخال ذلك الذئب الجنة واضحاً. وأما بلعم هذا فإن له ذكراً مع يوشع وصي موسى ؑ بعد غرق فرعون وجنوده، ولكن هناك خلاف بينهم في موت موسى ؑ هل كان بعد التيه أو قبله: أما من قال أنه بعد التيه فروى أنه عندما دخل موسى ووصيه ؑ إلى أريحا وفتحوها اجتمع الجبارون إلى بلعم بن باعوراء وهو من ولد لوط ؑ فقالوا له إن موسى جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا فادع الله عليهم وكان بلعم يعرف اسم الله الأعظم فقال لهم كيف أدعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة؟. فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم. فأتوا امرأته وأهدوا لها هدية وطلبوا إليها أن تحسن لزوجها أن

يدعو على بني إسرائيل, فقالت له في ذلك فامتنع فلم تزل به حتى قال أستخير ربي فاستخار الله تعالى فنهاه في المنام فأخبرها بذلك فقالت راجع ربك فعاد الاستخارة فلم يرد جواب. فقالت لو أراد ربك لنهاك ولم تزل تخدعه حتى أجابهم. فركب حماراً له متوجهاً إلى جبل يشرف على بني إسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم فما مشى عليه إلا قليلاً حتى ربح الحمار فضربه حتى قام فركبه فسار قليلاً فربض ففعل ذلك ثلاث مرات. فلما اشتد ضربه في الثالثة فأنطقها الله ويحك يا بلعم أين تذهب أما ترى الملائكة تردني فلم يرجع فأطلق الله الحمار حينئذ فسار حتى أشرف على بني إسرائيل فكان كلما أراد أن يدعو عليهم ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم وإذا أراد أن يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم. فقالوا له في ذلك فقال هذا شيء غلب الله عليه اندلع لسانه فوقع على صدره, فقال الآن خسرت الدنيا والآخرة. ولم يبق إلا المكر والحيلة وأمرهم أن يزينوا النساء ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن إلى العسكر ولا تمنع امرأة نفسها ممن يريدنها وقال إن زنى منهم رجل واحد كفيتموهم. ففعلوا ذلك ودخل النساء عسكر بني إسرائيل فأخذ زمري بن شلوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة وأتى بها إلى موسى □ فقال له أظنك تقول إن هذا حرام فوالله لا نطيعك ثم أدخلها خيمة فوقع عليها فأنزل الله عليهم الطاعون. وكان صحاح بن عيراد بن هارون صاحب عمه موسى غائباً فلما جاء رأى الطاعون قد استقر في بني إسرائيل وكان ذا قوة وبطش فقصد زمري فرآه مضاجع المرأة فطعنها بحربة بيده فانتظمها ورفع الطاعون. وقد هلك في تلك الساعة عشرون ألفاً وقيل سبعون

ألفاً. ثم إن موسى ﷺ قدم يوشع ﷺ إلى أريحا في بني إسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس المغرب فخشى أن يدركهم الليل فعجزوا فدعا الله أن يحبس عليهم الشمس ففعل وحبسها حتى استأصلهم ودخلها موسى ﷺ فأقام بها ما شاء الله أن يقيم وقبضه الله تعالى إليه لا يعلم غيره أحد من الخلق.

وأما من قال أن موسى ﷺ كان توفي قبل التيه فروى أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بالمسير إلى مدينة الجبارين فصار بيني إسرائيل وفارقه رجل منهم يقال له بلعم بن باعوراء وكان يعرف الاسم الأعظم وساق من حديثه نحو ما تقدم. فلما ظفر يوشع بالجبارين أدركه الماء ليلة السبت فدعا الله تعالى فرد الشمس عليه وزاد في الشمس ساعة فهزم الجبارين ودخل مدينتهم وجمع غنائمهم ليأخذها للقربان فلم تأت النار الحديث.

والظاهر من هذا كله أن بلعم قد أدرك فترة التيه وأن موسى ﷺ كان موته قبل التيه لما يأتي في قصة قارون وحال خروجه على موسى ﷺ عندما امتنع أن يتوب مع بعض بني إسرائيل الذين أعلنوا توبتهم. نعم يبقى أن انسلاخ اسم الله الأعظم من بلعم متى كان، فصريح رواية الإمام الرضا ﷺ أنه كان قبل الغرق، بينما ما تقدم يدل على أنه بعد خول الشام سواء قلنا بموت موسى ﷺ بقبل أو بعد التيه ؟. ولعله يمكن الجمع بينهما والقول بحصول الانسلاخ مرتين ولكنه خلاف الظاهر. أو أن نقول أن ما حصل لبلعم بعد الغرق كان باعتقاده القائم

على عدم انسلاخ الاسم الأعظم منه, أو أنه يعلم ذلك فعلاً ولكنه قد أخفاه على الناس زوراً وطمعاً وحباً للجاه الذي يريد به غير وجهه الكريم والله العالم.

الموضع الخامس: خروجه مع بني إسرائيل:

بعد حادثة غرق آل فرعون ونجاة آل موسى □ من بني إسرائيل أمر الله سبحانه نبيه ثم أن يسير ببني إسرائيل إلى الشام لمقاتلة الجبارة ودخول الأرض المقدسة, ولكنهم عصوا أمر القتال وقالوا له: [فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ]. وكان أن أسكنهم البادية وكتب عليهم التيه أربعين سنة, وكان بين ذلك أن حصلت عدة حوادث ووقائع لا بد من بيانها, ومنها:

الأولى: الميعاد أو الميقات:

قال تعالى ذكره: [وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا

بِأَحْسَنِهَا سَأَرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ * سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ * وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَآخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشِمْتُ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ * وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ * وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَهْلَكْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ

مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ
لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ⁽⁵⁹⁾.

حيث أن الله سبحانه قد وعد نبيه أن ينزل عليه التوراة والألواح إلى ثلاثين يوماً وقد أخبر بني إسرائيل بذلك فذهب موسى □ إلى ميقات ربه بسبعين من رجاله وخلف هارون □ على قومه البالغ عددهم سبعمائة ألف إلا سبعين فحصلت عدة حوادث، سواء التي حصلت مع موسى أم هارون □: أما التي حصلت مع هارون □ فهي حادثة عبادة العجل وكان ذلك عندما جاءت الثلاثون يوماً ولم يرجع موسى □ إليهم عصوا وأرادوا أن يقتلوا هارون قالوا إن موسى كذبنا وهرب منا. فجاء إبليس في صورة رجل فقال لهم إن موسى قد هرب منكم ولا يرجع أبداً فاجمعوا إلي حليكم حتى أتخذ إلها تعبدونه. وكان السامري على مقدمة موسى يوم أغرق الله فرعون وأصحابه فنظر إلى جبرئيل □ وكان على حيوان في صورة رمكة كانت كلما وضعت حافرها على موضع من الأرض يتحرك ذلك الموضع فنظر إليه السامري وكان من خيار أصحاب موسى □ فأخذ التراب من حافر رمكة جبرئيل وكان يتحرك فصره في صرة وكان عنده يفتخر به على بني إسرائيل. فلما جاءهم إبليس واتخذوا العجل قال للسامري هات التراب الذي معك فجاء به السامري فألقاه إبليس في جوف العجل فلما وقع التراب في جوفه تحرك وخار ونبت عليه الوبر والشعر فسجد له بنو إسرائيل

وكان عدد الذين سجدوا سبعين ألفاً من بني إسرائيل. فقال لهم هارون □: [إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى]. فهموا بهارون □ حتى هرب من بينهم وبقي في ذلك حتى تم ميقات موسى أربعين ليلة. ثم أوحى الله إلى موسى □ بقصة عبادة العجل فسأله موسى □ قائلاً: العجل من السامري فالخوار ممن ؟. قال رب العزة والجلال: مني يا موسى إني لما رأيتهم قد ولوا عني إلى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة. فلما رجع موسى □ إلى قومه غضبان أسفاً فألقى الألواح من بين يديه ثم أخذ برأس أخيه هارون □ يجره إليه ويعاتبه على ما قد فعلها هؤلاء بغيابه. ثم قام بإخراج العجل فأحرقه بالنار وألقاه في البحر ثم وقال موسى للسامري: [فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ].

أقول: أما ما يخص بإلقاء ألواح التوراة فقد ورد عن أمير المؤمنين □ أن يوشع بن نون كان وصي موسى □ وكانت ألواح موسى من زمرد أخضر فلما غضب موسى ألقى الألواح من يده فمناها ما تكسر ومنها ما بقي ومنها ما ارتفع، فلما ذهب عن موسى الغضب قال يوشع: أعندك تبيان ما في الألواح ؟. قال: [نعم]. فلم يزل يتوارثها رهط بعد رهط حتى وصلت إلى النبي □ فدفعها إلى أمير المؤمنين ومن بعده الأئمة الطاهرين □. والمقصود من إلقاء الألواح هو حفظها عند من يستحق الحفظ، وهو في ذلك الزمان يوشع ومن بعده من الأنبياء وأوصيائهم □، فلم يكن لبني إسرائيل أي استحقاق لهذا الحفظ لما تقدم

من ذنوبهم واعتراضهم على أنبيائهم. وأما ما يتعلق بفعل موسى مع أخيه □ فهو ردة فعل طبيعية تجاه مثل هذه الأحداث العظيمة التي تكون مدعاة للفتنة وتفريقها عن طاعة الله سبحانه فلا بد من مقابلتها برود أفعال تتناسب معها بحيث تجلب من ورائها المصالح وتدفع بها تلك المفاسد، فإن فعل موسى هذا ليست فيه أية منقصة أو قباحة، وذلك لأنه فعل ما يفعله أي غضبان بنفسه وهارون نفس موسى □. لذا تجد أن هارون □ لم يبد أي امتعاض أو اعتراض حول مثل هذا التصرف، بل ليس في قوم موسى من معترض فيدل ذلك على الحالة الصحية لهذا الفعل كما لا يخفى. وأما ما يتعلق بمعنى لا مساس للسامري فقليل إنه أمر الناس بأمر الله أن لا يخالطوه ولا يجالسوه ولا يؤاكلوه تضيقاً عليه والمعنى لك أن تقول لا أمس ولا أمس ما دمت حياً. و قال ابن عباس لك ولولدك والمساس فعل من المماساة ومعنى لا مساس لا يمس بعضنا بعضاً السامري فكان يهيم في البرية مع الوحش والسباع لا يمس أحداً ولا يمسه أحد عاقبه الله تعالى بذلك وكان إذا لقي أحداً يقول لا مساس أي لا تمسني ولا تقربني وصار ذلك عقوبة له ولولده. وقيل: إن السامري خاف وهرب فجعل يهيم في البرية لا يجد أحداً من الناس يمسه حتى صار لبعده من الناس كالقائل لا مساس.

وأما الحوادث التي حصلت مع موسى □ في الميقات فمنها حادثة إنزال التوراة على شكل ألواح وما يحتاجون إليه من الأحكام والسير والقصص، وذلك

في يوم عشرة من ذي الحجة. وبعدها حادثة سؤال الرؤية عندما طلب قومه أن يسألوا الله أن يريهم نفسه فأوحى الله إليه عدم قدرتهم على ذلك، ولكن طلب من موسى ﷺ أن ينظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فرفع الله الحجاب ونظر إلى الجبل فساخ الجبل في البحر فهو يهوي حتى الساعة ونزلت الملائكة وفتحت أبواب السماء. فأوحى الله إلى الملائكة أدركوا موسى لا يهرب فنزلت الملائكة وأحاطت بموسى وقالوا اثبت يا ابن عمران فقد سألت الله عظيماً، فلما نظر موسى إلى الجبل قد ساخ والملائكة قد نزلت وقع على وجهه فمات من خشية الله وهول ما رأى فرد الله عليه روحه فرفع رأسه وأفاق وقال سبحانه تبت إليك وأنا أول من صدق إنك لا ترى فقال الله يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالتي وكلامي. وأما قومه السبعون فقد ماتوا بأجمعهم للصاعقة التي أنزلها الله سبحانه عليهم فأخذتهم بظلمهم، فقال موسى يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم قالوا إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله عز وجل إياك فأحياهم الله وبعثهم معه.

أقول: قد تقدم في حديث الإمام الرضا ﷺ ما يرفع بعض الإشكالات المتوجّهة حول سؤال الرؤية. وروى أبو بصير قال: سأل طاوس اليماني الباقر ﷺ عن طير طار مرة لم يطر قبلها ولا بعدها ذكره الله في القرآن ما هو ؟. فقال: [طور سينا أطاره الله عز وجل على بني إسرائيل حين أظلمهم فيه أنواع العذاب حتى قبلوا التوراة وذلك قوله عز وجل: (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ

كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ)]. وفي حديث رسول الله ﷺ أن الجبال التي تطايرت سبعة, قال: [من الجبال التي تطايرت يوم موسى ﷺ سبعة أجبل فلحقت بالحجاز واليمن منها بالمدينة أحد وورقان وبمكة ثور وثبير وحي باليمن سبر وحضور].

الثانية: البقرة:

قال جل جلاله: [وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوُحُهَا تَسُرُّ النََّاظِرِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَدَجَّوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ * وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُتَوْتِي وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] (60).

ورد في قصة ذبح هذه البقرة ما مؤداه: كان في مدينة اثنا عشر سبطاً أمة أبرار، وكان فيهم شيخ له ابنة وله ابن أخ خطبها إليه، فأبى أن يزوجه، فزوجه من غيره، فقعد له في الطريق إلى المسجد، فقتله وطرحه على طريق أفضل سبط لهم ثم غدا يخاصمهم فيه. فانتهاوا إلى موسى صلوات الله عليه، فأخبروه فأمرهم أن يذبحوا بقرة قالوا: أتتخذنا هزواً، أسألك من قتل هذا ؟ تقول: اذبحوا بقرة، قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال: إنّه يقول: إنّها بقرة لا ذلول، فرجعوا إلى موسى وقالوا: لم نجد هذا النعت إلا عند غلام من بني إسرائيل وقد أبى أن يبيعها إلا بماء مسكها دنانير، قال: فاشتروها فابتاعوها، فذبحت قال: فأخذ جذوة من لحمها فضر به فجلس، فقال له موسى: من قتلك ؟ فقال: قتلي ابن أخي الذي يخاصم في قتلي، قال: فقيل فقالوا يا رسول الله : إنّ لهذا البقرة نبأ ؟ فقال صلوات الله عليه: إنّها كانت لشيخ من بني إسرائيل وله ابن بارّ به، فاشتري الابن بيعاً فجاء لينقدمهم الثمن، فوجد أباه نائماً، فكره أن يوقظه والمفتاح تحت رأسه، فأخذ القوم متاعهم فانطلقوا، فلما استيقظ قال له: يا أبت إني اشتريت بيعاً كان لي فيه من الفضل كذا وكذا، وإني جئت لأنقدمهم الثمن، فوجدتك نائماً وإذا المفتاح تحت رأسك، فكرهت أن أوقظك، وأنّ القوم أخذوا متاعهم ورجعوا، فقال الشيخ: أحسنت يا بني فهذه البقرة لك عوضاً لك عما فاتك من بيع سلعتك.

أقول: ورد في الروايات أن الله سبحانه إنما تشدد في هذه المواصفات المتقدمة في البقرة إنما كان من أجل تشكيكهم في أمر نبي الله موسى ﷺ وتباطؤهم في تنفيذ الأمر حتى ظنوا أنه ﷺ كان في مقام الاستهزاء منهم، فعندما ضيقوا على أنفسهم بتقاعسهم هذا ضيق الله سبحانه عليهم بهذه القيود. ورد عن مولانا الرضا صلوات الله عليه قال: [إنَّ الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة، وكان يجزيهم ما ذبحوا وما تيسر لهم من البقرة، فعنتوا وشدّدوا فشدد عليهم]. وعنه ﷺ في موضع آخر عن عن محمد بن عبيدة، قال: دخلت على الرضا صلوات الله عليه فبعث إلى صالح بن سعيد فحضرنا جميعاً فوعظنا، ثم قال: [إنَّ العابد من بني إسرائيل لم يكن عابداً حتّى يصمت عشر سنين، فإذا صمت عشر سنين كان عابداً]، ثم قال: [قال: أبو جعفر ﷺ: كن خيراً لا شراً معه. كن ورقاً لا شوك معه ولا تكن شوكاً لا ورق معه وشراً لا خير معه]. ثم قال: [إنَّ الله تعالى يبغض القيل والقال وايضاع المال وكثرة السّؤال]، ثم قال: [إنَّ بني إسرائيل شدّدوا فشدد الله عليهم، قال لهم موسى ﷺ: اذبحوا بقرة، قالوا: ما لوّحّا؟ فلم يزالوا شدّدوا حتّى ذبحوا بقرة يملأ جلدّها ذهباً]، ثم قال: [إنَّ علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قال: إنّ الحكماء ضيّعوا الحكمة لما وضعوها عند غير أهلها].

هذا مع أن في ارتفاع سعر هذه البقرة عبرة وهو الجزاء على بر ذلك الولد بوالده، كما ورد في نهاية القصة قول رسول الله ﷺ: [انظروا ماذا صنع به البر]

(61). بحيث أصبح هذا الولد من أغنياء بني إسرائيل فتكون عبدة ذبح البقرة عبرتين؛ إحياء الميت وشهادته بمن قتله، وغناء الولد بسبب بره بوالده. ولذا ورد في تفسير الإمام العسكري ؑ: [فأوحى الله إليه يا موسى قل لبني إسرائيل من أحب منكم أن أطيب في دنياه عيشه وأعظم في جناني محله وأجعل بمحمد وآله الطيبين فيها منادته ليفعل كما فعل هذا الفتى إنه كان قد سمع موسى بن عمران ذكر محمداً وعلياً وآلهما الطيبين وكان عليهم مصلياً ولهم على جميع الخلائق من الجن والإنس والملائكة مفضلاً، فلذلك صرفت له المال العظيم. قال الفتى: يا نبي الله كيف أحفظ هذه الأموال أم كيف أحذر من عداوة من عاداني فيها وحسد من يحسدي لأجلها؟. قال: قل عليها من الصلاة على محمد وآله الطيبين ما كنت تقول قبل أن تنالها، فإن الذي رزقها بذلك القول مع صحة الاعتقاد يحفظها عليك أيضاً بهذا القول مع صحة الاعتقاد. فقلها الفتى فما رامها حاسد له إلا رفعه الله عنها. فلما قال موسى ؑ للفتى ذلك وصار الله له بمقالته حافظاً قال هذا المنشور: " اللهم إني أسألك بما سألك به هذا الفتى من الصلاة على محمد وآله الطيبين أن تبقيني في الدنيا ممتعا بابنة عمي وتخزي عني أعدائي وحسادي وترزقني فيها خيراً كثيراً طيباً ". فأوحى الله إليه يا موسى إن لهذا الفتى المنشور بعد القتل ستين سنة وقد وهبت له لمسألته وتوسله بمحمد وآله الطيبين سبعين سنة

تمام مائة وثلاثين سنة، صحيحة حواسه ثابت فيها جنانه قوية فيها شهواته يتمتع بحلال الدنيا ويعيش ولا تفارقه فإذا حان حينهما وماتا جميعاً معا فصارا إلى جناني فكانا زوجين فيها ناعمين ولو سألي هذا الشقي القاتل بمثل ما توسل به هذا الفتى على صحة اعتقاده أن أعصمه من الحسد وأقنعت به رزقته الملك العظيم لفعلت و لو سألي بذلك مع التوبة أن لا أفضحه لما فضحته ولصرفت هؤلاء عن اقتراح إبانة القاتل لأغيت هذا الفتى من غير هذا الوجه بقدر هذا المال ولو سألي بعد ما افتضح وتاب إلي وتوسل بمثل وسيلة هذا الفتى أن أنسي الناس فعله بعد ما ألطف لأولياءه فيعفون عن القصاص لفعلت وكان لا يعيره بفعله أحد. (62).

كما أنه روي في حديث آخر أنه كان في بني إسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه طمعاً في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بدمه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليخبر بقاتله. ولكن ما قدمناه أشهر.

ثم أنه في الآيات المتقدمة ثلاثة تكاليف قد كلفها موسى ﷺ لبني إسرائيل ولعل كل تكليف مغاير للتكليف الآخر، كما في كون البقرة عوان بين البكر والفراخ، وكونها صفراء ثانياً، وكونها لاشية فيها ثالثاً. فتكون هناك ثلاث بقرات

(62) قصص الأنبياء للجزائري 2:11.

مأمور بذبحها، فهل يجب اجتماع جميع هذه التكاليف بنحو المجموع أو يكتفى بالتكليف الثالث باعتبار كونه ناسخاً للتكليفين الأولين، وقد يجوز نسخ الشيء قبل الفعل، لأن المصلحة يجوز أن تتغير بعدم فوات وقتها وإنما لا يجوز نسخ الشيء قبل وقت الفعل لأن ذلك يؤدي إلى البداء. نعم يمكن أن يكون التكليف واحداً وأن الأوصاف المتأخرة إنما هي للبقرة المتقدمة وإنما تأخر البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة وهو جائز. ولكن الظاهر من جميع ما تقدم وإن كان محل خلاف أن سؤال بني إسرائيل كان عن بقرة واحدة، وذلك لعدم علمهم بتكليف ذبح بقرة أخرى ليستفهموا عنها بقرينة قولهم: (إِنَّ الْبَقَرَةَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا) فإنهم لم يقولوا ذلك إلا وقد اعتقدوا أن خطابهم مجمل غير مبين وأنهم مأمورون بذبح بقرة واحدة جامعة للصفات والقيود المأمور بها.

الثالثة: الخضر □:

ذكر القرآن الكريم قصة موسى مع العبد الصالح □، قال تعالى ذكره: [وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ

مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ
صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى
أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا
* قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا
لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا *
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ
بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ
قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ
فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَأْتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ
سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ
يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ
غَصَبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا *
فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ
لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ

أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا⁽⁶³⁾.

أقول: إن فتى موسى هو يوشع بن نون وأما العبد الصالح فهو الخضر المسمى في بعض الروايات بالعالم □، وكان ذلك بعد حادثة الميعاد أو الميقات بعد نزول التواة التي فيها علم كل شئ وكان قد دخل في نفس موسى أنه أعلم ما خلق الله سبحانه فأوحى الله إلى جبرئيل أدرك موسى فقد هلك وأعلمه عند ملتقى البحرين عند الصخرة رجل أعلم منك فصر إليه وتعلم من علمه، فنزل جبرئيل على موسى □. ثم قال موسى لوصيه يوشع □ إن الله قد أمرني أن أتبع رجلاً عند ملتقى البحرين وأتعلم منه، فتزود يوشع حوتاً مملوحاً وخرجا. فلما خرجا وبلغا ذلك المكان وجدا رجلاً مستلقياً على قفاه فلم يعرفاه، فأخرج وصي موسى □ الحوت وغسله بالماء ووضع على الصخرة ومضيا ونسيا الحوت. وكان ذلك الماء هو ماء الحياة الذي مر في قصة ذي القرنين □ فرجعت الحياة إلى هذا الحوت ودخل في الماء. ثم أن موسى ووصيه بعد أن أصابهما التعب أحسا بالجوع فتذكرا أمر الحوت فقال موسى □ إن الرجل الذي رأيناه عند الصخرة هو الذي نريده فرجعا إليه فوجاه قائماً يصلي إلى أن فرغ من صلاته فسلم عليهما وقد موسى بجواره يسأله ما أمره الله سبحانه به.

وفي الروايات أنه أول ما حدث بينهما من محاورة هو عن فضل محمد وآله □ وما يدور عليهم في آخر الزمان. روى أبو بصير عن أحدهما صلوات الله عليهما قال: [لما كان من أمر موسى الذي كان أعطى مكتلاً فيه حوت مالح، فقيل له: هذا يدلّك على صاحبك عند عين لا يصيب منها شيء إلا حيّ، فانطلقا حتّى بلغا الصّخرة وجاوزا ثمّ ((قال لفتاه آتنا غدائنا)) فقال: الحوت اتّخذ في البحر سرباً، فاقتصا الأثر حتّى أتيا صاحبهما في جزيرة في كساء جالسا، فسلمّ عليه وأجاب وتعجّب وهو بارض ليس بها سلام، فقال: من أنت؟ قال موسى: فقال: ابن عمران الذي كلّمه الله؟ قال: نعم، قال: فما جاء بك؟ قال: أتيتك على أن تعلّمني. قال: إني وكّلت بأمر لا تطيقه، فحدّثه عن آل محمد صلى الله عليهم وعن بلائهم وعمّا يصيبهم حتّى اشتدّ بكاؤهما، وذكر له فضل محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وما أعطوا وما ابتلوا به، فجعل يقول: يا ليتني من أمة محمد. وإنّ العالم لما تبعه موسى خرق السّفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار. ثمّ بين له كلّها وقال: ما فعلته عن أمري؛ يعني لولا أمر ربّي لم أصنعه، وقال: لو صبر موسى لأراه العالم سبعين أعجوبة].

وفي رواية الحارث الأعور الهمداني أن الخضر كان يأتي أمير المؤمنين □ ويسأله مع أعلمية الإمام على الخضر □، قال: رأيت مع أمير المؤمنين عليه الصّلاة والسّلام شيخاً بالنّخيلة: فقلت: يا أمير المؤمنين من هذا؟ قال: [هذا أخي

الخضر جاءني يسألني عمّا بقي من الدّنيا وسألته عمّا مضى من الدّنيا، فأخبرني وأنا أعلم بما سألته منه]، قال أمير المؤمنين: [فأوتينا بطبق رطب من السّماء، فأما الخضر فرمى بالتّوى، وأما أنا فجمعته في كفّي]، قال الحارث : قلت فهبه لي يا أمير المؤمنين، فوهبه لي فغرسته فخرج منه مشاناً جيداً بالغاً عجباً لم أر مثله قط .

وفي نهاية لقاء النبي مع الخضر □ يقول إمامنا الباقر □: [لما لقي موسى العالم □ وكلمه وساء له نظر إلى خطّاف يصفر ويرتفع في الماء ويسفل في البحر، فقال العالم لموسى : أتدري ماتقول هذه الخطافة ؟ قال : وما تقول ؟ قال : تقول : وربّ السّماوات والارض وربّ البحر ما علمكما من علم الله إلاّ قدر ما أخذت بمنقاري من هذا البحر وأكثر . ولما فارقه موسى قال له موسى : أوصني . فقال الخضر : الزم ما لا يضرّك معه شيء، كما لا ينفعلك من غيره شيء . وإياك واللّجاجة، والمشى إلى غير حاجة، والضّحك في غير تعجّب، يا بن عمران لا تعيّن أحداً بخطيئة، وابك على خطيئتك].

الرابعة: قارون:

قال سبحانه: [إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ

مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتَّةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآئُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ] (64). كان قارون ابن عم موسى وهارون □ ومن خلص القوم الذين خرجوا مع موسى □ وكان من أحسن ما يقرأ التوراة صوتاً فسمي بالمنون لحسن قراءته، كما أنه كان يعمل الكيمياء فتعلم صناعة الذهب والفضة وقد كنز منهما أموالاً طائلة دعت به إلى التكبر والاستكبار والاعراض عن طاعة الله سبحانه، فدعاه موسى □ إلى التوبة فامتنع فقال موسى يا رب إن لم تغضب لي فلست لك بنبي فأوحى الله إليه قد أمرت السماوات والأرض أن تطيعك فمرها بما شئت وقد كان قارون أمر أن يغلق باب القصر فأقبل موسى فأومى إلى الأبواب فانفرجت ودخل عليه فلما نظر إليه قارون علم أنه قد أوتي بالعذاب

فقال يا موسى أسألك بالرحم بيني وبينك فقال له موسى يا ابن لاوي لا يردني كلامك يا أرض خذيه فدخل القصر بما فيه في الأرض ودخل قارون في الأرض إلى الركبة فبكى وحلفه بالرحم فقال له موسى يا ابن لاوي لا يردني من كلامك. وهذا ما قال موسى لقارون يوم أهلكه الله فغيره بما قاله لقارون فعلم موسى أن الله قد غير به بذلك فقال يا رب إن قارون دعاني بغيرك ولو دعاني بك لأجبتة فقال الله يا ابن لاوي لا تردني من كلامك فقال موسى يا رب لو علمت أن ذلك لك رضا لأجبتة فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لو أن قارون كما دعاك دعاني لأجبتة ولكنه لما دعاك وكلته إليك يا ابن عمران لا تجزع من الموت فإني كتبت الموت على كل نفس وقد مهدت لك مهاداً لو قد وردت عليه لقرت عينك.

أقول: الظاهر من بعض الروايات أن هناك أسباباً أخرى دعت من موسى إلى الدعاء على قارون، ومنها: أن قارون دعى إليه امرأة بغي لها جمال وهيئة، فقال لها: أعطيك مائة ألف درهم وتجيئين غداً إلى موسى وهو جالس عند بني إسرائيل يتلو عليهم التّوراة فتقولين: يا معشر بني إسرائيل إن موسى دعاني إلى نفسه فأخذت منه مائة ألف درهم، فلما أصبحت جاءت المرأة البغي فقامت على رؤوسهم وكان قارون حضري زينته فقال المرأة: يا موسى إن قارون أعطاني مائة ألف درهم على أن أقول بين بني إسرائيل على رؤوس الاشهاد أنك دعوتني إلى نفسك ومعاذ الله ان تكون دعوتي، لقد أكرمك الله عن ذلك فقال موسى

للأرض : خذيه فأخذته وابتلغته، وإنَّه ليتخلخل ما بلغ والله الحمد. ولكن كما ترى أن ذلك ليس برواية ولكنه يصلح كشاهد. كما أن في بعضها أن قارون قد جهز جيشاً لمقاتلة موسى □ وكان قوامه أربعة آلاف مقاتل وثلاثمائة وصيفة عليهنّ الحلي وقد ركب هو في زينته على بغلة شهباء، وقال لموسى: أنا خير منك، فلما رأى ذلك موسى قال لقارون : أبرز بنا فادع عليّ وادعوا عليك.. فأمر الأرض فأخذت قارون إلى ركبتيه، فقال: أنشدك الله والرحم يا موسى، فابتلغته الأرض وخسف به وبداره. هذا مع أن في بعض الأخبار أن الله سبحانه قد ألقاه في بحر وأوكل فيه ملك وقد أدرك نبي الله يونس □ ودارت بينهما محادثة بتفصيل آت.

الخامسة: موت موسى وهارون □:

بعد حادثة موت قارون والخسف الذي حل به روي أن موسى إلى جبل طور سيناء مع وصيه يوشع بن نون □، فصعد موسى □ الجبل فنظر إلى رجل قد أقبل ومعه مكمل ومسحاة فقال له موسى □: [ما تريد؟]. قال: إن رجلاً من أولياء الله توفي فأنا أحفر قبره. فقال له موسى: [أفلا أعينك عليه؟]. قال: بلى. فحفر القبر، فلما فرغ أراد الرجل أن ينزل إلى القبر، فقال له موسى □: [ما تريد؟]. قال: أدخل القبر فأنظر كيف مضجعه. فقال موسى □: [أنا أكفيك]. فدخل موسى فاضطجع فيه فقبض فيه ملك الموت روحه وانضم عليه الجبل.

أقول: إن موت هارون كان قبل موت موسى □ وكان بنو إسرائيل قد اتهموا موسى □ بمقتله، فقد ورد عن أبي عبد الله □ قال: [قال موسى لهارون □ : امض بنا إلى جبل طور سيناء، ثمّ خرجا فإذا بيت على بابهِ شجرة عليها ثوبان، فقال موسى لهارون : اطرح ثيابك وادخل هذا البيت واللبس هاتين الحلتين ونم على السرير، ففعل هارون، فلمّا أن نام على السرير قبضه الله إليه وارتفع البيت والشجرة . ورجع موسى إلى بني إسرائيل، فأعلمهم أنّ الله قبض هارون ورفعهُ إليه، فقالوا : كذبت أنت قتلته، فشكى موسى □ ذلك إلى ربّه، فأمر الله تعالى الملائكة فأنزلته على سرير بين السماء والأرض حتّى رآته بنو إسرائيل، فعلموا أنّه مات] (65).

وأما ما يخص موت موسى □ فهناك ما يفصل ذلك ويبين أن ملك الموت □ كان قد تركه مدة ثم أن بني إسرائيل لم يعرفوا مكان القبر لولا علم رسول الله □ الذي دلهم إليه، روى هشام بن سالم عن أبي عبد الله □: [أنّ ملك الموت أتى موسى □ فسلم عليه، فقال : من أنت ؟ فقال : انا ملك الموت، قال : فما جاء بك ؟ قال : جئت لأقبض روحك وإنيّ أمرت أن أتركك حتّى يكون الذي تريد، وخرج ملك الموت فمكث موسى ما شاء الله، ثم دعا يوشع بن نون، فأوصى إليه وأمره بكتمان أمره، وبأن يوصي بعده إلى من يقوم بالأمر وغاب موسى □ عن قومه، فمرّ في غيبته فرآى ملائكة يحفرون قبراً، قال :

(65) بحار الأنوار (13 / 368)، برقم : (13).

لمن تحفرون هذا القبر ؟ قالوا : نخفره والله لعبد كريم على الله تعالى، فقال :
 إِنَّ لَهَذَا الْعَبْدَ مِنَ اللَّهِ لَمَنْزِلَةٌ، فَأَيُّ مَا رَأَيْتَ مُضْجِعاً وَلَا مَدْخِلاً أَحْسَنَ مِنْهُ،
 فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : يَا صَفِيِّ اللَّهِ أَتَحِبُّ أَنْ تَكُونَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : وَدِدْتُ، قَالُوا :
 فَادْخُلِ وَاضْطَجِعْ فِيهِ ثُمَّ تَوَجَّهْ إِلَى رَبِّكَ، فَاضْطَجِعْ فِيهِ مُوسَى ۖ لِيَنْظُرَ كَيْفَ
 هُوَ فَكَشَفَ لَهُ عَنِ الْغِطَاءِ فَرَأَى مَكَانَهُ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَ يَا رَبِّ : اقْبِضْنِي إِلَيْكَ
 فَقَبِضْهُ مَلِكُ الْمَوْتِ وَدَفَنَهُ وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ صَلَّتْ عَلَيْهِ فَصَاحَ صَاحِحٌ مِنَ
 السَّمَاءِ مَاتَ مُوسَى كَلِيمَ اللَّهِ وَأَيُّ نَفْسٍ لَا تَمُوتُ . فَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَا
 يَعْرِفُونَ مَكَانَ قَبْرِهِ، فَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ۖ عَنْ قَبْرِهِ قَالَ : عِنْدَ الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ
 عِنْدَ الْكُثَيْبِ الْأَحْمَرِ⁽⁶⁶⁾.

نبوة داود ۖ:

داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عوينادب بن ارم
 بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن تارخ بن
 ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن
 نوح ۖ. قَالَ تَعَالَى : [يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
 بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

(66) بحار الأنوار (13 / 368. 369)، برقم : (12) ورواه الصدوق في الأمالي المجلس

(41)، برقم : (2) .

هُمَّ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ] ⁽⁶⁷⁾. وهو من الأنبياء الذين قد جمع الله سبحانه له النبوة والملك وكان ذلك في عهد ملك طالوت وجالوت حيث قتل داود ؑ الثاني وآتاه الله سبحانه الملك والحكمة القضاء بين الناس وألان له الحديد صنعةً وحرفة كان يتكسب من ورائها ويأكل من عرق جبينه، وأعطاه من القدرة التكوينية بحيث كانت الطير والجمال تسبح مع تسيحه، قال سبحانه: [وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ] ⁽⁶⁸⁾. وقال تعالى في ذكر الملك: [أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ

(67) ص: 26.

(68) الأنبياء: 79-80.

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ [(69).

أقول: وقصة ذلك ما محصله أن يقال: إن بني إسرائيل من بعد نبي الله موسى □ عندما تركوا شريعته وعملوا بالمعاصي كان فيهم نبي الله أشموئيل □ وهو بالعربية إسماعيل عن أكثر المفسرين وهو المروي عن الإمام الباقر □. وقيل: أرميا. وقيل اسمه شمعون بن صفية من ولد لاوي. وقيل يوشع. وكان يأمرهم بطاعة الله سبحانه وينهاهم عن محارمه ولكن بني إسرائيل عصوه ولم يطيعوه فسلط الله عليهم الطاغية الملك جالوت وهو من القبط الذي ملك ما بين مصر وفلسطين فأذلمهم وقتل رجالهم وأخرجهم من ديارهم وسلب أموالهم واستعبد نساءهم ففرعوا إلى نبيهم وقالوا أسأل الله أن يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله،

حيث كانت النبوة في بني إسرائيل في بيت والملك والسلطان في بيت آخر فلمم يجمع الله لهم الملك والنبوة في بيت واحد. فبعث الله تعالى إليهم الملك طالوت من ولد ابن يامين أخى يوسف لأمه □ فلم يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة. فقال لهم نبيهم إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء, فكان أعظمهم جسماً وأكثرهم شجاعة وأعلمهم علماً إلا أنه كان فقيراً فعابوه بالفقر فقالوا لم يؤت سعة من المال, فقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيه مما ترك موسى وآل هارون تحمله الملائكة, وقد تقدم أن في هذا التابوت موارث الأنبياء وقد شاء سبحانه أن يرد هذا التابوت ليكون علامة لملك طالوت ليقاتل جالوت. فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى □ الذ كان في التابوت وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه داود بن أشي راعياً, وكان له عشرة بنين أصغرهم داود. فلما بعث طالوت إلى بني إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث إلى أشي أن احضر وأحضر ولدك فلما حضر ودعا واحداً واحداً من ولده فألبسه الدرع فممنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه, فقال له: هل خلفت من ولدك أحداً. قال: نعم أصغرهم تركته في الغنم راعياً. فبعث إليه فجاء به فلما دعاه أقبل ومعه مقلاع فنادته ثلاث صخرات في طريقه فقالت يا داود خذنا فأخذها في مخلاته وكان شديد البطش قوياً. فلما جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى □ فاستوى عليه. ففصل طالوت بالجنود وقال لهم نبيهم يا بني إسرائيل إن الله مبتليكم بنهر في هذه المفازة فمن شرب منه فليس

من جند الله ومن لم يشرب فهو من جند الله إلا من اغترف غرفة بيده. فلما وردوا النهر أطلق الله تعالى لهم أن يغرف كل واحد منهم غرفة فشربوا منه إلا قليلاً منهم فالذين شربوا كانوا ستين ألفاً والقليل الذين لم يشربوا ولم يغترفوا كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً. فلما جاوزوا النهر ونظروا إلى الجنود قال الذين شربوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، وقال الذين لم يشربوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فجاء داود □ فوقف بجاء جالوت وكان جالوت على الفيل وعلى رأسه التاج وفي جبهته ياقوتة يلمع نورها وجنوده بين يديه، فأخذ داود □ من تلك الأحجار حجراً فرمى به ميمنة جالوت فمر في الهواء ووقع عليهم فانهمزوا وأخذ حجراً آخر فرمى به ميسرة جالوت فانهمزوا ورمى جالوت بحجر فصكت الياقوتة في جبهته ووصلت إلى دماغه ووقع إلى الأرض ميتاً. وهو قوله سبحانه: [فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ]. فلما قتل داود □ جالوت أعطاه طالوت ابنته وزوجها إياها.

أقول: إن في هذه الحوادث كما في غيرها أكيداً عبراً ومواعظ وحكماً، ومنها أن هذا نبي الله داود □ كان جندياً مقاتلاً في جيش طالوت الملك الذي سده الله تعالى وأيده بمعاجزه وكراماته ثم أن ذلك الجندي قد فضله تعالى على قائده تفضيلاً بالنبوة والبعثة الإلهية مضافاً للملك، وذلك لأن العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء كما ورد وقد تعلق المشيئة الربانية في اختيار داود □ فلا راد لمشيئته وقضائه وقدره. أما ما يتعلق بنبي الله أشموئيل □ فقد ورد في قصته أن بني

إسرائيل دعوا الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه وكان سبط النبوّة هلكوا ولم يبق منهم غير امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبذلها بغيرها لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها فولدت غلاماً سمته أشموئيل ومعناه سمع الله دعائي. وسبب تسميته أنها كانت عاقراً وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد فبغت عليها بكثرة أولادها فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولداً فرحم الله تعالى انكسارها وحاضت لوقتها وقربت زوجها فحملت فولدت غلاماً سمته أشموئيل فأرسلته إلى بيت المقدس يتعلم التوراة وكفله شيخ من علمائهم. فلما بلغ بعثه الله تعالى نبياً إلى قومه فأقام يدير أمرهم أربعين سنة وكانت العمالة مع ملكهم جالوت قد عظمت مكانتهم في بني إسرائيل حتى كادوا يهلكونهم.

وأما سبب سؤال بني إسرائيل لنبيهم في أن يبعث فيهم ملكاً يقاتل معهم في سبيل الله سبحانه فقليل أنهم أرادوا أن يعرفوا صدق نبوة أشموئيل □ لما ظهر من الجبابة من استدلال لبني إسرائيل وأخذهم لأموالهم وديارهم فقالوا له إن كنت صادقاً ف(ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ). وقيل أرادوا العمالة فسألوا ملكاً يكون أميراً عليهم. وأما معنى السكينة الواردة في قوله تعالى: (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) فقد ورد عن أبي الحسن □: [قال السكينة ريح تخرج من الجنة لها صورة كصورة الإنسان ورائحة طيبة وهي التي أنزلت على إبراهيم □

فأقبلت تدور حول أركان البيت وهو يضع الأساطين وهذه السكينة كانت في التابوت وكان فيها طشت يغسل فيها قلوب الأنبياء وكان التابوت يدور في بني إسرائيل مع الأنبياء []. وعنه [] في موضع آخر: [كان تابوت موسى [ثلاثة أذرع في ذراعين وكان فيه عصا موسى والسكينة روح الله يتكلم كانوا إذا اختلفوا في شيء كلمهم وأخبرهم ببيان ما يريدون]. وعن أبي عبد الله []: [إنما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل]. أي كل من وجد التابوت على باهم أوتوا النبوة فمن صار إليه السلاح منا أوتي الإمامة.

ثم أن نبى الله داود [] كان قد آتاه الله سبحانه القضاء بين الناس ليفصل بين منازعاتهم ويحل مشاكلهم، حيث كان يجلس في مجلسه فيأتي إليه الناس ويطرحون قضاياهم ودعوايهم. وكان سلام الله عليه أن طلب من الله تعالى أن يحكم بما عند الله من علم واقعي من دون مطالبة الداعي والمدعي بالبينات والأيمان. فعن زارة، عن أبي عبد الله [] قال : [إنّ داود [] كان يدعو أن يسلمه الله القضاء بين الناس بما هو عنده - تعالى - الحقّ، فأوحى الله إليه : يا داود إنّ الناس لا يحتملون ذلك وإنيّ سأفعل وارفع غليه رجلان فاستعداه أحدهما على الآخر، فأمر المستعدى عليه أن يقول إلى المستعدي فيضرب عنقه، ففعل فاستعظمت بنو إسرائيل ذلك، وقالت : رجل جاء يتظلم من رجل، فأمر الظالم أن يضرب عنقه، فقال [] : ربّ أنقذني من هذه الورطة. قال : فأوحى الله تعالى إليه يا داود سألتني أن أهلك القضاء بين عبادي بما

هو عندي الحقّ، وأنّ هذا المستعدي قتل أبا هذا المستعدي عليه، فأمرت بضرب عنقه قوداً بأبيه، وهو مدفون في حائط كذا وكذا تحت صخرة كذا، فأته فناده باسمه فأنه سيجيبك فسله، قال : فخرج داود □ وقد فرح فرحاً شديداً لم يفرح مثله، فقال لبني إسرائيل : قد فرح الله فمشى ومشوا به، فانتهى إلى الشجرة فنادى يا فلان فقال : لبيك يا نبيّ الله قال : من قتلك ؟ قال : فلان، فقالت بنو إسرائيل : لسمعناه يقول : يا نبيّ الله فنحن نقول كما قال، فأوحى الله إليه يا داود : إنّ العباد لا يطيقون الحكم بما هو الحقّ فسل المدّعي البينة وأضف المدّعي عليه إلى اسمي .⁽⁷⁰⁾

أقول: أما طلب داود □ فلا يخفى أنه كان من أجل إحقاق الحق بين الناس وقطع مادة الفساد المنشرة، لا سيما بعد تخلل الكثير من التدليس في إقامة البينات والشهادات الزور بين الناس، فالمنقصة ترد على تقصير الناس وقصورهم في إقامة العدل فيما بينهم ودحض الظلم، خصوصاً وأن اعتراضاتهم تدور مدار مصالحهم الشخصية المحكومة بالأسباب والمسببات الظاهرية البعيدة عن تلك الأهداف والمصالح العامة القائمة على حب الله تعالى ذكره وإطاعة أنبيائه ورسله وأوصيائهم الصالحين عليهم سلام الله وصلواته أجمعين.

(70) بحار الأنوار (14 / 5 . 6) ، برقم : (13) .

نعم قد يكون ما ورد في القرآن الكريم منافياً لذلك، وهو ما ورد في قضية استغفار داود □ من ذنبه عندما دخل عليه خصمان يطلبون منه أن يحكم بينهما بالعدل، قال سبحانه: [وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ * يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ] (71).

فإن في هذه الآيات وجوهاً كثيرة مبنية تارة على الاعتقاد بجواز صدور الذنوب من الأنبياء، وأخرى على عصمتهم كما هو الحق، وعلى الأول فمن ضمن هذه الوجوه:

أولها: أن داود ؑ قد تزوج من امرأة أوريا ذلك الجندي الذي كان في جيشه وجنده, ولكنهم اختلفوا في تأويل هذه القصة:

أولاً: أن أوريا خطب امرأة فأراد أهلها أن يزوجه لها فبلغ داود ؑ جمالها فخطبها أيضاً فزوجه منها وقدموه على أوريا فعوتب داود ؑ على الحرص على الدنيا.

وثانياً: أنه خرج أوريا إلى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته فعوتب على ذلك بنزول الملكين.

وثالثاً: لما قتل أوريا خطب داود ؑ امرأته, وكان في شريعته أن الرجل إذا مات وخلف امرأة فأولياؤه أحق بها إلا أن يرغبوا عن التزويج بها فحينئذ يجوز لغيرهم أن يتزوج بها, ولكن هؤلاء الأولياء قد منعهم هيبة النبي وجلاله فلم يتقدموا لخطبتها.

ثانيها: أن داود ؑ كان في مجلس القضاء وقد أصدر حكماً, واختلفوا فيه:

أولاً: أنه ؑ كان متشاغلاً بالعبادة فأتاه رجل وامرأة متحاكمين إليه فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها وذلك مباح فمالت نفسه ميل الطباع ففصل بينهما وعاد إلى عبادة ربه فشغله الفكر في أمرها عن بعض نوافله فعوتب.

وثانياً: أنه ﷻ عوتب على عجلته في الحكم قبل التثبت وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عما عنده فيه ولا يحكم عليه قبل ذلك وإنما أنساه التثبت في الحكم فزعه من دخولهما عليه في وقت العبادة.

ثالثها: ما أفاده الرازي بعد الطعن في الرواية المشهورة وإقامة الدلائل على بطلانها وذكر بعض الوجوه السابقة والكلام عليها، فأفاد أن جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبي الله داود ﷻ وكان له يوم يخلو بنفسه ويشغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب. فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواماً يمنعونهم فخافوا فوضعوا كذباً فقالوا خصمان بغى بعضنا على إلى آخر القصة.

أقول: إن جميع هذه الوجوه محل تأمل ونظر كبرى وصغرى: أما كبرياً فلكونها مبنية على الطعن بعصمة الأنبياء ﷻ وقد تقدم إقامة الدليل القاطع على عصمتهم مطلقاً. وأن منشأ استغفاره كان للحالة المعنوية التي يعيشها بينه وبين ربه القائمة على الانقطاع التام إلى الله تعالى والخضوع والتذلل بالعبادة والسجود لوجه الكريم، وفي بعض الأخبار أنه إنما سمي بداود من أجل الود والمحبة التي خصه الله تعالى به كما في حديث النملة الآتي مع ابنه سليمان ﷻ. فلو ورد من ظواهر بعض الأدلة النقلية ما يخالف ذلك وجب تأويله والتصرف فيه بما يتناسب والقواعد الصحيحة المستفادة من الكتاب والسنة بتفصيل تقدم. خصوصاً وأن هناك نهيًا مستفاداً من بعض الأخبار عن قضية الزواج، فقد ورد

في قول الإمام الصادق عليه السلام: [لو أخذت أحداً يزعم أنّ داود وضع يده عليها — امرأة أوريا — لحددته حدّين: حدّاً للنّبوة، وحدّاً لما رماه به] .

وأما صغروياً فلو رجعنا للآيات المتقدمة لوجدناها خالية من قضية طلب الزواج وعدمه أو طلب القتل وعدمه لا من قريب ولا من بعيد، بل السياق نص في الدلالة على القضاء بالحكم فهناك جماعة قد تسوروا محراب داود عليه السلام أثناء عبادته، سواء كانوا ملائكة ظاهراً أم كانوا بشرّاً، وكان بينهم خصمان اثنين قد وقع النزاع بينهما في النعاج. ولو سلمنا أنّهم كانوا قاصدين القتل فيمكن القول بأن نبي الله أراد الدفاع عن نفسه بالدعاء عليهم بالهلاك ولكنه بعد ذلك عفا عنهم طلباً لمرضاة الله تعالى فكانت هذه الواقعة هي الفتنة لأنها جارية مجرى الابتلاء والامتحان، ثم إنه استغفر ربه مما هم به من الانتقام منهم وتاب عن ذلك لهم. هذا مع أن دخول القوم على داود عليه السلام كان من أجل الاختبار والبلاء تارة من أجل تكامله وبلوغه الكثير من المقامات كما في مقام حسن أمّاب ومقام الخليفة الذي يحكم بين الناس بالعدل. وأخرى من أجل تكامل الناس لتكون مثل هذه القصص عبرة لهم وموعظة تحيي بها قلوبهم.

ثم أن داود قد استخلف ابنه سليمان عليه السلام تطبيقاً لأمر الله تعالى ليستمر هذا الوهج الإلهي بالعباءة والفيض اللامتناهي، وذلك في مقامات عديدة، ومنها مقامان:

الأول: عن زيد الشَّحام عن العبد الصالح □، قال: [إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ □ : أَنْ اسْتَخْلَفَ سُلَيْمَانَ عَلَى قَوْمِكَ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ اسْتَخْلَفَ سُلَيْمَانَ عَلَيْكُمْ فَضَجَّتْ رُؤُوسُ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالُوا : غَلَامٌ حَدِثٌ يَسْتَخْلَفُ عَلَيْنَا وَفِينَا مِنْهُ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ فَقَالَ لَهُمْ دَاوُدُ □ : أَرُونِي عَصِيَّكُمْ فَأَيَّ عَصَا أَثْمَرَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ وَلِيُّ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي فَقَالُوا : قَدْ رَضِينَا، فَجَاؤُوا بِعَصِيَّتِهِمْ فَقَالَ دَاوُدُ : لِيَكْتُبَ كُلُّ رَأْسٍ مِنْكُمْ اسْمَهُ عَلَى عَصَاءٍ فَكُتِبُوا ثُمَّ جَاءَ سُلَيْمَانُ بِعَصَاهُ فَكُتِبَ عَلَيْهَا اسْمُهُ ثُمَّ أُدْخِلَتْ بَيْتًا وَأُغْلِقَ الْبَابُ وَشُدَّ بِالْأَقْفَالِ وَحَرَسَهُ رُؤُوسُ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ صَلَّى بِهِمُ الْغَدَاةَ، ثُمَّ أَقْبَلَ فَفَتَحَ الْبَابَ، فَأَخْرَجَ عَصِيَّتَهُمْ قَدْ أَوْرَقَتْ وَعَصَا سُلَيْمَانَ قَدْ أَثْمَرَتْ، قَالَ : فَسَلَّمُوا ذَلِكَ الدَّادُودَ، وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ قَالَ : يَا بَنِيَّ أَيُّ شَيْءٍ أَبْرَدُ ؟ قَالَ : عَفْوُ اللَّهِ عَنِ النَّاسِ وَعَفْوُ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ، فَقَالَ : يَا بَنِيَّ أَيُّ شَيْءٍ أَحْلَى ؟ قَالَ : الْحُبَّةُ وَهُوَ رُوحُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ فَافْتَرَى دَاوُدُ ضَاحِكًا⁽⁷²⁾.

أقول: وكان من قومه أهل بيته الذين ذكرهم الله سبحانه: [اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا]⁽⁷³⁾. وفي رواية زيد الشَّحام عن أبي عبد الله □، قال: [كَانُوا ثَمَانِينَ رَجُلًا وَسَبْعِينَ امْرَأَةً مَا أَغْبَ الْمَحْرَابَ رَجُلٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَصَلِّي فِيهِ،

(72) بحار الأنوار (14 / 69) عن كمال الدين ص (67 . 68) ، برقم : (2) .

(73) سبأ: 13.

وكانوا آل داود . فلما قبض داود ولى سليمان □. □. والمعنى أنهم لم يكونوا مواظبين على الحضور في أوقات العبادة فكان فعلاً وحقاً قليل من عباد الله الشكور.

الثاني: تفسير علي بن إبراهيم عن أبي بصير عن أبي عبد الله □ قال: [كان في بني إسرائيل رجل كان له كرم و نفشت فيه غنم لرجل بالليل وقضمته وأفسدته فجاء صاحب الكرم إلى داود □ فاستدعى على صاحب الغنم, فقال داود □: اذهب إلى سليمان □ ليحكم بينكما. فقال سليمان □: إن كانت الغنم أكلت الأصل والفرع فعلى صاحب الغنم أن يدفع إلى صاحب الكرم الغنم وما في بطنها وإن كانت ذهبت بالفرع ولم تذهب بالأصل فإنه يدفع ولدها إلى صاحب الكرم. وكان هذا حكم داود وإنما أراد أن تعرف بنو إسرائيل أن سليمان □ وصيه بعده ولم يختلفا في الحكم و و اختلف حكمهما لقال كنا لحكمهما شاهدين].

أقول: إن هذه الرواية واردة في تفسير قوله سبحانه: [وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ* فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا] (74). ولكن ورد في بعض الأخبار أن حكم هذين النبيين مختلف, حيث روى أبو بصير عن إمامنا الصادق □,

قال: قول الله عز وجل: (وَدَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ) قلت: حين حكما في الحرث كانت قضية واحدة؟. فقال: [إنه كان أوحى الله عز وجل إلى النبيين قبل داود] إلى أن بعث داود] أي غنم نفشت في الحرث فلصاحب الحرث رقاب الغنم ولا يكون النفس إلا بالليل وإن على صاحب الزرع أن يحفظ بالنهار وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم بالليل فحكم داود] بما حكمت به الأنبياء] من قبله وأوحى الله تعالى إلى سليمان أي غنم نفشت في الزرع فليس لصاحب الزرع إلا ما خرج من بطونها وكذلك جرت السنة بعد سليمان] وهو قول الله عز وجل: (وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) فحكم كل واحد منهما بحكم الله عز وجل.]. ولا يخفى أن حكمهما بحكم الله سبحانه وإن سكنت الرواية الأولى عن حكم داود] ولعله كان من باب الإجمال أي أكل أصل الكرم، وجاء في الثانية التفصيل، أي إن كان الغنم قد أكل أصل الكرم فيقضى برأس الغنم، وإن كان أكل فرعه فيقضى بحمله أو صوفه. ولكن رواية الاختلاف موافقة للعامة فيمكن حملها على التقية، أو الحمل على النسخ باعتبار أن حكم سليمان ناسخ عن حكم أبيه]. والأمر سهل خصوصاً وأن الوصاية أو الإمامة التي هي منزلة فوق النبوة هي عهد معهود من قبل الله سبحانه يخص به من يشاء وما على الرسول إلا أن يبلغ بذلك العهد كما تضافرت بذلك الروايات الصحيحة، وفي المقام روى في الكافي عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله] قال: [إن الإمامة عهد من الله عز وجل معهودة لرجال مسلمين ليس للإمام أن يزويها عن الذي يكون من

بعده، أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود □ أن اتخذ وصياً من أهلِكَ فإنه قد سبق في علمي أن لا أبعث نبياً إلا وله وصي من أهله وكان لداود □ عدة أولاد فيهم غلام كانت أمه ضد داود □ وكان لها محباً فدخل داود □ عليها حين أتاه الوحي فقال لها إن الله عز وجل أوحى إلي أن أتخذ وصياً من أهلي. فقالت له امرأته فليكن ابني. قال ذاك أريد. وكان السابق في علم الله المختوم أنه سليمان □، فأوحى الله تعالى إلى داود □ أن لا تعجل دون أن يأتيك أمري فلم يلبث أن ورد عليه رجلان يختصمان في الغنم والكرم، فأوحى الله تعالى إلى داود □ أن اجمع ولدك فمن قضى بهذه القضية فأصاب فهو وصيك من بعدك. فجمع داود □ ولده، فلما أن قضى الخصمان قال سليمان □ يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرجل كرمك ؟. قال: دخلته ليلاً. قال: قد قضيت عليك يا صاحب الغنم بأولاد غنمك وأصوافها في عامك. ثم قال له داود □: فكيف لم تقض برقاب الغنم وقد قوم ذلك علماء بني إسرائيل فكان ثمن الكرم قيمة الغنم ؟. فقال سليمان: إن الكرم لم يجتث من أصله وإنما أكل حملة وهو عائد في قابل. فأوحى الله عز وجل إلى داود □ أن القضاء في هذه القضية ما قضى سليمان به يا داود أردت أمراً وأردنا غيره. فدخل داود □ على امرأته فقال لها أردنا أمراً و أراد الله غيره و لم يكن إلا ما أراد الله عز وجل و سلمنا وكذلك الأوصياء □ ليس لهم أن يتعدوا بهذا الأمر فيجاوزون صاحبهم إلى غير[.

بقيت الإشارة إلى الحكيم لقمان عليه الرضوان الذي كان معاصراً لداود □ الذي سَاح في الأرض مظهراً للحكمة والتقوى والورى والزهد إلى أيام نبي الله يونس □، قال سبحانه: [وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ] (75). وعن تفسير علي بن إبراهيم عن حماد قال: سألت أبا عبد الله □ عن لقمان وحكمته التي ذكرها الله عز وجل؟. فقال: [أما والله لقد أوتي لقمان الحكمة لا بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا جمال ولكنه كان رجلاً قوياً في أمر الله متورعاً في الله،

عميق النظر طويل الفكر، لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط ولا اغتسال لشدة تستره، ولم يضحك من شيء قط، ولم ينازع إنساناً قط، ولم يفرح بشيء أتاه من أمر الدنيا ولا حزن منها على شيء قط، وقد نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة، وقد مات أكثرهم أفرأطاً فما بكى لأحد منهم ولم يمر برجلين يختصمان أو يقتتلان إلا أصلح بينهما، ولم يسمع قولاً من أحد إلا استحسنته إلا سأل عن تفسيره وعمن أخذه، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء، وكان يغشي القضاة والملوك والسلطين فيرثي للقضاة مما ابتلوا به ويرحم الملوك والسلطين لغرقهم بالله وطمأنينتهم بذلك ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه، وكان يداوي قلبه بالتفكير ويداوي نفسه بالعبر، وكان لا يتكلم إلا فيما يعنيه. فذلك أوتي الحكمة وإن الله تعالى أمر طوائف من الملائكة حين انتصف النهار وهدأت العيون بالقابلية فنادوا لقمان حيث يسمع ولا يراهم فقالوا: يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض وتحكم بين الناس؟ فقال لقمان: إن أمرني ربي فالسمع والطاعة لأنه إن فعل بي ذلك أعاني وعلمي وعصمني وإن هو خيرني قبلت العافية. فقالت الملائكة: يا لقمان لم؟ قال: لأن الحكم بين الناس بأشد المنازل من الدين وأكثر فتناً وبلاءً]. ثم ساق الحديث إلى قوله: [فعجبت الملائكة من حكمته واستحسن الرحمن منطقه، فلما أمسى وأخذ مضجعه من الليل أنزل الله عليه الحكمة فغشاه بها من قرنه إلى قدمه وهو نائم وغطاه

بالحكمة غطاءً، فاستيقظ وهو أحكم الناس في زمانه، وخرج على الناس
ينطق بالحكمة فلما أوتي الحكم بالخلافة ولم يقبلها أمر الله الملائكة فنادت
داود بالخلافة فقبلها ولم يشترط فيها بشرط لقمان فأعطاه الله الخلافة في
الأرض وابتلي فيها غير مرة وكل ذلك يهوي في الخطأ فيقيه الله ويغفر له.
وكان لقمان يكثر زيارة داود ويعظه بمواعظه وكان يقول له داود □ طوبى لك
يا لقمان أوتيت الحكمة وصرفت عنك البلية وأعطي داود □ الخلافة وابتلي
بالخطيئة والفتنة فوعظ لقمان ابنه بالنار حتى تفطر وانشق وكان فيما وعظه أن
قال: " يا بني إنك منذ سقطت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة فدار
أنت إليها تسير أقرب إليك من دار أنت عنها متباعد يا بني جالس العلماء
وزاحمهم بركبتك ولا تجادلهم فيمنعوك وخذ من الدنيا بلاغا ولا ترفضها
فتكون عيالا على الناس وصم صوما يقطع شهوتك ولا تصم صياما يمنعك
من الصلاة فإن الصلاة أحب إلى الله من الصيام يا بني إن الدنيا بحر عميق
قد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان واجعل شراعها التوكل
واجعل زادك فيها تقوى الله فإن نجوت فبرحمة الله وإن هلكت فبذنوبك يا
بني إن تأدبت صغيرا انتفعت به كبيرا يا بني خف الله خوفا لو أتيت يوم
القيامة ببر الثقلين خفت أن يعذبك وأرج الله رجاء لو وافيت القيامة بذنوب
الثقلين رجوت أن يغفر الله لك فقال له ابنه يا أبت وكيف أطبق هذا وإنما
لي قلب واحد فقال يا بني استخرج قلب المؤمن فشق لوجد فيه نوران نور

للخوف ونور للرجاء لو وزنا ما رجع أحدهما على الآخر مثقال ذرة يا بني
لا تركز إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها فما خلق الله خلقا هو أهون عليه
منها أ لا ترى أنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ولم يجعل بلاءها عقوبةً
للعاصين].

نبوة سليمان □:

سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن
 عوينادب بن ارم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن
 إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروخ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن
 أرفخشذ بن سام بن نوح □. قال تعالى: [وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ*
 وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ*] (76). فكان
 كأبيه □ في وراثة الملك والحكمة، بل أعطي تسخير الجيوش من الجن والإنس
 والرياح للفتح والجهاد المقدس لإعلاء كلمة التوحيد الإلهي. فعن الأصبغ، قال:
 خرج سليمان بن داود □ من بيت المقدس مع ثلاثمائة ألف كرسي عن يمينه
 عليها الإنس، وثلاثمائة ألف كرسي عن يساره عليها الجن، وأمر الطير فأظلتهم،
 وأمر الريح فحملتهم حتى ورجت بهم المدائن، ثم رجل وبات في إصطخر، ثم
 غدا فانتهى إلى جزيرة بركادان، ثم أمر الريح فخفضتهم حتى كادت أقدامهم أن
 يصيبها الماء، فقال بعضهم لبعض: هل رأيتم ملكاً أعظم من هذا؟ فنادى
 ملك: لثواب تسيحة واحدة أعظم مما رأيتم (77). وعن أبي بصير عن أبي جعفر
 □ قال: [كان لسليمان العطر وفرض النكاح في حصن بناه الشياطين له،

(76) النمل: 16-17.

(77) بحار الأنوار (14 / 72)، برقم: (11).

فيه ألف بيت، في كل بيت طروقة منهم سبعمائة أمة قبطية وثلاثمائة حر مهيرة، فاعطاه الله تعالى قوة أربعين رجلاً في مباضعة النساء، وكان يطوف بهن جميعاً ويسعفهن^[78]، قال : [وكان سليمان يأمر الشياطين فتحمل له الحجارة من موضع إلى موضع، فقال لهم إبليس : كيف أنتم ؟ قالوا : مالنا طاقة بما نحن فيه، فقال إبليس : أليس تذهبون بالحجارة وترجعون فراغاً ؟ قالو : نعم، قال : فأنتم في راحة . فأبلغت الريح سليمان ما قال إبليس للشياطين فأمرهم أن يحملوا الحجارة ذاهبين ويحملوا الطين راجعين إلى موضعها، فترأى لهم إبليس، فقال : كيف أنتم ؟ فشكوا إليه، فقال : ألسنتم تنامون بالليل ؟ قالوا : بلى، قال : فأنتم في راحة، فأبلغت الريح سليمان ما قالت الشياطين وإبليس، فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار، فما لبثوا إلا يسيراً حتى مات سليمان □]. وقال : [خرج سليمان يستسقي ومعه الجن والإنس، فمرّ بنملة عرجاء ناشرة جناحها رافعة يدها، وتقول : اللهم إنّ خلق من خلقتك لأغنى بنا عن رزقك، فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا، فقال سليمان لمن كان معه : ارجعوا فقد شفع فيكم غيركم⁽⁷⁸⁾].

أقول: إن هذا الملك العظيم قد آتاه الله سبحانه بطلب من سليمان □ إذ قال: [وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ]⁽⁷⁹⁾. فلا

(78) بحار الأنوار (14 / 72 . 73) ، برقم : (12) .

(79) ص: 35.

يقال كما قيل: كيف يطلب الملك وهو مناف للزهد والعفاف والكفاف الذي كان يمتاز به مَنْ سبقه من الأنبياء والصالحين □. وبعض قال أن طلبه الملك فرع كونه بخيلاً والعياذ بالله، كما ورد في رواية علي بن يقطين عندما قال: قلت لأبي الحسن موسى □ أيجوز أن يكون نبي الله بخيلاً؟ فقال: [لا]، قلت: فقول سليمان: (هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) ما وجهه؟ قال: [إنَّ الملك ملكان: ملك مأخوذ بالغلبة والقهر والجور. وملك مأخوذ من قبل الله تعالى فقال سليمان: هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي أن يقول: إنَّه مأخوذ بالقهر والغلبة]. فقلت: قول رسول الله □: [رحم الله أخي سليمان ما كان أبخله] فقال: [لقوله □ وجهان: أحدهما: ما كان أبخله بعرضه وسوء القول فيه. والآخر: ما كان أبخله إن أراد ما يذهب إليه الجهال]. ثم قال □: [قد أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يؤت أحدٌ من العالمين، قال الله تعالى في قصّة سليمان: (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) وقال عزّ وجلّ في قصّة محمد □: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)]⁽⁸⁰⁾.

أقول: روت العامة وبعض أصحابنا تبعاً لتأثرهم بالروايات الإسرائيلية ما هو مناف لهذا الملك العظيم وما يشبهه في أساطير الأغريق وخرافاتهم، كما في كون

(80) بحار الأنوار (14 / 85 - 86 ، علل الشرائع 1 / 71 ، معاني الاخبار ص 353

، عيون أخبار الرضا 1 / 79 .

هذا الملك في خاتم سليمان □ فكان إذا لبسه حضرته الجن و الإنس و الشياطين وجميع الطير والوحوش, وكان إذا دخل الخلاء دفع خاتمه إلى بعض من يخدمه فجاءه ذات مرة شيطان فخدع خادمه وأخذ منه الخاتم ولبسه فحشرت عليه الشياطين والجن و الإنس والطير والوحوش وخرج سليمان في طلب الخاتم فلم يجده فهرب مر على ساحل البحر وأنكرت بنو إسرائيل الشياطين الذين تصوروا في صورة سليمان وصاروا إلى أمه فقالوا لها أنتكرين من سليمان شيئاً؟. فقالت: كان أبر الناس بي وهو اليوم يعصيني و صاروا إلى جواريه ونسائه وقالوا أنتكرون من سليمان شيئاً قلن لم يكن يأتينا في الحوض, فلما خاف الشيطان أن يفتنوا به ألقى الخاتم في البحر فبعث الله سمكة فالتقمته وهرب الشيطان فبقي بنو إسرائيل يطلبون سليمان أربعين يوماً وكان سليمان يمر على ساحل البحر تائباً إلى الله مما كان منه فلما كان بعد أربعين يوماً مر بصياد يصيد السمكة فقال له أعينك على أن تعطيني من السمك شيئاً قال نعم فأعانه سليمان فلما اصطاد دفع إلى سليمان سمكة فأخذها وشق بطنها فوجد الخاتم في بطنها فلبسه وخرت عليه الشياطين والجن والإنس ورجع إلى مكانه وطلب ذلك الشيطان وجنوده فقيدهم وحبس بعضهم في جوف الماء وبعضهم في جوف الصخر بأسمي الله فهم محبوسون معذبون إلى يوم القيامة فلما رجع سليمان إلى ملكه قال لأصف وكان آصف كاتب سليمان وهو الذي كان عنده من علم الكتاب قد عذرت الناس بجهالتهم فكيف أعذرك قال لا تعذرني فلقد عرفت الشيطان الذي أخذ خاتمك و أباه و أمه و خاله و لقد قال لي اكتب لي فقلت له إن

العلم لا يجري بالجور فقال اجلس و لا تكتب فكنيت أجلس و لا أكتب شيئاً و لكن أخبرني عنك صرت تحب الهدهد و هو أخس الطير منتناً وأخبثه ريحاً قال إنه يبصر الماء من وراء الصفا الأصم فقال وكيف يبصر الماء من وراء الصفا الأصم وإنما يورى عنه القمح بكف من التراب يأخذ رقبتة فقال سليمان قف يا وقاف فإنه إذا جاء القدر حال دون البصر.

كما أنهم رووا أيضاً في قصة الخيل ما هو شبيه بذلك، قال تعالى ذكره: [إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ * وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ] ⁽⁸¹⁾. فعن تفسير علي بن إبراهيم وذلك أن سليمان ؑ كان يحب الخيل ويستعرضها فعرضت عليه يوماً إلى أن غابت الشمس وفاته صلاة العصر فاغتم من ذلك ودعا الله أن يرد عليه الشمس حتى يصلي العصر فردها عليه إلى وقت العصر فصلاها وأقبل يضرب أعناق الخيل ويسوقها بالسيف حتى قتلها كلها.

وأما في مسألة إلقاء الجسد على كرسي سليمان فقالوا: أن سليمان ؑ لما تزوج بالبائنة ولد له منها ابن و كان يحبه فنزل ملك الموت على سليمان و كان كثير ما ينزل عليه فنظر إلى ابنه نظراً حديداً ففزع سليمان من ذلك وقال لأمه

إن ملك الموت نظر إلى ابني نظرة أظنه أمر بقبض روحه. فقال للجن والشياطين هل لكم أن تفروه من الموت فقال واحد أنا أضعه تحت عين الشمس في المشرق فقال سليمان □ إن ملك الموت يخرج ما بين المشرق والمغرب فقال واحد منهم أنا أضعه في الأرضين السابعة فقال إن ملك الموت يبلغ فقال آخر أنا أضعه في السحاب و الهواء فرفعه و وضعه في السحاب. فجاء ملك الموت فقبض روحه في السحاب فوقع ميتاً على كرسي سليمان فعلم أنه قد أخطأ.

والصحيح من ذلك أما بالنسبة لخاتم سليمان فواضح، وأما الخيل فلما رويناه عن ابن عباس في بحثنا في التفسير: قال: سألت علياً عن هذه الآية فقال: [ما بلغك فيها يا ابن عباس؟] قلت: سمعت كعباً يقول: اشتغل سليمان بعرض الأفراس حتى فاتته الصلاة، فقال: ردوها علي يعني الأفراس وكانت أربعة عشر فأمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً، لأنه ظلم الخيل بقتلها. فقال علي: [كذب كعب، لكن اشتغل سليمان بعرض الأفراس ذات يوم، لأنه أراد جهاد العدو حتى توارت الشمس بالحجاب، فقال بأمر الله للملائكة الموكلين بالشمس: ردوها علي فردت فصلى العصر في وقتها، وإن أنبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم لأنهم معصومون مطهرون].

بقيت الإشارة إلى قصة النملة وعرش بلقيس؛ أما الأولى قال عز وجل: [حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ

لَا يَخْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ⁽⁸²⁾.

فإن وادي النمل هذا قيل بالطائف وقيل بالشام، وتلك النملة كانت رئيسة النمل، والظاهر أن هذه الحادثة قبل تسخير الريح لسليمان □ لأنه مع جيشه كانوا مشاة راجلين من دون أن تحملهم الريح ولكن الريح ساعدت في نقل صوتهما. وأما سبب تبسم النبي من كلام النملة فقد ورد عن إمامنا الرضا عن أبيه الكاظم عن أبيه الصادق عن أبيه الباقر □: [حملت الريح صوت النملة إلى سليمان وهو مار في الهواء والريح قد حملته فوقف وقال: علي بالنملة. فلما أتى بها قال سليمان: يا أيتها النملة أما علمت أي نبي وأني لا أظلم أحداً. قالت النملة: بلى. قال سليمان □: فلم حذرتم ظلمي؟. قالت: خشيت أن ينظروا إلى زيتك فيفتتنوا بها فيبعدوا عن ذكر الله تعالى ذكره. ثم قالت النملة: أنت أكبر أم أبوك داود؟. قال سليمان: بل أبي داود. قالت النملة: فلم زيد في حروف اسمك حرف على حروف اسم أبيك داود؟. قال: ما لي بهذا علم. قالت النملة: لأن أباك داود داوى جرحه بود فسمي داود، وأنت يا ابن داود أرجو أن تلحق بأبيك. ثم قالت النملة: هل تدري لم سخرت لك الريح من بين سائر المملكة؟. قال سليمان: ما لي بهذا علم. قالت

النملة: يعني بذلك لو سخرت لك هذه الريح لكان زوالها من يدك كزوال الريح فحينئذ فتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا].

أقول: أن هذه المسائلة بين نبي الله سليمان ؑ والنملة فيها دلالة على أن هذه النملة كانت تجيب بوحى وإلهام من قبل الله سبحانه لحكمة ظاهرها تعليل مؤخر الآية ليزداد شكر النبي للنعمة التي حباها الله تعالى به ولينال رضاه ورحمته فهو على عظمة ملكه قد وضع الله تعالى حكمته على لسان هذه النملة. ثم أن في بعض التفاسير زيادة سؤال النملة عن تسميته بسليمان, وقد أجابت بكونه سليم الصدر, وقد ذكرت فيه وجوه كثيرة, ومنها:

الأول: أن معناه أن أباك لما ارتكب ترك الأولى وصار قلبه مجروحاً فداواه بود الله تعالى ومحبه فلذا سمي داود إشفاقاً من الدواء بالود وأنت لم تركب بعد وأنت سليم منه فسميت سليمان.

أقول: أن ترك الأولى هذا وإن كان معللاً من قبل المشهور لكنه محل تأمل, من حيث استبطانه لارتكاب المعصوم ما هو مخالف لعصمته كما هو واضح, مع أنه لم يرد فيه نص وإنما كان استنباطياً جرى على الألسن تداوله, بل النصوص المتقدمة على خلافه لتنصيصها وتصريحها بتنزيههم من الذنوب حتى الدقية منها, وإنما الدقة مسلمة فقط في حفظ مقام المولوية.

الثاني: أن هذا الاسم مشتمل على سليم أو مأخوذ منه والسليم قد يستعمل في الجريح كاللذيع تفاؤلاً بصحته وسلامته, أو أنت سليم من المداواة التي حصلت لأبيك فلهذا سميت سليمان.

الثالث: أن المعنى أنك لما كنت سليماً أريد أن يشتق لك اسم يشتمل على السلامة ولما كان أبوك داود داوى جرحه بالود وصار كاملاً بذلك أراد الله تعالى أن يكون في اسمك حرف من حروف اسمه لتلحق به في الكمال فزيد فيه الألف وما يلزمه لتمام التركيب وصحته من النون فصار سليمان وإلا لكان السليم كافياً للدلالة على السلامة.

وأما الثانية: قال سبحانه: [وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لِأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِيَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ] (83). ومحصله أن يقال: إن نبي الله سليمان □ كان إذا قعد على كرسيه جاءت جميع الطير فتظل الكرسي بجميع من عليه من الشمس فغاب عنه الهدهد من بين الطير فوق وقع الشمس من موضعه في حجره

فسأل فلم يمكث إلا قليلاً إذ جاءه وقص له قصة سبأ وما كان من ملك بلقيس وعرشها.

أقول: إن هنا عدة مواطن تستدعي التوقف:

الأول: أن هذا الهدهد كان اسمه يعفور على ما ورد في تفسير الإمام العسكري ؑ وكان قد طار في السماء فنظر فرأى بستاناً لبلقيس فمال إلى الخضرة فوق فيه فإذا هو بهدهد اسمه عنقير من اليمن فقال عنقير ليعفور: من أين أقبلت وأين تريد؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود ؑ. قال: ومن سليمان بن داود؟ قال: ملك الجن والإنس والطير والوحوش والشياطين والرياح فمن أين أنت؟ قال: أنا من هذه البلاد. قال: ومن ملكها؟ قال: امرأة يقال لها بلقيس وإن لصاحبكم سليمان ملكاً عظيماً وليس ملك بلقيس دونه فإنها ملكة اليمن وتحت يدها اثني عشر ألف قائد فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها؟ قال: أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء. قال: إن صاحبك ليسره أن تأتبه بخبر هذه الملكة. فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها وما رجع إلى سليمان إلا وقت العصر فلما طلبه سليمان فلم يجده دعا عريف الطيور وهو النسر فسأله عنه فقال ما أدري أين هو وما أرسلته مكاناً، ثم دعا بالعقاب فقال: علي بالهدهد. فارتفع فإذا هو بالهدهد مقبلاً فانقض نحوه فناشده الهدهد بحق الله الذي قواك وغلبك علي إلا ما رحمتني ولم تعرض لي بسوء فولى عنه العقاب وقال له ويلك ثكلتك أمك إن

نبي الله حلف أن يعذبك أو يذبحك، ثم طارا متوجهين إلى سليمان ☐ فلما انتهى إلى المعسكر تلقته النسر والطير فقالوا توعذك نبي الله. فقال الهدهد: أوما استثنى نبي الله؟. فقالوا: بلى (أَوْ لَيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) فلما أتيا سليمان وهو قاعد على كرسيه قال العقاب: قد أتيتك به يا نبي الله. فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان ☐ فأخذ برأسه فمدّه إليه. فقال: أين كنت ؟. فقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان ☐ وعفا عنه.

وروى العياشي بالإسناد قال قال أبو حنيفة لأبي عبد الله ☐: كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير ؟. قال: [لأن الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى أحدكم الدهن في القارورة]. فنظر أبو حنيفة إلى أصحابه وضحك. فقال أبو عبد الله ☐: [ما يضحكك]. قال: ظفرت بك جعلت فداك. قال: [وكيف ذلك]. قال: الذي يرى الماء في بطن الأرض لا يرى الفخ في التراب حتى يأخذ بعنقه. فقال أبو عبد الله ☐: [يا نعمان أما علمت أنه إذا نزل القدر أعشى البصر وفي قوله لأُعَذِّبَنَّكَ عَذَاباً شَدِيداً أي أنتف ريشه وألقيه في الشمس].

الثاني: أن الهدية التي بعثتها بلقيس إلى سليمان ☐ كانت من أجل استمالت قلبه لدفع الحرب التي قد تقع بينهما، بل أن فيها اختباراً لملكه وحكمته ونبوته، وكان سلام الله عليه عالماً بذلك وقد أعد العدة لاستقبال رسل بلقيس، فقد

جاء أنه جمع الجن والإنس والطيور والوحوش ووضع ميداناً واحداً بلبنات من الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حائطاً شرفها من الذهب والفضة ففعلوا واصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره. ثم أن نوع هذه الهدية محل خلاف، فقليل: أنها جوهرة ثينة وأرادت أن يثقبها من دون حديد، وجواري وغلمان وأرادت أن يميز بينهم لأنها ألبستهم لباساً واحداً؛ أما الجوهرة فإن [] عندم رأى القوم نظر إليهم نظراً مستئنساً بهم - وكانت بلقيس أن قالت للرسول: انظر إذا دخلت إليه فإن نظر إليك نظر غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولنك أمره وإن نظر إليك نظر لطف فاعلم أنه نبي مرسل - . وقال: أين الحبة. فأتي بها وحركها وأخبره جبرائيل بما فيها وقال إن فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب. فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة فأرسل سليمان إلى الأرضة فجاءت فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر. ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضاء أنا لها يا رسول الله فثقبتها. وأما الجواري والغلمان فأمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه والغلام يأخذ من الآنية يضرب به وجهه وكانت الجارية على باطن ساعدها والغلام على ظاهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صباً وكان الماء يحدر على يده حدراً فميز بينهم بذلك. وقيل إنها أنفذت مع هداياها عصا كانت تتوارثها ملوك حمير وقالت أريد أن تعرفني رأسها من أسفلها وبقدح قالت تملؤه ماء ليس من الأرض ولا من السماء، فأرسل سليمان العصا إلى الهواء وقال

أي الرأسين سبق إلى الأرض فهو أصلها وأمر الخيل فأجريت حتى عرقت و ملأ القدح من عرقها و قال هذا ليس من ماء الأرض و لا من ماء السماء. وقيل أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان □ أمر الجن فزوقوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فألقي في الطريق في كل مكان صغر في أعينهم ما جاءوا به.

الثالث: أن آصف بن برخيا كان وصياً لسليمان □ وأنه قد أتى بعرش بلقيس, وكان سؤال النبي عن الذي يأتيه بالعرش فيه إشارة إلى استخلافه كما ورد عن الحسن العسكري □ أنه سئل أكان سليمان □ محتاجاً إلى علم آصف بن برخيا يعني حتى أحضر له عرش بلقيس ؟. فقال □: [إن سليمان لم يعجز عن معرفة ما عرفه آصف لكنه أحب أن يعرف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان □ أودعه آصف بأمر الله ففهمه الله ذلك لثلاثا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان □ في حياة داود □ لتعرف إمامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق.]. ولكن هناك خلاف في كيفية الإتيان به فقيل: أن الملائكة حملته بأمر الله تعالى. وقيل: أن الريح حملته. وقيل: أن الله تعالى خلق فيه حركات متوالية. وقيل: أنما انخرق مكانه حيث هو هناك ثم نبع بين يدي سليمان □. وقيل: أعدمه الله في موضعه وأعادته في مجلس سليمان □. وقيل: أن الأرض طويت له بالخسف عندما تكلم باسم الله الأعظم على ما روي عن الإمام الباقر □: [أن اسم الله الأعظم على

ثلاثة وسبعين حرفاً وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فحسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله تبارك وتعالى استأثر به في علم الغيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم].

ثم أنه ورد في الأخبار تفضيل محمد وآله على سائر الخلق عموماً وعلى ما ملك سليمان □ على وجه خاص، فعن أبي الحسن الأول □: [أن الله ما بعث نبياً إلا ومحمد □ أعلم منه]. ثم قال: [إن سليمان بن داود □ قال للهدد حين فقده ما لي لا أرى الهدد فغضب لفقده لأنه كان يدلّه على الماء فهذا وهو طائر أعطي ما لم يعط سليمان، فلم يكن سليمان □ يعرف الماء تحت الهواء أي الأرض وكان الطير يعرفه وأن الله يقول في كتابه: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال و تقطع به البلدان و يحيي به الموتى و نحن نعرف الماء تحت الهواء يعني الأرض.].

نبوة زكريا □:

زكريا بن برخيا بن دان بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان
 بن مسلم بن صديقة بن برخيا ابن بلعاطة بن ناحور بن شلوم بن بهفاشاط بن
 إينامن بن رحيعام بن سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن
 نحشون بن عوينادب بن ارم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن
 إسحاق بن إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن
 شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح □. قال سبحانه: [إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ
 وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا
 فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا
 أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي
 أُعِيدُهَا بَكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ
 وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ
 عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ
 يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً
 طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ
 اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ
 * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ [84].

كانت امرأة نبي الله زكريا ؑ أخت مريم بنت عمران ؑ، وعمران هو ابن ماثان الذي كان يرأس بني إسرائيل من ولد سليمان بن داود عليهما السلام. حيث طلب هذا النبي من الله سبحانه ولداً وارثاً يرثه ويرث آل يعقوب من بعده كما نصت الآية، وفي رواية إمامنا اصادق ؑ، قال: [فبشره الله تعالى بيحيى، فلم يعلم أنّ ذلك الكلام من عند الله تعالى جلّ ذكره وخاف أن يكون من الشيطان، فقال: أيّ يكون لي ولد وقال (ربّ اجعل لي آية) فأسكت فعلم أنّه من الله تعالى].

أقول: من هنا ينسد باب الشبهة المثارة حول هذا النبي باعتبار أنه استشكل على قدرة الله تعالى لما بلغ من الكبر وزوجته الشئ الكثير. وأما تكفله لمريم عليه وؑ فواضح لما بدى له من منزلتها العظيمة والمعاجز التي رآها منها بحيث جعلته يطلب هذا الولد والوارث وهو يحيى ؑ. ولكن ورد بطرقنا الصحيحة أن سبب ذلك هو ما أوحاه الله إليه من المصائب التي تجري على محمد وآله ؑ وخصوصاً فجعية إمامنا الحسين ؑ فتمنى أن يفجع بولد كما فجع رسول الله بسبطه وولده الحسين عليهم صلوات الله. فعن كتاب الإحتجاج أنه سأل سعد بن عبد الله

القائم □ عن تأويل كهيعص فقال □: هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع عليها عبده ثم قصها على محمد □, وذلك أن زكريا □ سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة فأهبط الله عليه جبرئيل فعلمه إياها فكان زكريا إذا ذكر محمدا □ وعلياً وفاطمة والحسن □ انكشف عنه وانجلي كربه وإذا ذكر الحسين □ خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة. فقال □ ذات يوم إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم تسليت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين □ تدمع عيني وتثور زفريقي فأنبأه الله تعالى عن قصته فقال كهيعص فالكاف اسم كربلاء والهاء هلاك العترة والياء يزيد وهو ظالم الحسين عليه السم والعين عطشه وصاد صبره. فلما سمع ذلك زكريا □ لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيهن الناس من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنحيب وكان يرثيه ويقول إلهي أنفجع خير خلقك بولده إلهي أنزل بلوى هذه الرزية بفنائيه إلهي أتلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة إلهي أتحل كربة هذه المصيبة بساحتها. ثم كان يقول إلهي ارزقني ولداً تقر به عيني على الكبر فإذا رزقتنيه فافتني بحبه ثم أفجعني به كما تفجع محمداً حببيك بولده, فرزقه الله يحيى □ وفجعه به وكان حمل يحيى □ ستة أشهر وحمل الحسين □ كذلك.

ثم أن بني إسرائيل كان حالهم مع زكريا □ من أشد الأحوال تكديماً وتكديلاً حتى وصل الأمر بهم إلى الطعن فيه وفي مريم □ بارتكاب الفاحشة, فقد جاء أن إبليس انطلق يستقرئ مجالس بني إسرائيل أجمع ويقول في مريم □ ويقذفها

بزكريا حتى التحم الشر وشاعت الفاحشة على زكريا ، فلما رأى زكريا ذلك هرب واتبعه سفهاؤهم وشرارهم وسلك في واد حتى إذا توسطه انفرج له جذع فدخل فيه وانطبقت عليه الشجرة وأقبل إبليس يطلبه معهم حتى انتهى إلى الشجرة التي دخل فيها زكريا ففاس لهم إبليس الشجرة من أسفلها إلى أعلاها حتى إذا وضع يده على موضع القلب من زكريا فنشروا بمنشارهم وقطعوا الشجرة وقطعوه في وسطها ثم تفرقوا عنه وتركوه وغاب عنهم إبليس حتى فرغ مما أراد فكان آخر العهد به ولم يصب زكريا من ألم المنشار شيء، ثم بعث الله عز وجل الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ثلاثة أيام من قبل أن يدفن وكذلك الأنبياء ع لا يتغيرون ولا يأكلهم التراب ويصلى عليهم ثلاثة أيام ثم يدفنون. وورد أيضاً عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله : [إِنَّ زَكَرِيَّا كَانَ خَائِفًا، فَهَرَبَ فَالْتَجَأَ إِلَى شَجَرَةٍ، فَانْفَرَجَتْ لَهُ وَقَالَتْ : يَا زَكَرِيَّا ادْخُلْ فِي، فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ فِيهَا، فَطَلَبُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ وَأَتَاهُمْ إِبْلِيسُ وَكَانَ رَأَاهُ فَدَلَّمَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ : هُوَ فِي هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَاقْطَعُوهَا وَقَدْ كَانُوا يَعْبُدُونَ تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَقَالُوا : لَا نَقْطَعُهَا، فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى شَقَّوْهَا وَشَقَّوْا زَكَرِيَّا] .

أقول: سيأتي في نبوة يحيى أن هذه الحادثة كانت بعد مقتل يحيى وقصة المرأة البغية التي تأمرت على قتله مع ذلك الملك الجبار، حيث أن سبب خوف زكريا من بني إسرائيل هو ما اتناهم من غضب شديد من الخسف الذي لحق بملكهم وجلالورزته عندما قتلوا يحيى فأرادوا الانتقام من زكريا بتفصيل آت.

نبوة يحيى □:

يحيى بن زكريا بن برخيا بن دان بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا ابن بلعاطة بن ناحور بن شلوم بن بهفاشاط بن إينامن بن رحيعام بن سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عوينادب بن ارم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح □. قال عز اسمه: [يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا] (85).

روي في ولادته الشريفة عن إمامنا الباقر □ أنه قال: [لما ولد يحيى □ رفع إلى السماء فغذي بأنها الجنة حتى فطم، ثم نزل إلى أبيه وكان يضيء البيت بنوره]. وعن مولانا الإمام الرضا □ قوله: [إن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن؛ يوم يلد فيخرج من بطن أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا، وقد سلم الله يحيى □ في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال: (سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ

يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) وقد سلم الله عيسى ابن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا). [.

وكان من عبادته وخشوعه وانقطاعه لله سبحانه أنه كان يصلي ويبكي حتى ذهب لحم خده، وجعل لبداً وألزقه بخده حتى تجري الدموع عليه، وكان لا ينام، فقال له أبوه ذات مرة: [يا بني إني سألت الله أن يزرقيك لأفرح بك وتقر عيني، قم فصل]، فقال له يحيى: [إن جبرئيل حدثني أن أمام النار مفازة لا يجوزها إلا البكاؤون، فقال: يا بني فابك وحق لك أن تبكي].

أقول: وقد ورد في هذا الشأن الكثير، ومنها عن رسول الله ﷺ: [كان من زهد يحيى بن زكريا ﷺ أنه أتى بيت المقدس، فنظر إلى المجتهدين من الأحرار والزهبان عليهم مدارع الشعر، فلما رآهم أتى أمه، فقال: انسجي لي مدرعة من صوف حتى آتي بيت المقدس فأعبد الله مع الأحرار، فاخبرت زكرياً بذلك، فقال زكرياً: يا بني ما يدعوك إلى هذا؟ وإنما أنت صبي صغير، فقال: يا أبت أما رأيت من هو أصغر مني قد ذاق الموت؟ قال: بلى، وقال لأمه: انسجي له المدرعة، فأتى بيت المقدس وأخذ يعبد الله تعالى حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه وجعل يبكي، وكان زكرياً إذا أراد أن يعظ يلتفت يميناً وشمالاً، فإن رأى يحيى لم يذكر جنة ولا ناراً]. ولكن قد صادف أن

زكريا ؑ ذات يوم كان يعظ بني إسرائيل وأقبل يحيى قد لف رأسه بعباءة فجلس في غمار الناس والتفت زكريا يميناً وشمالاً فلم ير يحيى فأنشأ يقول: [حدثني حبيبي جبرئيل عن الله تبارك وتعالى أن في جهنم جبلاً يقال له السكران في أصل ذلك الجبل وادياً يقال له الغضبان يغضب لغضب الرحمن تبارك وتعالى في ذلك الوادي جب قامته مائة عام في ذلك الجب توابيت من نار في تلك التوابيت صناديق من نار و ثياب من نار وسلاسل من نار وأغلال من نار].

فرفع يحيى ؑ رأسه فقال: [واغفلتاه من السكران]، ثم أقبل هائماً على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها: [يا أم يحيى قومي فاطلي يحيى فإنني قد تخوفت أن لا نراه إلا وقد ذاق الموت]. فقامت فخرجت في طلبه حتى مرت بفتيان من بني إسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى أين تريدين؟.

قالت: أن أطلب ولدي يحيى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه. فمضت أم يحيى والفتية معها حتى مرت براعي غنم فقالت له: يا راعي هل رأيت شاباً من صفته كذا وكذا. فقال لها لعلك تطلبين يحيى بن زكريا؟. قالت: نعم ذاك ولدي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه. فقال: إني تركته الساعة على عقبة ثنية كذا وكذا ناعماً قدميه في الماء رافعاً بصره إلى السماء يقول: [وعزتك يا مولاي لا ذقت بارد الشراب حتى أنظر إلى منزلي منك]. وأقبلت أمه فلما رآته دنت منه فأخذت برأسه فوضعت بين ثدييها وهي تناشده بالله أن ينطلق معها إلى المنزل، فانطلق معها إلى المنزل: فقالت: هل لك أن تخلع مدرعة الشعر وتلبس مدرعة الصوف فإنه ألين. ففعل وطبخ له عدس فأكل واستوفى فنام فذهب به

النوم فلم يقم لصلاته فنودي في منامه: [يا يحيى بن زكريا أردت داراً خيراً من داري، وجواراً خيراً من جواري]. فاستيقظ فقام فقال: [يا رب أقلني عثرتي إلهي فوعزتك لا أستظل بظل سوى بيت المقدس]. وقال لأمه: [ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت أنكما ستورداني المهالك]. فدفعت إليه المدرعة وتعلقت به. فقال لها زكريا: [يا أم يحيى دعيه فإن ولدي قد كشف عن قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش]. فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه، ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله عز وجل مع الأحبار حتى كان من أمره ما كان.

كما أنه □ كانت له محادثة مع الشيطان أوجبت ألا يأتيه قط، فقد روي عن إمامنا الرضا □: [أن إبليس كان يأتي الأنبياء □ من لدن آدم □ إلى أن بعث الله المسيح □ يتحدث عندهم ويسألهم ولم يكن بأحد منهم أشد بأساً منه يحيى بن زكريا □، فقال له يحيى □: يا أبا مرة إن لي إليك حاجة. فقال: أنت أعظم قدراً من أن أردك بمسألة فسألني ما شئت فإني غير مخالفك فيما تريده. فقال له يحيى □: يا أبا مرة أريد أن تعرض علي مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بني آدم. فقال له إبليس: حباً وكرامة. وواعده لغد. فلما أصبح يحيى □ قعد في بيته ينتظر الموعد وأغلق عليه الباب فما شعر حتى ساواه من خوخة كانت في بيته فإذا وجهه صورة وجه القرد وجسده على صورة الخنزير وإذا عيناه مشقوقتان طولاً وأسنانه عظم واحد بلا ذقن ولا

حية وله أربعة أيد يدان في صدره ويدان في منكبه وإذا عراقبيه قوادمه وأصابعه خلفه وعليه قباء وقد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط بين أحمر وأصفر وأخضر وجميع الألوان وإذا بيده جرس عظيم وعلى رأسه بيضة وإذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلايب. فلما تأمله يحيى □ قال له: ما هذه المنطقة التي في وسطك؟. فقال: هذه الجوسية أنا الذي سننتها وزينتها لهم. فقال: وما هذه الخيوط الألوان؟. قال: له هذه جميع أصباغ النساء لا تزال المرأة تصبغ الصبغ حتى تقع مع لوئها فافتتن الناس بها. فقال له: فما هذا الجرس الذي بيدك. قال: هذا كل لذة من طنبور وبربط وطبل وناي وصرناي وإن القوم ليجلسون على شراهم فلا يستلذونه فأحرك الجرس فيما بينهم فإذا سمعوا استخفهم الطرب فمن بين من يرقص ومن بين من يفرقع بأصابعه ومن بين من يشق ثيابه. فقال له: وأي الأشياء أقر لعينك؟. فقال: النساء هن فخوخي ومصائدي فإني إذا اجتمعت على دعوات الصالحين ولعناتهم صرت إلى النساء فطابت نفسي بهن. فقال له يحيى □: فما هذه البيضة التي على رأسك؟. قال: بها أتوقى دعوات المؤمنين. قال: فما هذه الحديدة التي أرى فيها الكلايب؟. قال: بهذه أقلب قلوب. قال يحيى □: فهل ظفرت بي ساعة قط؟. قال: لا ولكن فيك خصلة تعجبني بها. قال يحيى □: فما هي؟. قال: أنت رجل أكل فإذا ظفرت وأكلت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل. قال يحيى □: فإني أعطي الله عهداً

ألا أشبع من الطعام حتى ألقاه. قال له إبليس: وأنا أعطي الله عهداً ألا أنصح مسلماً حتى ألقاه. ثم خرج فما عاد إليه بعد ذلك. [وبهذه المحاربة الشديدة للشيطان والشهوات استطاع أن يصل هذا النبي المبارك إلى أن يكون حقاً وفعلاً ما تقدم وصفه في قوله سبحانه: (وحناناً من لدنا وزكاة)، ومعنى ذلك بحسب قول سيدنا ومولانا الإمام الباقر أنه: [فما بلغ من تحنن الله عليه قال إذا قال يا رب قال الله عز و جل لييك يا يحيى].

وأما في استشهاده ومقتله فقد وردت فيه روايات، ومنها:

الأولى: أن ملكاً كان على عهده كان قد وقع على بغية فكانت تأتیه حتى كبرت في السن، فقامت بتهيئة ابنتها وأوصتها إذا واقعها الملك وسألها عن حاجتها فقولي حاجتي أن تقتل يحيى بن زكريا □، فلما واقعها سألها عن حاجتها فقالت له ما قالته لها أمها. فلما كان في الليلة الثالثة بعث إلى يحيى فجاء به، فدعا بطشت ذهب فذبجه فيها وصبوه على الأرض فكان من أمر الدم ما كان في عدم الانقطاع وبقي زماناً إلى زمن بختنصر وسييه للقدس فلما رأى ذلك الدم، فسأل عنه فلم يجد أحداً يعرفه حتى دل على شيخ كبير فسأله، فقال له أخبرني أبي عن جدي أنه كان من قصة يحيى بن زكريا كذا وكذا، وقص عليه القصة والدم دمه فقال بختنصر: لا جرم لأقتلن عليه حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفاً، فلما وفي عليه سكن الدم وانقطع.

الثانية: أن هذه البغي كانت زوجة ملك جبار قبل ذلك الملك وتزوجها هذا بعده، وكانت لها ابنة من ذاك الأول، فلما كبرت الأم طلبت من الملك الثاني أن يتزوج ابنتها فأبى الزواج إلى أن يسأل نبي الله يحيى   عن ذلك فسأله فأجابه بعدم الجواز، فقامت الأم بتهيئة ابنتها للملك في حال سكره وعرضتها عليه، فلما واقعها سألها حاجتها فكان ما تقدم في الرواية السابقة من مقتل يحيى  .

الثالثة: أن عيسى بن مريم   بعث يحيى بن زكريا   في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس وينهاهم عن نكاح ابنة الأخت، قال: وكان لملكهم بنت أخت تعجبه، وكان يريد أن يتزوجها، فلما رآها سألها عن حاجتها، قالت: حاجتي أن تدبح يحيى بن زكريا، فكان ما تقدم في الروایتين السابقتين.

أقول: إن هذه الروايات متفقة في أن قتل يحيى   كان ذبحاً بأمر من ذلك الملك الجبار الطاغية عن طريق تلك البغية الفاجرة، وأن دم هذا النبي الطاهر قد بقي إلى زمان طاغية آخر وهو بختنصر وقد انتصر له. وإن اختلفت في شرعية علاقة الأم وابنتها بالملك الثاني فالأولى تثبت عدم الشرعية والثانية تثبت شرعية علاقة الأم دون البنت والثالثة تثبت الشرعية باعتبار كون الأم اختاً للملك ولكنها ليست بشرعية من طرف ابنتها. كما أن الثانية تبين أن سبب طلب الأم وابنتها الباغيتان من الملك ذبح النبي من أجل عدم تجويزه زواج الملك بالبنت بسبب كون البنت ربيبة قد دخل بأمرها، بينما الثالثة بسبب كونها بنت اخته. ولكن في حديث المعراج أن هذه المرأة كانت قد أحبت يحيى   ولما لم يجبه لما

تصبو إليه فعلت ما فعلت، كونه □ كان من النساء كما وصفه سبحانه:

[وَسَيِّدًا وَحَصُورًا]. حيث وقد ورد عن إسحاق بن بشر في كتابه المبتدأ بإسناده إلى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أسرى به رأى زكريا □ في السماء فسلم عليه وقال له: [يا أبا يحيى خبرني عن قتلِكَ كيف كان ولم قتلِكَ بنو إسرائيل؟]. قال: [يا محمد أخبرك أن يحيى كان خير أهل زمانه، وكان أجملهم وأصحبهم وجهاً، وكان كما قال الله تعالى: "سيداً وحصوراً" وكان لا يحتاج إلى النساء فهو يته امرأة ملك بني إسرائيل، وكانت بغية، فأرسلت إليه وعصمه الله وامتنع يحيى وأبى عليها فأجمعت على قتل يحيى ولهم عيد يجتمعون في كل عام، وكانت سنة الملك أن يعد ولا يخلف ولا يكذب]. قال: [فخرج الملك إلى العيد فقامت امرأته فشيعة، وكان بها معجباً ولم تكن تفعله فيما مضى، فلما أن شيعة قال الملك سليمان، فما سألتني شيئاً إلا أعطيتك. قالت: أريد دم يحيى بن زكريا. قال لها سليمان غيره. قالت: هو ذاك قال: هو لك. قال فبعثت جلاوزتها إلى يحيى وهو في محرابه يصلي وأنا إلى جانبه أصلي، قال: فذبح في طست وحمل رأسه ودمه إليها.]. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [فما بلغ من صبرك ؟]. قال: [ما انفلت من صلاتي]. قال: [فلما حمل رأسه إليها فوضع بين يديها فلما أمسوا خسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه، فلما أصبحوا قالت بنو إسرائيل: قد غضب إله زكريا، لزكريا فتعالوا حتى نغضب ملكنا فنقتل

زكريا. قال: فخرجوا في طلي ليقتلوني وجاءني النذير، فهربت منهم وإبليس أمامهم يدهم علي، فلما تخوفت أن لا اعجزهم عرضت لي شجرة فنادتني وقالت إلي إلي. وانصدعت لي ودخلت فيها. قال: وجاء إبليس حتى أخذ بطرف ردائي والتأمت الشجرة وبقي طرف ردائي خارجاً من الشجرة، وجاءت بنو إسرائيل فقال إبليس: أما رأيتموه دخل هذه الشجرة، هذا طرف ردائه دخلها بسحره. فقالوا: نخرق هذه الشجرة. فقال إبليس شقوه بالمنشار شقاً. قال: فشقت مع الشجرة بالمنشار. قال له النبي ﷺ: [هل وجدت له مساً أو وجعاً؟]. قال: [لا إنما وجدت ذلك الشجرة التي جعل الله روعي فيها].

وأما ما يتعلق ببعث نبي الله عيسى يحيى ﷺ فهو أمر طبيعي لكون الأول من أنبياء أولي العزم الذين قد تكلفوا بحمل وتبليغ الشريعة مع إنزال الكتب، بينما الثاني لم يكن كذلك. وفي الكامل أن يحيى ﷺ أول من آمن بعيسى ﷺ، وذلك أن أمه كانت حاملاً به فاستقبلت مريم ﷺ وهي حامل بعيسى فقالت: لها يا مريم أحامل أنت؟ قالت: لماذا تسأليني؟ قالت: إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك. فذلك تصديقه. وقيل صدق المسيح ﷺ وله ثلاث سنين وقيل بستة أشهر، ولعل هذا هو من أسباب إتيانه الحكم صبياً. وعن ابن عباس، قال: أوحى الله إلى نبيه ﷺ: [إني قتلت بدم يحيى بن كزيا سبعين ألفاً، وسأقتل

بالحسين □ سبعين ألفاً وسبعين ألفاً⁽⁸⁶⁾. وروي عن إمامنا الباقر □: [إنّ عاقر ناقة صالح كان أزرق ابن بغيّ، وكانت ثمود تقول: ما نعرف له فينا أباً ولا نسباً، وأنّ قاتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما ابن بغيّ، وأنّه لم يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلاّ أولاد البغايا]، وقال في قوله تعالى جلّ ذكره: (لم نجعل له من قبل سمياً) قال: [يحيى بن زكريّا لم يكن له سمى قبله، والحسين بن علي لم يكن له سمى قبله، وبكت السماء عليهما أربعين صباحاً، وكذلك بكت الشمس عليهما، وبكاؤها أن تطلع حمراء وتغيب حمراء. وقيل: أي بكى أهل السماء وهم الملائكة]. وروى عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله □: [إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد أن ينتصر لأوليائه انتصر لهم بشرار خلقه، وإذا أراد أن ينتصر لنفسه انتصر بأوليائه، ولقد انتصر ليحيى بن زكريّا □ ببختنصر]. وفي تفسير الآية: [فما بكت عليهم السماء والأرض] قال □: [لم تبك السماء على أحدٍ قبل قتل يحيى بن زكريّا حتّى قتل الحسين □ فبكت عليه]. وعنه □ في موضع ثالث: [أنّ الحسين بن علي صلوات الله عليهما بكى لقتله السماء والأرض واحمّرتا، ولم تبكياً على أحد قط إلاّ على يحيى بن زكريّا □].

(86) بحار الأنوار (45 / 298)، برقم: (10) عن مناقب ابن شهر آشوب باسانيد مختلفة عن ابن عباس وراجع المناقب (4 / 81) وتاريخ بغداد (1 / 142).

نبوة عيسى □:

عيسى بن مريم بنت عمران. قال جل جلاله: [قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَرًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ] (87). وفي حياته مقامات كثيرة، ومنها:

المقام الأول: ولادته:

إن في ولادة عيسى بن مريم من غير أب معجزة إلهية كما في أبينا آدم □، ولكن آدم □ لم يكن قد حملة رحم امرأة، والمرأة التي حملت بعيسى هي مريم بنت عمران □، وفي الآيات والأخبار بيان لكيفية حملها ومجيئ جبرئيل □ إليها وكيفية اختلاف بني إسرائيل فيه. قال إمامنا الباقر □: [أَنَّهُ بَشَرَتْ بِعِيسَى □ فَبَيْنَا هِيَ فِي الْحَرَابِ إِذْ تَمَثَّلَ لَهَا الرُّوحُ الْأَمِينُ بَشَرًا سَوِيًّا] (قالت إنني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً قال: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً). فتفل في جيبها، فحملت بعيسى □ فلم يلبث أن ولدت، وقال: [لم تكن على وجه الأرض شجرة إلا ينتفع بها، ولا ثمرة ولا شوك ما حتى قالت فجرة بني آدم: كلمة السوء. فاقشعرت الأرض وشاكت الشجرة، وأتى

إبليس تلك الليلة، فقيل له : قد ولد الليلة ولد لم يبق على وجه الأرض صنم إلا خرّ لوجهه، وأتى المشرق والمغرب يطلبه، فوجده في بيت دير قد حفت به الملائكة، فذهب يدنو فصاحت الملائكة : تنحّ، فقال لهم : من ابوه ؟ فقالت : فمثله كمثل آدم . فقال إبليس : لأضلّن به أربعة أخماس الناس [(88)]. وعنه □ في موضع آخر : [لما قالت العواتق الفرية - وهي سبعون - لمريم □ : لقد جئت شيئاً فرياً، أنطق الله تعالى عيسى □ عند ذلك، فقال هنّ : تفترين على أمي، أنا عبد الله آتاني الكتاب، وأقسم بالله لأضرين كلّ امرأة منكناً حداً بافترائكنّ على أمي، قال الحكم : فقلت للباقر □ أفضرهنّ عيسى □ بعد ذلك ؟ : قال : نعم، والله الحمد والمنة .] .

أقول : لا يخفى لما في ولادة الأم قبل ولدها من عناية إلهية لما حملت فيها أمها وكان أبوها قد أوحى الله إليه أن في بطنه زوجته ولداً ولكن المقصود في بطن البنت لا الأم، فقد ورد عن إمامنا الصادق □ أنه قال : [إن قلنا لكم في الرجل منا قولاً فلم يكن فيه وكان في ولده وولد ولده فلا تنكروا ذلك، إن الله أوحى إلى عمران أني واهب لك ذكراً مباركاً يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذني وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل. فحدث عنه امرأته بذلك فلما حملت بها كان حملها عند نفسها غلاماً : (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا أَنتَى قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى) فلما وهب الله لمريم عيسى عليه السلام كان هو الذي بشر

الله به عمران ووعدته إياه، ولما ولدت مريم كفل زكريا تربيتها]. وعن تفسير الراوندي بإسناده إلى محمد بن طلحة قال: قلت للرضا □: أيأتي الرسل عن الله بشيء ثم تأتي بخلافه؟ قال: [نعم، إن شئت حدثتك به وإن شئت أتيت به من كتاب الله تعالى، قال الله تعالى: (ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) الآية. فما دخلوها ودخل أبناء أبنائهم. وقال عمران إن الله وعدني أن يهب لي غلاماً نبياً في سنتي هذه وشهري هذا ثم غاب وولدت امرأته مريم، وكفلها زكريا. فقالت طائفة صدق نبي الله، وقالت الأخرى كذب. فلما ولدت مريم عيسى قالت الطائفة التي أقامت على صدق عمران هذا الذي وعدنا الله.].

ثم أنه في مدة حمل مريم □ ورد أنها تسع ساعات جعل الله لها الشهور ساعات ثم ناداها جبرئيل □: [وَهْزِي إِلَيْكَ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ] أي هزي النخلة اليابسة وكان ذلك اليوم سوقاً فاستقبلتها الحاكة وكانت الحياكة أنفع صناعة في ذلك الزمان فأقبلوا على بغال شهب، فقالت لهم مريم أين النخلة اليابسة؟ فاستهزؤوا بها وزجروها. فقالت لهم جعل الله كسبكم نزرأً أي قليل النفع وجعلكم في الناس عاراً، فاستقبلوها قوم من التجار فدلوها على النخلة اليابسة، فقالت لهم جعل الله البركة في كسبكم وأحوج الناس إليكم، فلما لغت النخلة أخذها المخاض فوضعت عيسى □، فلما نظرت إليه قالت: [يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِياً مَنْسِياً]. من باب أن يوحى الله إليها الحجة البالغة والدامغة على

الناس، فنادها عيسى ﷺ من تحتها: [أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهَزَيَ إِلَيْكَ الْجِدْعَ النَّخْلَةَ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا] أي ستجدين تحتك نهرًا وحركي النخلة فيتساقط عليك الرطب الجني، حيث كانت النخلة قد يبست منذ دهر فمدت يدها إلى النخلة فأورقت وأثمرت و سقط عليها الرطب الطري فطابت نفسها. وقال لها عيسى: قمطيني ثم افعلي كذا وكذا فقمطته وسوته. وعند ذاك انطلقت لقومها عندما ففقدوها في الحراب فخرجوا في طلبها وخرج زكريا فأقبلت وعيسى ﷺ في صدرها وأقبلن مؤمنات بني إسرائيل يبسن في وجهها فلم تكلمهن حتى دخلت في محرابها فجاء إليها بنو إسرائيل فقالوا لها: [يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا] أي قد جئت بالفاحشة وعيروها بهارون حيث كان رجلاً زانياً وفاسقاً، [فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ] أي إلى عيسى في المهد، فـ[قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا] فأنطق الله سبحانه عيسى ﷺ: [قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا] الآيات المتقدمة.

وأما هذه الأرض التي ولد فيها عيسى بن مريم ﷺ فقد مر بها مولانا أمير المؤمنين ﷺ بعد فراغه من قتال الخوارج في النهروان، فعن الأُمالي بإسناده إلى علي بن الحسين ﷺ، قال: [إن أمير المؤمنين ﷺ لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء فقال للناس إنها الزوراء فسيروا وجنبوا عنها فإن الخسف

أسرع إليها من الوتد في النخالة فلما أتى يمنة السواد إذا هو براهب في صومعة له فقال له الراهب: لا تنزل هذه الأرض بجيشك. قال: ولم؟ قال: لأنها لا ينزلها إلا نبي أو وصي نبي يقاتل في سبيل الله عز وجل هكذا نجد في كتبنا. فقال له أمير المؤمنين ؑ: أنا وصي سيد الأنبياء وسيد الأوصياء. فقال له الراهب: فأنت إذا أصلع قريش ووصي محمد ؑ. فقال له أمير المؤمنين: أنا ذاك. فنزل الراهب إليه فقال له خذ على شرائع الإسلام إني وجدت في الإنجيل نعتك وإنك تنزل أرض براكا بيت مريم وأرض عيسى ؑ. فأتى أمير المؤمنين موضعاً فلكره برجله فانبجست عين خراة، فقال: هذه عين مريم التي انبعثت لها. ثم قال: اكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً فكشف فإذا هو بصخرة بيضاء. فقال علي ؑ على هذه الصخرة وضعت مريم عيسى من عاتقها وصلت هاهنا. ثم قال أرض براكا هذه بيت مريم ؑ. ولكن في بعض الأخبار أنها وضعت في كربلاء المقدسة عندما خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء فوضعت في موضع قبر الحسين ؑ ثم رجعت من ليلتها.

الموضع الثاني: نبوته:

عاصر نبي الله عيسى ؑ اثنين من الأنبياء، وهما زكريا وابنه يحيى ؑ، ولكنه كان حجة عليهم منذ ولادته، ولكن في مدة صمت عيسى ؑ كان الحجة زكريا، وهكذا يحيى بعد وفاة زكريا ؑ، ولكن حين تكلم عيسى ؑ حيث بلغ السبع سنوات آتاه الله سبحانه النبوة والحكم وأيده بمعاجزه وكراماته. وهكذا

كانت إمامة الأئمة من أهل البيت □ من أمير المؤمنين ومعاصرته لرسول الله، والحسين ومعاصرته للحسن، وهكذا واحداً تلو الآخر. روى يزيد الكناسي، قال: قلت لأبي جعفر □: كان عيسى حين تكلم في المهد حجة الله جلّت عظمته على أهل زمانه ؟ . قال: [كان يومئذ نبياً حجة على زكريّا في تلك الحال وهو في المهد]. وقال : [كان في ذلك الحال آية للناس ورحمة من الله لمريم □ حين تكلم وعبر عنها ونبياً وحجة على من سمع كلامه في تلك الحال، ثم صمت فما تكلم حتى مضت له سنتان، وكان زكريّا □ الحجة على الناس بعد صمت عيسى سنتين . ثم مات زكريّا، فورثه يحيى □ الكتاب والحكمة وهو صبي صغير، فلما بلغ عيسى □ سبع سنين تكلم بالنبوة حين أوحى الله تعالى إليه، وكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين . وليس تبقى الارض يا أبا خالد يوماً واحداً بغير حجة الله على الناس منذ خلق الله آدم □ .]. قلت : أو كان عليّ بن أبي طالب □ حجة من الله ورسوله إلى هذه الأمة في حياة رسول الله □ ؟ قال : [نعم، وكانت طاعته واجبة على الناس في حياة رسول الله □ وبعد وفاته ولكنه صمت ولم يتكلم مع النبي □ وكانت الطاعة لرسول الله □ على أمته وعلى عليّ معهم في حال حياة رسول الله، وكان عليّ حكيماً عالماً .] (89).

ومن دلائل نبوته ونبوغه بالعلم والحكمة الإلهية مضافاً لما تقدم في ولادته ما ورد عن مولانا الباقر □ : [لما ولد عيسى □ كان ابن يوم كانه ابن شهرين، فلما كان ابن سبعة أشهر أخذته والدته وأقعدته عند المعلم، فقال المؤدّب : قل : بسم الله الرحمن الرحيم . قال عيسى □ : بسم الله الرحمن الرحيم، فقال المؤدّب : قل أجد فقال : يا مؤدّب ما أجد ؟ وان كنت لا تدري فاسألني حتى أفسّر لك، قال : فسّره لي . فقال عيسى □ : الألف : آلاء الله، والباء بحجة الله، والجيم جمال الله، والدال دين الله. هوز الهاء جهنم والواو ويل لأهل النار والزاي زفير جهنم . حطي : حطت الخطايا عن المذنبين المستغفرين . كلمن : كلام الله لا مبدل لكلماته . سعفص : صاع بصاع والجزاء بالجزاء . قرشت : قرشهم فحشرهم. فقال المؤدّب : أيتها المرأة لا حاجة له إلى التعليم⁽⁹⁰⁾.

الموضع الثالث: معاجزه وكراماته:

قال جل جلاله: [وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخَيِّبُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ

(90) بحار الأنوار (2 / 316 — 317)، برقم : (1) عن المعاني والتوحيد والآمال، و(14 / 286)، برقم : (8).

فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ
مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَحِثُّكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا [91].

فإنه □ قد أنزل عليه الأنجيل وفيه من الأحكام الشرعية تخفيف ما كان نزل
على موسى عليه اسلام في التّوارة على بني إسرائيل، فأجرى الله تعالى ذكره على
لسانه الإخبار بالمغيبات وهو صبي لا يتجاوز عمره السبع سنين كما تقدم،
كإخبارهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم، ثم قيامه بإذن الله عز وجل بإحياء
الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، بل كان يرسل من تلامذته ما يقوم بذلك فقد
ورد عن سيدنا الصادق □: [وكان يبعث إلى الرّوم رجلاً لا يداوي أحداً إلّا
برئ من مرضه، ويبرئ الأكمه والأبرص، حتّى ذكر ذلك لملكهم، فأدخل
عليه، فقال : أتبرئ الأكمه والأبرص ؟ قال : نعم، قال : فأتى بسلام
منخسف الحدقة لم ير شيئاً قطّ، فأخذ بندقيتين فبندقهما، ثمّ جعلهما في
عينيه ودعا فإذا هو بصير، فأقعده الملك معه وقال : كن معي ولا تخرج من
مصري، وأنزله معه بأفضل المنازل . ثمّ إنّ المسيح □ بعث آخر وعلمه ما به
يحيي الموتى، فدخل الرّوم وقال : أنا أعلم من طبيب الملك، فقالوا للملك :
ذلك، قال : اتقلوه، فقال الطّبيب : لا تقتله ادخله، فإن عرفت خطأه
قتلته ولك الحجة، فأدخل عليه، فقال : أنا أحيي الموتى، فركب الملك

والناس إلى قبر ابن الملك مات في تلك الأيام، فدعا رسول المسيح □، وأمن طبيب الملك الذي هو رسول المسيح □ أيضاً الأول، فانشقَّ القبر فخرج ابن الملك، ثم جاء يمشي حتى جلس في حجر أبيه فقال : يا بني من أحيأك ؟ قال : فنظر، فقال : هذا وهذا فقاما وقالوا : إنا رسول المسيح □ إليك وانك كنت لا تسمع من رسله إنما تأمر بقتلهم إذا أتوك فتابع، وأعظموا أمر المسيح عليه لسلام حتى قال فيه أعداء الله ما قالوا، واليهود يكذبونه ويريدون قتله . [(92)] .

أقول: لم تقتصر معاجز هذا النبي □ على ذلك بل تعدت لتشمل سائر الأمراض المستعصية التي عجز عنها طب ذلك الزمان، قال رسول الله □: [مرَّ أخي عيسى □ بمدينة، فإذا وجوههم صفر وعيونهم زرق، فشكوا إليه ما بهم من العلل، فقال : دواؤكم معكم أنتم إذا أكلتم اللحم طبختموه غير مغسول، وليس يخرج شيء من الدنيا إلاَّ بجنابة، فغسلوا بعد ذلك بحومهم، فذهبت أمراضهم] . وفي موضع آخر قال □: [ومرَّ أخي عيسى □ بمدينة وإذا أهلها أسنانهم منتشرة ووجوههم منتفخة، فشكوا إليه، فقال : أنتم إذا نتم تطبقون أفواهكم، فتغلي الريح في الصّدر حتى تبلغ إلى الفم ولا يكون له مخرج، فيرجع إلى أصول الأسنان فيفسد الوجه، فإذا نتم فافتحوا شفاهكم،

(92) بحار الأنوار (14 / 251 . 252) ، برقم : (43) .

ففعّلوا فذهب ذلك عنهم]. وفي موضع ثل قال عليه وآله السلام: [مرّ أخي عيسى □ بمدينة وفيها رجل وامرأة يتصايحان، فقال: ما شأنكما؟ قال: يا نبي الله هذه امرأتى صالحة وليس بها بأس، ولكنّي أحبّ فراقها، فهي خلقة الوجه من غير كبر، قال عيسى □: يا امرأة أتخبّين أن يعود ماء وجهك طرياً؟ قالت: نعم، قال: إذا أكلت إيتاك أن تشبّعي لأنّ الطّام إذا تكاثرت على الصّدر زاد في البدن فذهب ماء الوجه، ففعلت ذلك فعاد وجهها طرياً].

ولكي لا يفتتن الناس به والاعتقاد بكونه إلهاً أو ابن الإله كما حصل ذلك فعلاً لبني إسرائيل كان الله سبحانه وتعالى قد ابتلى عيسى □ ببعض الأمراض التي يصاب بها سائر الناس، فعن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبي أبا عبد الله □ هل كان عيسى يصيبه ما يصيب ولد آدم؟ قال: [نعم]. ولقد كان يصيبه وجع الكبار في صغره، ويصيبه وجع الصّغار في كبره ويصيبه المرض، وكان إذا مسّه وجع الحاصرة في صغره وهو من علل الكبار قال لأُمّه: ابغي لي عسلاً وشونيزاً وزيتاً فتعجني به ثمّ اثّيني به فأثّته به فكرهه فتقول: لم تكرهه وقد طلبته فقال: هاتيه، نعتّه لك بعلم النبوّة وأكرهته لجرع الصّبا ويشّم الدّواء ثمّ يشربه بعد ذلك]. وفي موضع ثان قوله □: [إنّ عيسى بن مريم □ كان يبكي بكاءً شديداً، فلمّا أعيت مريم □ كثرة بكائه قال لها: خذي من لحا هذه الشّجرة فأجعلني وجوراً ثمّ اسقيني، فإذا سقي بكى بكاءً شديداً

فتقول مريم □ : ماذا امرتني ؟ فيقول : يا أمّاه علم النبوة وضعف الصّبا [(93). رقم 47.

الموضع الرابع: تبشيره برسول الله عليهما الصلاة والسلام:

قال تبارك وتعالى: [وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ] (94). وعن عبد المؤمن بن محمد رفعه قال : قال رسول الله □ : [أوحى الله جلّت عظمته إلى عيسى □ جدّ في أمري ولا تترك , إِنِّي خلقتك من غير فحل آية للعالمين، أخبرهم آمنوا بي وبرسولي النّبي الأمّي نسله من مباركة، وهي مع أمك في الجنّة، طوبى لمن سمع كلامه وأدرك زمانه وشهد أيامه . قال عيسى □ : يا ربّ وما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنّة، تحتها عين من شرب منها شربة لم يظمأ بعدها ابداً، قال عيسى □ : يا ربّ اسقني منها شربة، قال : كلاً يا عيسى إنّ تلك العين محرّمة على الأنبياء حتّى يشربها ذلك النّبيّ، وتلك الجنّة محرّمة على الأمم حتّى تدخلها أمة ذلك النّبيّ].

(93) نفس المصدر السابق رقم 46-47.

(94) الصف:6.

أقول: قد فصلنا القول في تفضيل رسول الله عليه وآله السلام على جميع الأنبياء والمخلوقات، وتفضيل أمته على جميع الأمم في خطب صلاة الجمعة في كتابنا طالب الخطابة في الخطب المختصة في سيرة رسول الله ﷺ فراجع.

الموضع الخامس: الحواريون:

قال عز وجل: [إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَفْتَنَا وَكَوْنٍ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِلَيْنَا مَنَزَلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ] (95).

أما تسميتهم بالحواريين فقد ورد في عيون الأخبار عن علي بن الحسين بن فضال قال قلت للرضا ﷺ لم سمي الحواريون الحواريين ؟. قال: [أما عند الناس

فإنهم سموا حواريين لأنهم كانوا قصارين يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل وهو اسم مشتق من الخبز الحواري، وأما عندنا فسمي الحواريون حواريين لأنهم كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير. قال: قلت: له فلم سمي النصراني نصاري؟ قال: [لأنهم من قرية اسمها ناصرة من بلاد الشام نزلتها مريم وعيسى بعد رجوعهما من مصر].

وأما عددهم فهم اثنا عشر رجلاً كان نبي الله عيسى ﷺ يصحبهم في أسفاره ورحلاته ليطلعوا على أخبار العالم وحال الرعية وكيفية العظمة الإلهية المحيطة بهم، وكان قد علمهم الأحكام والشرائع والسنن والآداب، ففي الكافي قال عيسى ابن مريم ﷺ: [يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة اقضوها لي]. قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله. فقام فغسل أقدامهم. فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح الله. فقال: [إن أحق الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم]. ثم قال عيسى ﷺ: [عليكم بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا بالجبل]. وعن إمامنا الصادق ﷺ أنه سئل ما بال أصحاب عيسى ﷺ كانوا يمشون على الماء وليس ذلك في أصحاب محمد ﷺ؟ قال: [إن أصحاب عيسى كفوا عن المعاش وإن هؤلاء ابتلوا بالمعاش]. وقيل لعيسى بن مريم ﷺ: يا عيسى بأي شيء تمشي على الماء؟ قال: [بالإيمان واليقين]. قالوا: فإننا آمنّا كما آمنت وأيقنا كما أيقنت. قال: [فامشوا إذاً]. قال: فمشوا معه في الموج

فغرقوا. فقال لهم عيسى ﷺ: [ما لكم؟]. فقالوا: خفنا الموج. قال: [ألا خفتُم رب الموج]. قال: فأخرجهم. ثم ضرب بيده إلى الأرض فقبض بها ثم بسطها فإذا في إحدى يديه ذهب وفي الأخرى مدر أو حصى فقال: [أيهما أحلى في قلوبكم؟]. قالوا: هذا الذهب. قال: [فإنهما عندي سواء].

وأما تسميتهم بأنصار الله كما قال تعالى ذكره: [فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ] (96). أي الدعاة إلى نصرته دين الله سبحانه ونشر أحكامه وفرائضه.

أقول: أما قصة المائدة فقد جاء فيها أن عيسى ﷺ أمر الخواريين بصيام ثلاثين يوماً، فلما أتموها طلبوا من عيسى ﷺ إنزال مائدة من السماء عليهم لياًكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم ولتعلموا أن الله سبحانه قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبتهم، وتكون لهم عيداً يفطرون عليها يوم فطرهم وتكون كافيّة لأولهم وآخرهم لغنيهم وفقيرهم. فوعظهم عيسى ﷺ في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل. فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه ولبس مسحاً من شعر وصف بين قدميه وأطرق رأسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع إلى الله تعالى في الدعاء

والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا. فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين، وجعلت تدنو قليلاً قليلاً، وكلما دنت سأل عيسى ﷺ ربه جل وعلا أن يجعلها رحمة لا نقمة وأن يجعلها بركة وسلامة. فلم تنزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى ﷺ وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى ﷺ يكشف عنها وهو يقول: [بسم الله خير الرازقين] فإذا عليها سبعة من الحيتان أي السمك الكبير وسبعة أرغفة. ويقال: وخل ويقال: ورمال وثمار، ولها رائحة عظيمة جداً، قال الله لها كوني فكانت. ثم أمرهم بالأكل منها، فقالوا: لا نأكل حتى تأكل. فقال: إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها. فأبوا أن يأكلوا منها ابتداءً، فأمر الفقراء والمحاييج والمرضى والزمنى وكانوا قريباً من ألف وثلاثمائة فأكلوا منها فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن، فندم الناس على ترك الأكل منها لما رأوا من إصلاح حال أولئك. ثم قيل إنها كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس منها، يأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتى قيل إنها كان يأكل منها نحو سبعة آلاف. ثم كانت تنزل يوماً بعد يوم، كما كانت ناقة صالح يشربون لبنها يوماً بعد يوم. ثم أمر الله عيسى ﷺ أن يقصرها على الفقراء أو المحاييج دون الأغنياء. فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوهم في ذلك، فرفعت بالكلية ومسح الذين تكلموا في ذلك خنازير. وقد روى ابن جرير بإسناد صحيح إلى مجاهد وإلى الحسن بن أبي الحسن البصري، أنهما قالوا: لم تنزل وإنهم أبوا نزولها حين قال: [فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين] ولهذا قيل إن النصارى لا يعرفون خبر المائدة وليس مذكوراً في كتابهم،

وهو كما ترى أن خبرها مما تتوفر الدواعي على نقله وهو مشهور بل متواتر فلا يؤخذ بمقالة المخالف لخبر وقصة نزول المائدة كما لا يخفى.

ثم أنه لم يقتصر نبي الله عيسى ﷺ على هذا العدد من الحوارين، وإن كانوا قد تكلفوا بمهمة نشر الدعوة المسيحية من بعده، بل أنه في ترحاله كان يجمع أعداداً مضاعفة غيرهم يقوم بإعدادهم وتهيئتهم بعد اختبار نفوسهم وعقولهم وقابلياتهم ومدى استعدادهم للقيام بمسؤولية أداء التكليف الشرعي المناط بهم. وفي كتاب بحار الأنوار أن عيسى ﷺ جمع بعض الحوارين في بعض سياحته فمروا على بلد فلما قربوا منه وجدوا كنزاً على الطريق فقال من معه ائذن لنا يا روح الله أن نقيم هاهنا ونحوز هذا الكنز لئلا يضيع. فقال لهم: [أقيموا هاهنا وأنا أدخل البلد ولي كنزاً أطلبه]. فلما دخل البلد وجال فيه رأى داراً خربة فدخلها فوجد فيها عجوزاً. فقال لها: [أنا ضيفك في هذه الليلة وهل في الدار أحد غيرك؟]. قالت: نعم لي ابن صغير مات أبوه وبقي يتيماً في حجري وهو يذهب إلى الصحاري ويجمع الشوك ويبيعه ونتعيش به. فلما جاء ولدها قالت له: بعث الله لنا في هذه الليلة ضيفاً صالحاً تسطع من جبينه أنوار الهدى والصلاح فاغتنم خدمته وصحبته. فدخل الابن على عيسى ﷺ وأكرمه. فلما كان في بعض الليل سأل عيسى ﷺ الغلام عن حاله ومعيشته وغيرها وتفرس فيه آثار العقل والاستعداد للتزقي على مدارج الكمال لكن وجد فيه أن قلبه مشغول بهم عظيم. فقال: [يا غلام أرى قلبك مشغولاً بهم عظيم فأخبرني لعله يكون

عندي دواء دائك]. فلما بالغ عيسى □، قال: نعم في قلبي هم لا يقدر على دوائه إلا الله تعالى. فقال: [أخبرني به لعل الله يلهمني ما يزيله عنك]. فقال الغلام: إني كنت يوماً أحمل الشوك إلى البلد فمررت بقصر ابنة الملك فنظرت إلى القصر فوق نظري عليها فدخل حبها شغاف قلبي وهو يزداد كل يوم ولا أرى لذلك دواء إلا الموت. فقال عيسى □: [إن كنت تريدها أنا أحتال حتى تتزوجها]. فجاء الغلام إلى أمه وأخبرها بقوله فقالت أمه: يا ولدي إني لا أظن أن هذا الرجل يعد بشيء لا يمكنه الوفاء به فاسمع له وأطعه في كل ما يقول. فلما أصبحوا قال عيسى □ للغلام: [اذهب إلى باب الملك فإذا أتى خواص الملك ليدخلوا عليه قل لهم أبلغوا الملك عني أي جنته خاطباً كرمته ثم ائتيني وأخبرني بما جرى بينك وبين الملك]. فأتى الغلام باب الملك فلما قال ذلك لخاصته ضحكوا وتعجبوا من قوله ودخلوا على الملك و أخبروه بما قال الغلام مستهزئين به فاستحضره الملك. فلما دخل على الملك وخطب ابنته قال الملك مستهزئاً به لا أعطيك ابنتي إلا أن تأتيني من اللثائي واليوافيت والجواهر كذا وكذا ووصف له ما لا يوجد في خزانة ملك من ملوك الدنيا. فقال الغلام أنا أذهب وأتيك بجواب هذا الكلام. فرجع إلى عيسى □ فأخبره بما جرى، فذهب به عيسى □ إلى خربة فيها أحجار ومدر كبار فدعا الله تعالى فصيرها كلها من جنس ما طلب الملك وأحسن منها فقال: [يا غلام خذ منها ما تريد واذهب به إلى الملك]. فلما أتى الملك بما تحير الملك وأهل مجلسه في أمره وقالوا لا يكفيننا هذا. فرجع إلى عيسى □ فأخبره فقال: [اذهب إلى الخربة وخذ منها ما

تريد واذهب بها إليهم]. فلما رجع بأضعاف ما أتى به أولاً زادت حيرتهم وقال الملك إن لهذا شأنًا غريباً فخلا بالغلام واستخبره عن الحال فأخبره بكل ما جرى بينه وبين عيسى وما كان من عشقه لابنته فعلم الملك أن الضيف هو عيسى □ فقال قل لضيفك يأتيني ويزوجك ابنتي. فحضر عيسى □ وزوجها منه وبعث الملك ثياباً فاخرة إلى الغلام فألبسها إياه وجمع بينه وبين ابنته تلك الليلة، فلما أصبح طلب الغلام وكلمه فوجده عاقلاً فهماً فلم يكن للملك ولد غير هذه الابنة فجعله الملك ولي عهده ووارث ملكه وأمر خواصه وأعيان مملكته ببيعته وطاعته، فلما كانت الليلة الثانية مات الملك فأجلسوا الغلام على سرير الملك وأطاعوه وسلموا إليه خزائنه. فأتاه عيسى □ في اليوم الثالث ليودعه فقال الغلام: أيها الحكيم إن لك علي حقوقاً لا أقوم بشكر واحد منها ولكن عرض في قلبي البارحة أمر لو لم تجبني عنه لم أتنفع بشيء مما حصلت لي فقال وما هو قال الغلام إنك قدرت على أن تنقلني من تلك الحالة الخسيسة إلى تلك الدرجة الرفيعة في يومين فلم لا تفعل هذا لنفسك وأراك في تلك الحالة فلما أحفى في السؤال قال له عيسى: [إن العالم بالله وبدار ثوابه وكرامته والبصير بفناء الدنيا وخستها لا يرغب إلى هذا الملك الزائل وإن لنا في قربه تعالى ومعرفته ومحبتة لذات روحانية لا تعد تلك اللذات الفانية عندها شيئاً]. فلما أخبر بعيوب الدنيا وآفاتنا ونعيم الآخرة ودرجاتها قال الغلام: فلي عليك حجة أخرى لم اخترت لنفسك ما هو أولى وأحرى وأوقعني في هذه البلية الكبرى ؟. فقال عيسى □: [إنما اخترت لك ذلك لأمتحنك في عقلك ودكائك وليكون لك

الموضع السادس: رفعه إلى السماء:

(97) آل عمران: 55.

معشر اليهود إن الله تعالى يبغضكم]. فثاروا عليه ليقتلوه، فأدخله جبرئيل □
خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها فرفعه جبرئيل □ إلى السماء. فبعث
يهوداً رأس اليهود رجلاً من أصحابه اسمه طيطانوس ليدخل عليه الخوخة ليقتله
فدخل فلم يره فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتل في الخوخة فألقي عليه شبه عيسى
□ فلما خرج على أصحابه قتلوه وصلبوه وفعلوا فيه فعلتهم.

أقول: هناك خلاف في وجه الشبه بين عيسى □ وبين طيطانوس هذا فقيل:
ألقي عليه شبه وجه عيسى وجسده معاً. وقيل: إن الوجه وجه عيسى □
والجسد جسد طيطانوس. وقال بعضهم إن كان هذا عيسى □ فأين طيطانوس
؟. فاشتبه الأمر عليهم. وقيل: أن الذي ألقى الله سبحانه عليه الشبه هو شاب
من أصحاب عيسى □ في الليلة التي جمعهم فيها وقال لهم بأنها ليلة رفعه
وتطهيره من اليهود الذين اجتمعوا لقتله، وقد قال لآخر من أصحابه بأنك
تكفر اثنتي عشر كفر، وقال لهم بأنكم تفترون من بعدي إلى ثلاثة فرق؛ فرقتين
مفتريتين في النار، وفرقة صادقة وهي فرقة شمعون بن حمون الصفا في الجنة.

كما أن هناك خلافاً آخر في قوله عز من قال: [إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رَافِعُكَ إِلَيَّ]
فقيل: أي قابضك إلى ورافعك إلى السماء من غير وفاة بموت، ومعنى (مُتَوَفِّيكَ)
أي رافعك إلي وافيّاً لم ينالوا منك شيئاً من قولهم توفيت منك كذا وكذا أي
تسلمته. وقيل: إني متوفيك وفاة نوم ورافعك إلي في النوم، ومنه قوله سبحانه:
[وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ]. وقيل: إنه توفاه أي أماته ثلاث ساعات.

أقول: المعنى الصحيح بحسب دلالة الأدلة النقلية أن عيسى ﷺ سوف يكون له نزول إلى الحياة الدنيا لنصرة قائم آل محمد عجل الله فرجه الشريف، فإذا رجعنا للآية فيكون هناك تقديم وتأخير فالمقدم وهو متوفيك مؤخر، والمؤخر وهو رافعك مقدم. ومنه قوله ﷺ: [عيسى ﷺ لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة]. وفي عيون الأخبار عن الرضا ﷺ قال: [ما شبه أمر أحد من أنبياء الله وحججه ﷺ للناس إلا أمر عيسى ابن مريم ﷺ وحده لأنه رفع من الأرض حياً وقبض روحه بين السماء والأرض ثم رفع إلى السماء ورد إليه روحه وذلك قوله عز وجل: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)]. وعن تفسير علي بن إبراهيم مسنداً إلى شهر بن حوشب قال: قال الحجاج يا شهر آية في كتاب الله قد أعيتني . فقلت: أيها الأمير أي آية هي ؟. فقال: قوله [وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَاللَّهُ] . إني لأمر باليهودي والنصراني فتضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفثيه حتى يحمد. فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأولت. قال: كيف هو. قلت: إن عيسى على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا غيره إلا من آمن به قبل موته ويصلي خلف المهدي ﷺ. قال: ويحك أنى لك هذا، ومن أين جئت به ؟. قلت: حدثني محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ. قال: جئت والله بها من عين صافية.

نبوة إيلياس □

إيلياس وتلميذه اليسع □ فالمروى أن من بعد وصي موسى يوشع بن نون □ صار من بني إسرائيل سبطاً في مدينة بعلبك وهو السبط الذي منه إيلياس النبي □ فبعثه الله إليهم وعليهم يومئذ ملك ففتنهم بعبادة صنم يقال له : بعل وذلك قوله تعالى : (وإنَّ إيلياسَ لمن المرسلين * إذ قال لقومه ألا تتقون * أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين * فكذبوه) وكان للملك زوجة فاجرة يستخلفها إذا غاب فتقضي بين الناس، وكان لها كاتب حكيم قد خلص من يدها ثلاثمائة مؤمن كانت تريد قتلهم، ولم يعلم على وجه الأرض أنثى أزنا منها، وقد تزوجت سبعة ملوك من بني إسرائيل حتى ولدت تسعين ولداً سوى ولد ولدها . وكان لزوجها جار صالح من بني إسرائيل وكان له بستان يعيش به إلى جانب قصر الملك، وكان الملك يكرمه، فسافر مرة، فاغتصمت امرأته وقتلت العبد الصالح، وأخذت بستانه غصباً من أهله وولده وكان ذلك سبب سخط الله عليهم، فلما قدم زوجها أخبرته الخبر، فقال لهم : ما أصابت . فبعث الله إيلياس النبي □ يدعوهم إلى عبادة الله، فكذبوه وطردوه وأهانوه وأخافوه، وصبر عليهم واحتمل أذاهم، ودعاهم إلى الله تعالى فلم يزددهم إلا طغياناً، فألى الله على نفسه أن يهلك الملك والزانية إن لم يتوبوا إليه، وأخبرهما بذلك، فاشتد غضبهم عليه وهموا بتعذيبه وقاتله، فهرب منهم، فلحق بأصعب جبل، فبقي فيه وحده سبع سنين، يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر، والله

يخفي مكانه . فأمرض الله ابناً للملك مرضاً شديداً حتى يئس منه، وكان أعزّ ولده عليه، فاستشفعوا إلى عبدة الصنم ليستشفعوا له فلم ينفع، فبعثوا الناس إلى حدّ الجبل الذي فيه إيلياس □ وكانوا يقولون : اهبط إلينا واشفع لنا، فنزل إيلياس من الجبل . وقال : إنّ الله أرسلني إليكم وإلى من وراءكم، فاسمعوا رسالة ربكم يقول الله : ارجعوا إلى الملك، فقولوا له : إني أنا الله لا إله إلا أنا إله بني إسرائيل الذي خلقهم، وأنا الذي أرزقهم وأحييهم وأميتهم وأضرهم وأنفعهم، وتطلب الشفاء لابنك من غيري، فلما صاروا إلى الملك وقصّوا عليه القصّة امتلاً غيظاً . صار معنا قذف في قلوبنا الرعب عنه، فندب خمسين من قومه من ذوي البطش وأوصاهم بالاحتيال له وإطماعه في أنّهم آمنوا به ليفترّبهم فيمكنهم من نفسه . فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذي فيه إيلياس □ ثم تفرّقوا فيه، وهم ينادونه بأعلى صوته، يقولون : يا نبي الله ابرز لنا، فأنّا آمنّا بك، فلما سمع إيلياس مقالتهم طمع في إيمانهم وكان في مغار، فقال : اللّهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لي في النزول إليهم، وإن كانوا كاذبين فكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم، فما استتمّ قوله حتى حصّبوا بالنّار من فوقهم فاحترقوا . فبلغ الملك خبرهم، فاشتدّ غيظه، فانتدب كاتب امرأته المؤمن وبعث معه جماعة إلى الجبل، وقال له : قد آن أن أتوب، فانطلق لنا إليه حتى يرجع إلينا يأمرنا وينهانا بما يرضى ربنا وأمر قومه فاعتزلوا الأصنام . فانطلق كاتبها والفئة الذين أنفذهم معه حتى علا إلى الجبل الذي فيه إيلياس، ثم ناداه فعرف إيلياس صوته، فأوحى الله تعالى إليه أن ابرز إلى أخيك الصّالح وصافحه وحيّه، فقال المؤمن : بعثني إليك هذا الطّاغي

وقومه وقصّ عليه ما قالوا . ثم قال : وإني لخائف إن رجعت إليه ولست معي أن يقتلني، فأوحى الله تعالى إلى إلیاس ؑ : أن كلّ شيء جاءك منهم خداع ليظفروا بك وأني أشغله عن هذا المؤمن بأن أميت ابنه فلما قدموا عليه شدّد الله الوجع على ابنه، وأخذ الموت يكظمه، ورجع إلیاس سالماً إلى مكانه فلما ذهب الجزع عن الملك بعد مدة سأل الكاتب عن الذي جاء به فقال : ليس لي به علم .

ثم إن إلیاس ؑ نزل واستخفي عند أم يونس بن متى ستّة أشهر ويونس ؑ مولود ثم عاد إلى مكانه فلم يلبث إلّا يسيراً حتّى مات ابنها حين فطمته فعظمت مصيبتها فخرجت في طلب إلیاس ورقّت الجبال حتّى وجدت إلیاس فقالت : إني فجعت بموت ابني وألهمني الله تعالى عزّ وجلّ الاستشفاع بك إليه ليحيي لي ابني، فإني تركته بحاله ولم أدفنه وأخفيت مكانه فقال لها : ومتى مات ابنك قالت : اليوم سبعة أيّام . فانطلق إلیاس وصار سبعة أيّام أخرى حتّى انتهى إلى منزلها، فرفع يديه بالدّعاء واجتهد حتّى أحى الله تعالى جلّت عظمته بقدرته يونس ؑ، فلما عاش انصرف إلیاس، ولما صار ابن أربعين سنة أرسله الله تعالى إلى قومه، كما قال : (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) بتفصيل آت في نبوته . ثم أوحى الله تعالى إلى إلیاس بعد سبع سنين من يوم أحى الله يونس ؑ : سلني أعطك، فقال : تميتني فتلحقني بآبائي، فإني قد مللت بني إسرائيل وأبغضتهم فيك، فقال تعالى جلّت قدرته : ما هذا باليوم الذي أعري منك

الأرض وأهلها، وإنما قوامها بك، ولكن سلني أعطك، فقال إيلias : فأعطني ثاري من الذين أبغضوني فيك، فلا تمطر عليهم سبع سنين قطرة إلا بشفاعتي، فاشتدّ على بني إسرائيل الجوع، وألحّ عليهم البلاء، وأسرع الموت فيهم، وعلموا أنّ ذلك من دعوة إيلias، ففزعوا إليه وقالوا : نحن طوع يدك، فهبط إيلias معهم ومعه تلميذ له اليسع وجاء إلى الملك فقال : أفنيت بني إسرائيل بالقحط، فقال : قتلهم الذي أغواهم، فقال : ادع ربّك يسقهم . فلمّا جنّ الليل قام إيلias □ ودعا الله، ثمّ قال لليسع : انظر في أكناف السّماء ماذا ترى ؟ فنظر، فقال : أرى سحابة، فقال : أبشروا بالسّقاء فيحرزوا أنفسهم وامتعتهم من الغرق، فأمطر الله عليهم السّماء وأنبت لهم الأرض، فقام إيلias بين أظهرهم وهم صالحون . ثمّ أدركهم الطغيان والبطر، فجحّدوا حقّه وتمردوا، فسلبّ الله تعال عليهم عدوّاً قصدهم ولم يشعروا به حتّى رهقهم فقتل الملك وزوجته وألقاهما في بستان الذي قتلت زوجته الملك، ثمّ وصّى إيلias إلى اليسع وأنبت الله لإيلias الرّيش وألبسه النّور ورفعته إلى السّماء وقذف بكسائه من الجوّ على اليسع، فنّباه الله على بني إسرائيل، وأوحى إليه وأيّده، فكان بنو إسرائيل يعظّمونه ويهتدون بهداه. ثمّ أن هناك حادثة إحياء الموتى حدثت مع نبي الله حزقيال □ على تفصيل يأتي.

نبوة ذي الكفل □:

عويديا بن أديمو المسمى بذى الكفل □، قال سبحانه: [وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ] ⁽⁹⁸⁾. وقال عز اسمه: [وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ] ⁽⁹⁹⁾. وفي تسميته بذلك مع تلقيبه وقصته وجوه، ومنها وجهان:

الوجه الأول: أنه تكفل نبي الله اليسع □ بأن يصوم النهار ويصلي الليل وأن لا يغضب، فقد ورد بالإسناد إلى رسول الله □ بأن ذي الكفل كان رجلاً من حضرموت واسمه عويدياً بن أديمو لما كبر اليسع □ قال إني استخلفت رجلاً يعمل على الناس في حياتي فانظر كيف يعمل. فجمع الناس فقال لهم من يتقبل مني ثلاثاً أستخلفه بعدي أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام رجل تزدريه الأعين فقال أنا وأن نبياً وكان يقضي أول النهار. فقال إبليس لأتباعه من له؟ فقال واحد منهم يقال له الأبيض أنا. فقال إبليس فاذهب إليه لعلك تغضبه. فلما انتصف النهار جاء الأبيض إلى ذي الكفل وقد أخذ مضجعه فصاح وقال إني مظلوم. فقال قل له تعال. فقال لا انصرف. قال فأعطاه خاتمه. فقال اذهب وأتني بصاحبك. فذهب حتى إذا كان من الغد جاء إلى تلك الساعة التي أخذ هو مضجعه فصاح إني مظلوم وإن خصمي لم يلتفت إلى

(98) الأنبياء: 85.

(99) ص: 48.

خاتمك. فقال له الحاجب ويحك دعه ينم فإنه لم ينم البارحة ولا أمس. قال لا أدعه ينام وأنا مظلوم فدخل الحاجب وأعلمه فكتب إليه كتاباً وختمه ودفعه إليه فذهب. حتى إذا كان من الغد حين أخذ مضجعه جاء فصاح فقال ما التفت إلى شيء من أمرك ولم يزل يصيح حتى قام وأخذ بيده في يوم شديد الحر لو وضعت فيه بضعة لحم على الشمس لنضجت. فلما رأى الأبيض ذلك انتزع يده من يده ويئس منه أن يغضب. فأنزل الله تعالى قصته على نبيه ليصبر على الأذى كما يصبر الأنبياء ﷺ على البلاء.

أقول: وفي مثل ذلك ورد عن السيد عبد العظيم الحسني قال كتبت إلى أبي جعفر الثاني ﷺ عن ذي الكفل ما اسمه وهل كان من المرسلين؟. فكتب ﷺ: [بعث الله تعالى جل ذكره مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وأن ذا الكفل منهم ﷺ، وكان بعد سليمان ﷺ، وكان يقضي بين الناس كما كان يقضي داود ﷺ ولم يغضب إلا لله عز وجل وكان اسمه عويدياً.]. وقيل: أنه لوفائه بهذا التكفل كان ﷺ قد شكر الله سبحانه ذلك له وآتاه ضعفاً من الأجر والثواب فله ثواب غيره ممن هو في زمانه لشرف عمله.

الوجه الثاني: أنه تكفل قومه عن الله سبحانه، وقد جاء أن اسمه بشر بن أيوب الصابر ﷺ بعثه الله بعد أبيه رسولاً إلى الروم فأمنوا ثم إن الله تعالى أمرهم بالجهاد فأبوا وقالوا يا بشر إنا نحب الحياة ونكره الموت ومع ذلك نكره أن

نعصى الله ورسوله فإن سألت الله أن يطيل أعمارنا ولا يميتنا إلا إذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه. فقال لهم بشر لقد سألتُموني عظيماً. ثم قام وصلى ودعا وقال إلهي أمرتني أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم أنني لا أملك إلا نفسي وأن قومي سألوني ما أنت أعلم به مني فلا تأخذني بجريرة غيري. فأوحى الله تعالى إليه أنني قد سمعت مقالة قومك وأنا قد أعطيتهم ما سألوني فلا يموتون إلا إذا شاءوا فكن كفيلاً لهم مني. فبلغهم بشر رسالة الله فسمي ذا الكفل. ثم إنهم توالدوا وكثروا وغنوا حتى ضاقت بهم بلادهم وتنغصت عليهم معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشراً أن يدعو الله تعالى أن يردهم إلى آجالهم فأوحى الله تعالى إلى بشر أما علم قومك أن اختياري لهم خير من اختياريهم لأنفسهم ثم ردهم إلى أعمارهم فماتوا بآجالهم. فلذلك كثرت الروم حتى يقال إن الدنيا خمسة أسداسها الروم وسموا روما لأنهم نسبوا إلى جدتهم روم بن عيص بن إبراهيم. وكان بشر بن أيوب مقيماً بالشام حتى مات وكان عمره خمساً وتسعين سنة.

نبوة جرجيس □:

جرجيس □ بعثه الله تعالى إلى ملك بالشام وقد جرت معه معاجز وكرامات كثيرة، ولكنه كان من بلاد الروم الساكنين في فلسطين واستشهد في العراق وقبره معروف ويزار في الموصل. وقد جاء في قصته أن هذا الملك يقال له : دازانة وكان يعبد صنماً، فقال له : أيُّها الملك اقبل نصيحتي : لا ينبغي للخلق أن يعبدوا غير الله تعالى ولا يرغبوا إلاّ إليه، فقال له الملك : من أيّ أرض أنت ؟ قال : من الرّوم قاطنين بفلسطين فأمر بحبسه، ثمّ مشط جسده بامشاط من حديد حتّى تساقط لحمه وفضح جسده، ولما لم يقتل أمر بأوتاد من حديد، فضرّ بها في فخذه وركبتيه وتحت قدميه، فما رأى أنّ ذلك لم يقتله أمر بأوتاد طوال من حديد، فوثّدت في رأسه فسأل منها دماغه، وأمر بالرّصاص فأذيب وصبّ على أثر ذلك، ثمّ أمر بسارية من حجارة كانت في السّجن لم ينقلها إلاّ ثمانية عشر رجلاً فوضعت على بطنه، فلما أظلم اللّيل وتفرّق عنه الناس رآه أهل السّجن وقد جاءه ملك، فقال له : يا جرجيس إنّ الله تعالى يقول : اصبر وابشر ولا تحف، إنّ الله معك يخلّصك، وأنّهم يقتلونك أربع مرّات في كلّ ذلك أدفع عنك الألم والأذى . فلما أصبح الملك دعاه فجلده بالسّياط على الظّهر والبطن، ثمّ ردّه إلى السّجن، ثمّ كتب إلى أهل مملكته أن يبعثوا إليه بكلّ ساحر فبعثوا بساحرا ستعمل كلّما قدر عليه من السّحر فلم يعمل فيه، ثمّ عمد إلى سم فسقاه، فقال جرجيس : ((بسم الله الذي يضلّ عند صدقه كذب الفجرة

وسحر السّحرة)) فلم يضرّه . فقال السّاحر : لو أنّي سقيت بهذا السّم أهل الأرض لنزعت قواهم، وشوهت خلقهم، وعميت أبصارهم، وأنت يا جرجيس النّور المضىء والسّراج المنير والحقّ اليقين، أشهد أنّ إهلك حقّ وما دونه باطل، آمنت به وصدّقت رسله وإليه أتوب ممّا فعلت فقتله الملك . ثم أعاد جرجيس □ إلى السّجن، وعذّبه بألوان العذاب، ثمّ قطّعة أقطاعاً وألقاها في جبّ، ثم خلا الملك الملعون وأصحابه على طعام له وشراب، فأمر الله تعالى أعصاراً أنشاب سحابة سوداء وجاءت بالصّواعق ورجفت الأرض، وتزلزلت الجبال حتّى أشفقوا أن يكون هلاكهم، وأمر الله ميكائيل فقام على رأس الجبّ وقال : قم يا جرجيس بقوة الله الذي خلقك فسوّاك، فقام جرجيس □ حيّاً سويّاً، وأخرجه من الجبّ وقال : اصبر وابشر . فانطلق جرجيس حتّى قام بين يدي الملك، وقال : بعثني الله ليحتجّ بي عليكم، فقام صاحب الشرطة وقال : آمنت بإهلك الذي بعثك بعد موتك، وشهدت أنّه الحقّ، وجميع الآلهة دونه باطل، وأتبعه أربعة آلاف آمنوا وصدّقوا جرجيس □ فقتلهم الملك جميعاً بالسّيف . ثم أمر بلوح من نحاس أوقد عليه النّار حتّى احمرّ، فبسط عليه جرجيس □ وأمر بالرّصاص فأذيب وصبّ في فيه، ثمّ ضرب الأوتاد في عينيه ورأسه، ثمّ ينزع ويفرغ الرّصاص مكانه، فلمّا رأى أنّ ذلك لم يقتله أوقد عليه النّار حتّى مات وأمر برماده فذرّ في الرّياح، فأمر الله تعالى رياح الأرضين في اللّيلة، فجمعت رماده في مكان، فأمر ميكائيل فنأدى جرجيس، فقام حيّاً سويّاً بإذن الله . فانطلق جرجيس □ إلى الملك وهو في أصحابه، فقام رجل وقال : إن تحتنا أربعة

عشر منبراً ومائدة بين أيدينا، وهي من عيدان شتى، منها ما يثمر، ومنها مالا يثمر، فسل ربك أن يلبس كل شجرة منها لحاءها، وينبت فيها ورقها وثمرها، فإن فعل ذلك فأني أصدقك، فوضع جرجيس □ ركبته على الأرض ودعا ربه تعالى، فما برح مكانه حتى أثمر كل عود فيه ثمرة . فامر به الملك، فمد بين الخشبنتين ووضع المنشار من تحت رجله، ثم أمر بقدر عظيمة، فألقي فيها زفت وكبريت ورصاص، فألقي فيها جسد جرجيس □ فطبخ حتى اختلط ذلك كله جميعاً، فاظلمت الأرض لذلك، وبعث الله إسرافيل □ فصاح صيحة خرّ منها الناس لوجوههم، ثم قلب إسرافيل القدر، فقال : قم يا جرجيس بإذن الله تعالى، فقام حياً سوياً بقدره الله . وانطلق جرجيس إلى الملك، فلما رآه الناس عجبوا منه، فجاءته امرأة وقالت : أيها العبد الصالح كان لنا ثور نعيش به فمات، فقال جرجيس □ : خذي عصاي هذه فضعيها على ثورك وقولي : إن جرجيس يقول : قم بإذن الله تعالى، ففعلت فقام حياً، فأمنت بالله . فقال الملك : إن تركت هذا السّاحر أهلك قومي، فاجتمعوا كلّهم أن يقتلوه، فأمر به أن يخرج ويقتل بالسيف، فقال جرجيس □ — لما أخرج — : لا تعجلوا عليّ فقال : ((اللهم أهلك أنت عبدة الأوثان أسألك أنت تجعل اسمي وذكرى صبراً لمن يتقرب إليك عند كل هول وبلاء)) ثم ضربوا عنقه فمات، ثم أسرعوا إلى القرية، فهلكوا كلّهم .

نبوة إيليا □:

إيليا □ من أنبياء بني إسرائيل, وكانت له مع ملك زامنه حادثة أوجبت توبة هذا العالم وتدينه, وخلاصتها: أن هذا الملك كان قد هوى امرأة من قوم يعبدون الأصنام من غير بني إسرائيل فخطبها فشرط قومها عليه أن يعبد صنمهم, فأبى عليه, ثم خطبها مرة أخرى وشرطوا عليه نفس ذلك الشرط فقبل وجاء بالمرأة والصنم وثمانائة من قومها. فجاء إيليا □ إلى الملك, فقال ملّكان الله ومدّ لك في العمر فطغيت وبغيت . فلم يلتفت إليه, فدعا الله إيليا أن لا يسقيهم قطرة, فنالهم قحط شديد ثلاث سنين, حتّى ذبحوا دوابهم, فلم يبق لهم من الدوابّ إلّا برزون يركبه الملك, وآخر يركبه الوزير, وكان قد استتر عند الوزير أصحاب إيليا يطعمهم في سرب . فأوحى الله تعالى جلّ ذكره إلى إيليا : تعرّض للملك, فأبى اريد أن أتوب عليه, فأتاه فقال : يا إيليا, ما صنعت بنا قتلت بني إسرائيل, فقال إيليا : تطيعني فيما أمرك به ؟ فأخذ عليه العهد, فأخرج أصحابه وتقربوا إلى الله تعالى بثورين, ثمّ دعا بالمرأة فذبحها وأحرق الصنم, وتاب الملك توبة حسنة حتّى لبس الشّعر وأرسل إليه المطر والخصب.

نبوة حزقيل □:

حزقيل □ من أنبياء بني إسرائيل، وقد حصلت معه حادثة إحياء الموتى، وهي قوله سبحانه: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ] ⁽¹⁰⁰⁾. إن هؤلاء القوم كانوا من بني إسرائيل الساكنين في الشام وكان عددهم سبعين ألف بيت، وكان قد ابتلاهم الله سبحانه بمرض الطاعون فقرروا أن يخرجوا جميعاً فنزلوا على شط بحر فأتاهم أمره سبحانه بأن يموتوا جميعهم فماتوا وصاروا رميمًا عظامًا، إلى أن مر بهم نبي الله حزقيل □ فوقف عليهم متفكرًا ف قيل له: أتحب أن يبعثهم الله وأنت تنظر؟ فقال: نعم. فأمر أن يدعوا تلك العظام أن تكتسي لحماً وأن يتصل العصب بعضه ببعض. فناداهم عن أمر الله له بذلك، فقام القوم أجمعون وكبروا تكبيرة رجل واحد.

أقول: روي عن مولانا الصادق □ في هذه الآية قوله: [إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلَ مَدِينَةٍ مِنْ مَدَائِنِ الشَّامِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانُوا سَبْعِينَ أَلْفَ بَيْتٍ، وَكَانَ الطَّاعُونَ يَقَعُ فِيهِمْ فِي كُلِّ أَوَانٍ، وَكَانُوا إِذَا أَحْسَسُوا بِهِ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ الْأَغْنِيَاءُ وَبَقِيَ فِيهَا الْفُقَرَاءُ لضعفهم، وَكَانَ الْمَوْتُ يَكْثُرُ فِي الَّذِينَ أَقَامُوا، وَيَقِلُّ فِي الَّذِينَ خَرَجُوا]. قال: [فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا جَمِيعًا مِنْ دِيَارِهِمْ إِذَا كَانَ وَقْتُ

الطّاعون، فخرجوا بأجمعهم، فنزلوا على شطّ بحر، فلما وضعوا رحالهم ناداهم الله : موتوا فماتوا جميعاً، فكنستهم المارّة عن الطّريق فبقوا بذلك ما شاء الله، فصاروا رميمًا عظاماً، فمرّ بهم نبيّ من الأنبياء يقال له : حزقييل فرآهم وبكى وقال : يا ربّ لو شئت أحييتهم السّاعة، فأحياهم الله]. وفي رواية : أنّه تعالى أوحى إليه أن رشّ الماء عليهم، ففعل فأحياهم الله. كما ورد عن أبي حمزة عن الباقر ؑ قال : [لما خرج ملك القبط يريد هدم بيت المقدس اجتمع النّاس إلى حزقييل النّبي، فشكوا إليه، فقال : إني أناجي ربّي اللّيلة فناجي ربّه، فأوحى الله إليه : قد كفيتم وكانوا قد مضوا، فأوحى الله تعالى إلى ملك الهواء أن امسك عليهم أنفاسهم، فماتوا كلّهم وأصبح حزقييل ؑ فأخبر قومه، فخرجوا فوجدوهم قد ماتوا] (101).

(101) بحار الأنوار (13 / 383)، برقم : (5)

نبوة يونس □:

يونس بن متى □. قال تعالى ذكره: [وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ] (102).

روى أبو عبيدة الحذاء عن أبي جعفر □ قال : [وجدنا في بعض كتب عليّ □ أنه قال : حدّثني رسول الله □ أنّ جبرئيل □ حدّثه أنّ يونس بن متى بعثه الله تعالى إلى قومه، وهو ابن ثلاثين سنة، وأنّه أقام فيهم يدعوهم إلى الله تعالى فلم يؤمن به إلاّ رجلان . أحدهما روبيل وكان من أهل بيت العلم والحلم، وكان قديم الصّحبة ليونس □ قبل أن يبعثه الله بالنبوة، وكان صاحب غنم يرعاها ويتقوّت منها . والثاني — تنوخا : رجلٌ عابد زاهد ليس له علم ولا حكمة، وكان يحتطب ويأكل من كسبه، فلمّا رأى يونس أنّ قومه لا يجيبونه، وخاف أن يقتلوه، شكى ذلك إلى ربّه تعالى . فأوصى الله تعالى إليه : أنّ فيهم الحبلى والجنين والطفّل الصّغير والشيخ الكبير والمرأة الضّعيفة، أحبّ أن أرفق بهم وأنظر توبتهم، كهيئة الطّبيب المداوي العالم بمداواة الدّاء، فانيّ أنزل العذاب يوم الاربعاء في وسط شوال بعد طلوع الشّمس . فأخبر يونس □ تنوخا العابد به ورويل ليعلماهم، فقال تنوخا :

أرى لكم أن تعزلوا الأطفال عن الأمهات في أسفل الجبل في طريق الأدوية، فإذا رأيتم رجلاً صفراء أقبلت من المشرق، فعجّوا بالصّراخ والتّوبة إلى الله تعالى جلّت قدرته بالاستغفار، وارفعوا رؤوسكم إلى السّماء، وقولوا : ربّنا ظلمنا أنفسنا فاقبل توبتنا . ولا تملنّ من التّضرّع إلى الله جلّت عظّمته والبكاء حتّى تتوارى الشّمس بالحجاب ويكشف الله عنكم العذاب، ففعلوا ذلك فتاب عليهم ولم يكن الله اشترط على يونس أنّه يهلكهم بالعذاب إذا أنزله . فأوحى الله جلّ جلاله إلى إسرافيل : أن اصرف عنهم ما قد نزل بهم من العذاب، فهبط إسرافيل عليهم، فنشر أجنحة فاستاق بها العذاب حتّى ضرب بها الجبال الّتي بناحية الموصل، فصارت حديداً إلى يوم القيامة، فلمّا رأى قوم يونس أنّ العذاب صرّف عنهم حمدوا الله وهبطوا إلى منازلهم وضمّوا إليهم نساءهم وأولادهم . وغاب يونس □ عن قومه ثمانية وعشرين يوماً، سبعة في ذهابه، وسبعة في بطن الحوت، وسبعة بالعراء، سبعة بالعراء، وسبعة في رجوعه إلى قومه، فأثّاهم فأمنوا به وصدّقوه واتّبعوه □ (103).

أقول: أن يونس □ كان قد بعثه الله سبحانه في العراق في منطقة نينوى أو الموصل وقبره الآن معروف ويزار، وقد أرسله في مائة ألف أو يزيدون كما قال تعالى: [وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ

(103) بحار الأنوار (14 / 399) مثله باختصار عن تفسير العياشي مطوّلاً ومفصّلاً .

الْمُسَبِّحِينَ * لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ *
وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَأَمَنُوا
فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ] ⁽¹⁰⁴⁾. فاختلّفوا في الزيادة فقليل: عشرة آلاف. وقيل
عشرون ألفاً. وعن ابن عباس: كانوا مائة ألف وثلاثين ألفاً، وعنه: وبضعة
وثلاثين ألفاً، وعنه وبضعة وأربعين ألفاً. وقال سعيد بن جبير: كانوا مائة ألف
وسبعين ألفاً. ثم أن غضب يونس □ إنما كان في سبيل الله لما لاقاه من عصيان
قومه وتكذيبهم بآيات الله تعالى. وأما معنى قوله فظن أي بمعنى استيقن أن لن
نضيق عليه رزقه بتفصيل تقدم في حديث الإمام الرضا □ مع المأمون
العباس لعنه الله. ولكن هناك خلاف في مقدار ما لبثه في بطن الحوت فعن
مجاهد: التقمه ضحى ولفظه عشية، وقال قتادة: مكث فيه ثلاثاً. والصحيح ما
تقدم في رواية الإمام الصادق □ وهو سبعة أيام.

وأما قصته في بطن الحوت فقد ورد عن إمامنا الصادق □: [خرج يونس □
مغاضباً من قومه لما رأى من معاصيهم، حتّى ركب مع قوم في سفينة في اليمّ،
فعرض لهم حوت ليغرقهم، فساهموا ثلاث مرّات، فقال يونس : إيّاي أراد،
فاقذفوني، فلمّا أخذت السمكة يونس □ أوحى الله تعالى إليها : إيّى لم
أجعله لك رزقاً، فلا تكسري له عظماً ولا تأكلي له لحماً]. قال : [فطافت
به البحار : (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إيّى كنت من

الظالمين)]. وقال : [لما صارت السمكة في البحر الذي فيه قارون سمع قارون صوتاً لم يسمعه، فقال للملك الموكل به : ما هذا الصوت قال : هو يونس النبي ﷺ في بطن الحوت، قال : فتأذن لي أن أكلّمه، قال : نعم، قال : يا يونس ما فعل هارون ؟ قال : مات فبكى قارون، قال : ما فعل موسى ؟ قال : مات فبكى قارون، فأوحى الله جلّت عظمته إلى الملك الموكل به أن خفف العذاب عن قارون لرقته على قرابته].

أقول: في شطر من هذا الخبر غرابة وهو محادثة قارون مع الملك ويونس ﷺ، وفي خبر آخر: أن الله تعالى إلى الملك: [أرفع عنه العذاب بقيّة أيام الدّنيا، لرقته على قرابته]. وذلك لما تقدم في نبوة موسى ﷺ وما حصل من هلاك قارون. ثم أن تسبيح يونس ﷺ هذا له آثار عظيمة في قضاء الحوائج ودفع البلاء، فقد ورد في حديث رسول الله ﷺ: [لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت: أن خذه ولا تחדش له لحماً ولا تكسر له عظماً. فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً، فقال في نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت: إن هذا تسبيح دواب البحر. قال فسيح وهو في بطن الحوت، فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: يا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة ! قال: ذلك عبدى يونس، عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر. قالوا: العبد الصالح ؛ الذى كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح ؟ قال: نعم. قال فشفعوا له عند ذلك، فأمر الحوت

فقدفه في الساحل كما قال الله: " وهو سقيم ". وفي موضع آخر قال □: [إن يونس النبي □ حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت قال: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فأقبلت هذه الدعوة تحت العرش، فقالت الملائكة: يا رب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة. فقال: أما تعرفون ذاك؟ قالوا: لا يا رب ومن هو؟ قال: عبدى يونس. قالوا: عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة؟ قالوا: يا ربنا! أو لا ترحم ما كان يصنعه في الرخاء فتنجيهِ من البلاء؟ قال: بلى. فأمر الحوت فطرحه في العراء ".]. وأما معنى العراء فهو ذلك المكان القفر الذى ليس فيه شئ من الاشجار، بل هو عار منها، وأما السقيم فهو من ضعف البدن والمرض ولكن الله سبحانه بمنه ولطفه قد أنبت عليه شجرة اليقطين، وهو القرع ومن فوائده أن ورقه في غاية النعومة، وكثير وظليل، ولا يقربه ذباب، ويؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره، نياً ومطبوخاً، وبقشره وببرزه أيضاً، وفيه تقوية للدماغ.

نبوة شعيا □:

شعيا □ ورد أن في زمانه ملكاً صالحاً من ملوك بني إسرائيل فأوحى الله تعالى إلى شعيا □ أن مر ملك بني إسرائيل فليوص وصيه وليستخلف على بني إسرائيل من أهل بيته، فإني قابضه يوم كذا فليعهد عهده، وذلك لما كان من تجهيز سنحاريب ويختنصر الجيوش لغزو الشام وسبي بني إسرائيل في عقر دارهم. فأخبر شعيا □ برسالته عز وجل . فلما قال له ذلك، أقبل الملك على التضرع والدعاء والبكاء، فقال : اللهم ابتدأني بالخير من أول أمري وسببته لي وأنت فيما أستقبل رجائي وثقتي، فلك الحمد بلا عمل صالح سلف متي وأنت أعلم مي نفسي وأسألك أن تؤخر عني الموت، وتنسأ لي في عمري، وتستعملني بما تحب وترضى . فأوحى الله تعالى إلى شعيا □ : إني رحمت تضرعه، واستجبت دعوته، وقد زدت في عمره خمس عشرة سنة، فمره فيداو قرحته بماء التين، فإني قد جعلته شفاء مما هو فيه، وإني قد كفيته وبني إسرائيل مؤونة عدوهم . فلما أصبحوا وجوداً جنود ملك بابل مصروعين في عسكرهم موتى لم يفلت منهم أحد إلا ملكهم وهو سنحاريب وخمسة نفر منهم يختنصر، فلما نظروا إلى أصحابهم وما أصابهم كروا منهزمين إلى ارض بابل، وثبت بنو إسرائيل متوازين على الخير، فلما مات ملكهم ابتدعوا البدع ودعا كل إلى نفسه وشعيا □ يأمرهم وينهاهم، فلا يقبلون حتى أهلكهم الله.

أقول: ورد عن مولانا الإمام الباقر ﷺ في هلاك قوم شعيا ﷺ قوله: [قال عليّ ﷺ أوحى الله تعالى جلّت قدرته إلى شعياً ﷺ أنّي مهلك من قومك مائة ألف، اربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم، فقال ﷺ : هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ فقال : داهوا أهل المعاصي، فلم يغضبوا لغضبي] (105).

نبوة أرميا:

أرميا كانت نبوته بعد أشعيا □ حيث عاصر السبي الذي ألحقه بختنصر بني إسرائيل بعد هلاك جيش سنجاريب, قال سبحانه: [وَقَصَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفِيسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوءًا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا] (106).

جاء في كتب التاريخ والسير أن بختنصر منذ ملك كان يتوقع فساد بني إسرائيل، ويعلم أنه لا يطيقهم إلا بمعصيتهم، فلم يزل يأتيه العيون بأخبارهم، حتى تغيرت حالهم وفشت فيهم المعاصي، وقتلوا أنبياءهم، وذلك تفسير الآيات المتقدمة بفساد بني إسرائيل فأخبرهم أرميا □ أن بختنصر يتهيأ للسير إليكم وقد غضب الله عليكم، وأن الله تعالى جلت عظمته يستتيكم لصالح آبائكم ويقول : هل وجدتم أحداً عصاني فسعد بمعصيتي أم هل علمتم أحداً أطاعني فشقي بطاعتي ؟ وأما أحباركم ورهبانكم فاتخذوا عبادي خولاً يحكمون فيهم بغير كتابي حتى أنسوهم ذكري، وأما ملوككم وأمرؤكم فبطروا نعمتي وغرّتهم الدنيا، وأما قراؤكم وفقهاؤكم فهم منقادون للملوك، يبايعونهم على البدع، ويطيعونهم في معصيتي وأما الأولاد فيخوضون مع الخائضين وفي كل ذلك ألبسهم العافية،

فلأبدلنهم بالعزّ ذلاًّ وبالأمن خوفاً، إن دعوني لم أجبههم وإن بكوا لم أرحمهم .
فلما بلغهم ذلك نبّيهم فكذبوه وقالوا : لقد أعظمت الفرية على الله تزعم أنّ الله
يعطلّ معطل مساجده من عبادته فقيدوه وسجنوه فأقبل بختنصر وحاصرهم
سبعة أشهر حتّى أكلوا خلاتهم وشربوا ابوالهم، ثمّ بطش بهم بطش الجبارين
بالقتل، والصّلب، والأحراق، وجذع الأنوف، ونزع الألسن والأنياب، وخرّب
المساجد وأحرق الكتب ، ووقف النّساء . فقليل له : إنّ لهم صاحباً وهو نبي الله
أرميا كان يحذّرهم بما أصابهم، فاتّهموه وسجنوه، فأمر بختنصر فأخرج من
السّجن، فقال له أكنت تحذّر هؤلاء ؟ قال : نعم . قال : وأيّ أعلمت ذلك ؟
قال : أرسلني الله به إليهم قال : فكذبوك وضربوك ؟ قال : نعم . قال : لبس
القوم قوم ضربوا نبّيهم، وكذبوا رسالة ربّهم، فهل لك أن تلحق بي فأكرمك ؟
وإن أحببت ان تقيم في بلادك أمنتك، قال إرميا □ : إيّي لم أزل في أمان الله منذ
كنت لم أخرج منه، ولو أنّ بني إسرائيل لم يخرجوا من أمانه لم يخافوك . فأقام
أرميا مكانه بأرض إيليا، وهي حينئذ خراب قد هدم بعضاً، فلما سمع به من
بقي من بني إسرائيل اجتمعوا إليه، وقالوا : عرفنا أنّك نبينا فانصح لنا، فأمرهم
أن يقيموا معهم، فقالوا : ننطلق إلى ملك مصر نستجير، فقال إرميا □ : إنّ
ذمة الله أوفى الذّم، فانطلقوا إلى مصر وتركوا إرميا، فقال لهم الملك : أنتم في
ذمتي، فسمع ذلك بختنصر، فأرسل إلى ملك مصر ابعت بهم إليّ مصفّدين وإلّا
أذنتك بالحرب . فلما سمع أرميا بذلك أدركته الرّمة لهم، فبادر إليهم لينقذهم
فورد عليهم، وقال : إنّ الله تعالى أوحى إليّ أنّي مظهر بختنصر على هذا الملك،

وآية ذلك أنَّه تعالى أَرَانِي مَوْضِعَ سَرِيرٍ بِخَتْنَصَّرِ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ بَعْدَمَا يَظْفَرُ بِمِصْرٍ، ثُمَّ عَمِدَ فَدَفَنَ أَرْبَعَةَ أَحْجَارٍ فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ بِخَتْنَصَّرِ وَظَفَرَ بِهِمْ وَأَسْرَهُمْ، فَلَمَّا ارَادَ أَنْ يَقْسَمَ الْفِيءَ وَيَقْتُلَ الْأَسَارَى وَيَعْتَقَ مِنْهُمْ كَانُ فِيهِمْ إِرْمِيَا . فَقَالَ لَهُ بِخَتْنَصَّرِ : اِرَاكَ مَعَ أَعْدَائِي بَعْدَمَا عَرَضْتُكَ مِنَ الْكِرَامَةِ، فَقَالَ لَهُ إِرْمِيَا □ : إِنِّي جِئْتُهُمْ مَخْوَفًا أَخْبِرُهُمْ خَبْرَكَ، وَقَدْ وَضَعْتَ لَهُمْ عَلَامَةً تَحْتَ سَرِيرِكَ هَذَا وَأَنْتَ بَارِضُ بَابِلَ، اِرْفَعْ سَرِيرَكَ فَإِنَّ تَحْتَ كُلِّ قَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِهِ حَجَرًا دَفَنْتَهُ بِيَدِي وَهُمْ يَنْظُرُونَ، فَلَمَّا رَفَعَ بِخَتْنَصَّرِ سَرِيرَهُ وَجَدَ مِصْدَاقَ مَا قَالَ، فَقَالَ لِأِرْمِيَا : إِنِّي لَأَقْتُلُهُمْ إِذْ كَذَبُوكَ وَلَمْ يَصْدَقُوكَ، فَقَتَلَهُمْ وَلَحَقَ بَارِضُ بَابِلَ . فَأَقَامَ إِرْمِيَا بِمِصْرَ مَدَّةً، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : اَلْحَقْ بِأَيْلِيَا . فَاَنْطَلَقَ حَتَّى إِذَا رَفَعَ لَهُ شَخْصَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَرَأَى خَرَابًا عَظِيمًا، قَالَ : ((أَلَيْ يَحْيَى هَذِهِ اللَّهُ)) فَنَزَلَ فِي نَاحِيَةٍ وَاتَّخَذَ مَضْجَعًا، ثُمَّ نَزَعَ اللَّهُ رُوحَهُ وَأَخْفَى مَكَانَهُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ مِائَةَ عَامٍ، وَكَانَ قَدْ وَعَدَهُ اللَّهُ أَنَّهُ سَيُعِيدُ فِيهَا الْمَلِكَ وَالْعِمْرَانَ، فَلَمَّا مَضَى سَبْعُونَ عَامًا أَمَرَ اللَّهُ فِي عِمَارَةِ إَيْلِيَا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ مَلَكًا إِلَى مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ فَارِسَ يَقُولُ لَهُ : كُوشِكُ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَنْفِرَ بِقُوَّتِكَ وَرِجَالِكَ حَتَّى تَنْزِلَ إَيْلِيَا فَتَعْمُرَهَا، فَتَدْبُ الْفَارِسِيُّ كَذَلِكَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ قَهْرْمَانَ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ قَهْرْمَانٍ أَلْفَ عَامِلٍ بِمَا يَصْلَحُ لَذَلِكَ مِنَ الْأَلَةِ وَالنَّفَقَةِ فَسَارَ بِهِمْ، فَلَمَّا تَمَّتْ عِمَارَتُهَا بَعْدَ ثَلَاثِينَ سَنَةً أَمَرَ عِظَامَ إِرْمِيَا أَنْ تَحْيَى، فَقَامَ حَيًّا كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ.

أقول: أما يختصر فقد ورد في سبب تسميته لأنه رضع بلبن كلبة، وكان اسم الكلب بخت واسم صاحبه نصر، وكان مجوسياً أغلف وابن زنا لا يعرف أباه، وقد تقدم ما فعله ببني إسرائيل وأنه جاء بهم إلى بابل ليستعبدهم مائة عام ثم تفضل الله عليهم بالرحمة فأمر ملكاً من ملوك فارس عارفاً بالله سبحانه فردهم إلى بيت المقدس فأقامهم به مائة سنة على الطريقة المستقيمة. ثم عادوا إلى الفساد و المعاصي فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه أنطياخوس فخرّب بيت المقدس وسبى أهله. ثم أن لبختنصر حوادث مع نبي الله دانيال □ الذي أخبره بهلاكه بتفصيل آت. وأما قضية إمامته مائة عام وبعثه بعد ذلك فهذا محل خلاف لأن المروي عن أهل البيت □ هو نبي الله عزير □ بتفصيل آت أيضاً.

نبوة عزيز □:

عزيز □ من أنبياء بني إسرائيل وكان معاصراً للسي الذي ألحقه بختنصر بيني إسرائيل, وكان قد غاب عن قومه مائة سنة, وذلك عندما خرج على حمار ومعه تين قد تزوده وشيء من عصير فنظر إلى سباع البر وسباع البحر وسباع الجو تأكل تلك الجيف ففكر في نفسه ساعة ثم قال: أنى يحيي الله هؤلاء وقد أكلتهم السباع فأماته الله مكانه وهو قول الله تبارك وتعالى: [أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ] فأول ما أحيا منه عينيه في مثل غرقى البيض فنظر فأوحى الله تعالى إليه: [كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا] فنظر إلى الشمس قد ارتفعت فقال: [أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ] فقال الله تبارك وتعالى: [بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ] أي لم يتغير [وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها حَمًا] فجعل ينظر إلى العظام البالية المنفطرة يجتمع إليه وإلى اللحم الذي قد أكلته السباع يتألف إلى العظام من هنا وهناك ويلتزق بها حتى قام وقام حماره فقال: [أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ].

أقول: روي أن ابن الكواء قال لأمير المؤمنين □: ما ولد أكبر من أبيه من أهل الدنيا. قال: [نعم أولئك ولد عزيز حيث مر على قرية خربة تحته حمار ومعه شنة فيها لبن وكوز فيه عصير فمر على قرية فقال أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ

بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ فَتَوَالَدَ وَلَدَهُ وَتَنَاسَلُوا ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ فَأَحْيَاهُ فِي الْمَوْلَدِ الَّذِي أَمَاتَهُ فَأُولَئِكَ وَلَدَهُ أَكْبَرُ مِنْ أَبِيهِمْ]. وفي حديث آخر عنه □: [أَنْ عَزِيزاً خَرَجَ مِنْ أَهْلِهِ وَامْرَأَتِهِ فِي شَهْرِهَا وَلَهُ يَوْمَئِذٍ خَمْسُونَ سَنَةً فَلَمَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَنْبِهِ أَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ سَنَةٍ ثُمَّ بَعَثَهُ فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِينَ سَنَةً فَاسْتَقْبَلَهُ ابْنُهُ وَهُوَ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ وَرَدَّ اللَّهُ عَزِيزاً فِي السِّنِّ الَّذِي كَانَ بِهِ]. وهذان الحديثان يدلان على أنه هو الذي أَمَاتَهُ اللَّهُ تعالى مِائَةَ سَنَةٍ ثُمَّ أَحْيَاهُ، والتعبير بِذَنْبِهِ يُؤَوِّلُ بِذُنُوبِ قَوْمِهِ الَّذِينَ عَصَوْا تَعَالِيمَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَكَذَبُوا أَنْبِيَائَهُ وَشَرَّدُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ، أَوْ بِمَا تَقَدَّمَ مَرَاراً بِالنِّسْبَةِ لِلْحَالَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي يَعِيشُهَا الْأَنْبِيَاءُ □ مِنَ الْخُضُوعِ وَالذُّلَّةِ أَمَامَهُ عَزَّ وَجَلَّ. وعن ابن عباس قال: قال عزيز يا رب إني نظرت في جميع أمورك وأحكامها فعرفت عدلك بعقلي وبقي باب لم أعرفه إنك تسخط على أهل البلية فتعمهم بعذابك وفيهم الأطفال ؟. فأمره الله تعالى أَنْ يُخْرِجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ كَانَ الْحَرُّ شَدِيداً، فَرَأَى شَجَرَةً فَاسْتَظَلَّ بِهَا وَنَامَ فَجَاءَتْ نَمْلَةٌ فَفَرَّصَتْهُ فَذَلَّكَ الْأَرْضَ بِرَجْلَيْهِ فَقَتَلَ مِنَ النَّمْلِ كَثِيراً، فَعَرَفَ أَنَّهُ مِثْلُ ضَرْبِ لَهُ. فَقِيلَ يَا عَزِيزُ إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا اسْتَحَقُّوا عَذَابِي قَدَرْتُ نَزُولَهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَالِ الْأَطْفَالِ فَمَاتُوا أَوْلَئِكَ بِأَجَاهُمْ وَهَلَكَ هَؤُلَاءِ بِعَذَابِي.

ثم أن في عدد هذه القرية قيل أنهم مائة مقاتل وقد أحياهم الله سبحانه مع عزيز □ وقد قتلوا جميعاً بعد ذلك على يد بختنصر. واحد فأَمَاتَهُ اللَّهُ عند ذلك

مائة سنة ثم بعثه الله وإياهم وكانوا مائة مقاتل ثم قتلهم الله أجمعين على يد
بخت نصر.

نبوة دانيال □:

دانيال كان مسجوناً مع عزيز □ في تلك الأحداث وقد أخرجهما بختنصر من السجن وأخذهما معه إلى بابل، بينما بقي أرميا في الشام كما تقدم. ومن الأحداث التي جرت أن أسدين كانا قد أضرا بختنصر أسدين فألقاهما في جب، وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يهيجهما، فمكث ما شاء الله ثم انتهى ما يشتهي الآدميون من الطعام والشراب، فأوحى الله إلى أرميا وهو بالشام: أن أعد طعاماً وشراباً لدانيال فقال: يا رب أنا بالأرض المقدسة ودانيال بأرض بابل من أرض العراق. فأوحى الله إليه أن أعد ما أمرناك به فإننا سنرسل من يحملك ويحمل ما أعددت. ففعل وأرسل إليه من حملة وحمل ما أعده حتى وقف على رأس الجب فقال دانيال من هذا؟ قال: أنا أرميا. فقال: ما جاء بك؟ فقال: أرسلني إليك ربك. قال: وقد ذكرني ربي؟ قال نعم. فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي يجيب من رجاه، والحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره، والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحساناً. والحمد لله الذي هو يكشف ضرنا بعد كرينا، والحمد لله الذي يقينا حين يسوء ظننا بأعمالنا، والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا.

ومنها: الرؤى التي رآها بختنصر وقد فسرهما إليه دانيال □، وكان منها: أنه رأى كأن رأسه من حديد ورجلاه من نحاس وصدره من ذهب. فدعا المنجمين فقال لهم: ما رأيتم؟ قالوا. ما ندري ولكن قص علينا ما رأيتم في المنام.

فقال: وأنا أجري عليكم الأرزاق منذ كذا وكذا وما تدرون ما رأيتم في المنام فأمر بهم فقتلوا. فقال له بعض من كان عنده إن كان عند أحد شيء فعند صاحب الجب فإن اللبوة لم تعرض له وهي تأكل الطين وترضعه. فبعث إلى دانيال فقال: ما رأيتم في المنام؟. فقال: رأيتم كان رأسك من كذا وصدرك من كذا. قال هكذا رأيتم فما ذاك. فقال: ذهب ملكك وأنت مقتول إلى ثلاثة أيام يقتلك رجل من ولد فارس. فقال له: إن علي لسبع مدائن على باب كل مدينة حرس وما رضيت بذلك حتى وضعت بطة من نحاس على باب كل مدينة لا يدخل غريب إلا صاححت فيؤخذ. فقال له: إن الأمر كما قلت لك. بعث الخيل وقال لا تلقون أحداً من الخلق إلا قتلتموه، وكان دانيال جالساً عنده. وقال له: لا تفارقني هذه الثلاثة أيام فإن مضت قتلتك. فلما كان اليوم الثالث ممسياً أخذه الغم فتلقيه غلام كان اتخذه ابناً له من أهل فارس وهو لا يعلم أنه من أهل فارس فدفع إليه سيفه وقال له: يا غلام لا تلقى أحداً إلا وقتلته ولو لقيتني أنا فاقتلني فأخذ الغلام سيفه فضرب به بختنصر ضربة فقتله.

أقول: روي عن مولانا الإمام عن الرضا ؑ، قال: [إن الملك قال لدانيال أشتهي أن يكون لي ولد مثلك فقال ما محلي من قلبك قال أجل محل و أعظمه قال دانيال ؑ فإذا جامعته فاجعل همتك في قلبك ففعل الملك ذلك فولد له ابن أشبه خلق الله بدانيال ؑ]. ثم في مقتل دانيال ؑ أن الذي حكم بعد بختنصر ابنه مهرويه الذي قام بوضع خد في الأرض وطرح فيه دانيال

□ وأصحابه من المؤمنين وألقي عليهم النيران فلما رأى أن النار لا تعذبهم ولا تحرقهم استودعهم الجب والسباع وعذبهم بكل نوع من العذاب حتى خلصهم الله منه وهم الذين ذكرهم الله في كتابه فقال عز من قال: [قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ]. فلما أراد الله أن يقبض دانيال أمره أن يستودع علمه وحكمه ابنه مكixa ثم ابنه أنشوا ثم ابنه دسيخا ثم ابنه نسطورس ثم مرعيذا ثم بجيرا الراهب عليهم سلام الله وصلواته أجمعين. وأما من الملوك فملك هرمز وبعده بهرام وسابور بن هرمز وهو أول من عقد التاج ولبسه، ثم من بعده أردشير أخو سابور وفي زمانه بعث الله عز وجل الفتية من أصحاب الكهف والرقيم، ثم سابور ثم يزجرد بن سابور ثم بهرام جور ثم فيروز بن يزجرد بن بهرام ثم فلاس بن فيروز ثم جاماسب أخو قباد ثم كسرى بن قباد ثم هرمز بن كسرى ثم كسرى بن هرمز بن أبرويز.

أصحاب الكهف والرقيم

قال سبحانه وتعالى: [أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرْبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِهَاءً لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا * هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا * وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِنْ

يُظْهِرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا * وَكَذَلِكَ
 أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ
 مِنْهُمْ أُمُورُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَجُّهُمْ أَعْلَمَ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى
 أَمْرِهِمْ لَنْتَحِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا * سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ
 خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَّبِّي
 أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنَفِثْ
 فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا⁽¹⁰⁷⁾.

إن في قصة أصحاب الكهف دلالة واضحة على مسألة الاعتقاد بالمعاد في
 يوم القيامة بعد الموت في هذه الحياة الدنيوية، وخصوصاً المعاد الجسماني على
 الرغم من الاختلاف المشار إليه الآيات المتقدمة، كما في الاختلاف في عدد
 أصحاب الكهف بين الثلاثة ورابعهم كلبهم، والخمسة وسادسهم كلبهم،
 والسبعة وثامنهم كلبهم، ولكن الله سبحانه بعد أن نص على قصتهم وبين بعض
 أحوالهم أوكّل أمر التفصيل إلى رسوله الكريم ﷺ وقليل من الناس الذين تعلموا
 على يديه. بحيث ادعى ابن عباس أنا من القليل الذين يعلمون ذلك فقال:
 كانوا سبعة وثامنهم كلبهم. وعهدة ذلك عليه ولو سلمناه فقد تقدم في بحثنا
 التفسير أن علمه كان يأخذه من أمير المؤمنين ﷺ وكان يفتخر بذلك، والحق أن
 علمهم مختص بأهل البيت ﷺ الذين ورثوا علم المدينة التي كان أمير المؤمنين ﷺ

بأبها وأمينها وخازنها والمدافع عنها قولاً وعملاً. لذا ترى أن في الآيات المتقدمة نهيًا عن الاستفتاء بقصة هؤلاء من جهة أهل الكتاب أو ممن يرتبط بهم، وإنما السؤال ينبغي أن يؤخذ من ورثة العلم الحقيقيين، فقد أشارت الروايات الواردة عنهم □ إلى أن عددهم سبعة وثامنهم كلبهم، وكان ستة منهم وزراء عند ملك فارسي اسمه دقيانوس قد استولى على مدينة في الروم اسمها أفسوس، وقد اتخذ ستة من الوزراء وأسمائهم: تملخاً، ومكسليمينا، ومنشيلينا، وديرنوس، وشاذريوس. وقد ادعى هذا الملك الإلهية فلما كشف الله سبحانه زيف ادعائه تركه هؤلاء الوزراء وهاجروا في سبيل الله ليلتقوا براعي غنم وكتب له اسمه قطمير، فأكمل العدد فلجأوا إلى كهفهم الذي ماتوا فيه ثلاثمائة سنة وتسعة سنين.

روى ابن عباس: كان في عهد خلافة عمر أتاها قوم من أحبار اليهود، فسألوه عن أقفال السماوات ما هي؟ وعن مفاتيح السموات ما هي؟ وعن قبر سار بصاحبه ما هو؟ وعمّن أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس، وعن خمسة أشياء مشيت على وجه الأرض لم يخلقوا في الأرحام، وما يقول الدراج في صياحه وما يقول الديك والفرس والحصان والصفدع والقنبر، فنكس عمر رأسه. فقال: يا أبا الحسن ما أرى جوابهم إلاّ عندك، فقال لهم عليّ □: إنّ لي عليكم شريطة إذا أنا أخبرتكم بما في التّوراة دخلتم في ديننا؟ قالوا: نعم. فقال □: أمّا أقفال السماوات فهو الشّرك بالله، فإنّ العبد والأمة إذا كانا مشركين ما يرفع لهما إلى الله سبحانه عمل. فقالوا: ما مفاتيحها؟ فقال عليّ □: شهادة أن لا إله إلاّ

الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله . فقالوا : أخبرنا عن قبر سار بصاحبه قال : ذاك الحوت حين ابتلع يونس ؑ فدار به في البحار السبعة . فقالوا : أخبرنا عمّن أنذر قومه لا من الجنّ ولا من الإنس، قال : تلك نملة سليمان إذ قالت : (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده) . قالوا : فأخبرنا عن خمسة أشياء مشيت على الأرض ما خلقوا في الأرحام . قال : ذاك آدم وحوّاً وناقّة صالح وكبش إبراهيم وعصا موسى ؑ . قالوا : فأخبرنا ما تقول هذه الحيوانات ؟ قال : الدّراج يقول : (الرّحمن على العرش استوى) والدّيك يقول : اذكروا الله يا غافلين . والفرس يقول : اللّهم انصر عبادك المؤمنين على عبادك الكافرين . والحمار يلعن العشار وينهق في عين الشّيطان، والضّفدع يقول : سبحان ربّي المعبود المسبّح في لجج البحار . والقنبر يقول : اللّهم العن مبغضي محمد وآل محمد . قال : وكان الأحبار ثلاثة، فوثب اثنان وقالوا : نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله . قال : وكانت الأحبار ثلاثة، فوثب اثنان وقالوا : نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله . قال : فوقف الحبر الآخر، وقال يا عليّ لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوب أصحابي، ولكن بقيت خصلة واحدة أسألك عنها، فقال عليّ ؑ : سل، قال : أخبرني عن قوم كانوا في أوّل الزّمان، فماتوا ثلاثمائة وتسع سنين، ثمّ أحياهم الله ما كان قصّتهم ؟ فابتدأ عليّ وأراد أن يقرأ سورة الكهف، فقال الحبر : ما أكثر ما سمعنا قرآنكم، فإن كنت عالماً فأخبرنا بقصّة هؤلاء وبأسمائهم وعددهم واسم كلّهم واسم كهفهم واسم ملكهم واسم مدينتهم .

فقال عليّ □ : لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، يا أخا اليهود حدّثني محمد □ أنّه كان بأرض الرّوم مدينة يقال لها : أفسوس، وكان لها ملك صالح، فمات ملكهم، فاختلفت كلمتهم، فسمع ملك من ملوك فارس يقال له : دقيانوس فسار في مائة ألف حتّى دخل مدينة أفسوس، فاتّخذها دار مملكته واتّخذ فيها قصرأ طوله فرسخ في فرسخ، واتّخذ في ذلك القصر مجلساً طوله ألف ذراع في عرض مثل ذلك من الرّجاج الممرد، واتّخذ في ذلك المجلس أربعة آلاف أسطوانة من ذهب، واتّخذ ألف قنديل من ذهب لها سلاسل من اللّجين تسرج بأطيب الأدهان، واتّخذ في شرقي المجلس ثمانين كوة، وكانت الشمس إذا طلعت طلعت في المجلس كيف ما دارت، واتّخذ فيه سريرأ من ذهب له قوائم من فضّة مرصّعة بالجواهر وعلاه بالنّمارق، واتّخذ من يمين السرير ثمانين كرسيأ من الذهب مرصّعة بالزّبرجد الأخضر فأجلس عليها بطارقه، واتّخذ عن يسار السرير ثمانين كرسيأ من الفضّة مرصّعة بالياقوت الأحمر فأجلس عليها هراقلته ثمّ قعد على السرير فوضع التّاج على رأسه . فوثب اليهودي، فقال يا عليّ : ممّ كان تاجه ؟ قال : من الذهب المشبك، له سبعة اركان، على كلّ ركن لؤلؤة بيضاء كضوء المصباح في اللّيلة الظّلماء، واتّخذ خمسين غلامأ من أولاد الهراقلة، ففرطقهم بقراطن الدّيباج الأحمر، وسروهم بسرّاويلات الحرير الأخضر، وتوجّهم، ودملجهم، وخلخلهم، وأعطاهم أعمدة من الذهب، وأوقفهم على رأسه، واتّخذ ستّة غلمة وزراءه، فأقام ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره . فقال اليهودي : ما كان اسم الثلاثة والثّلاثة، فقال عليّ □ : الذين عن يمينه أسمائهم : تليخأ،

ومكسلمينا، ومنشيلينا، وأما الذين عن يساره، فأسماءهم : مرنوس، وديرنوس، وشاذريوس . وكان يستشريهم في جميع أموره .

وكان يجلس في كلّ يوم في صحن داره والبطارقة عن يمينه والمراقلة عن يساره، ويدخل ثلاثة غلّة في يد أحدهم جام من ذهب مملوّ من المسك المسحوق، وفي يد الآخر جام من فضّة مملوّ من ماء الورد، وفي يد الآخر طائر أبيض له منقار أحمر فإذا نظر الملك إلى ذلك الطائر صفر به، فيطير الطائر حتّى يقع في جام ماء الورد فيتمرّغ فيه، فيحمل ما في الجام بريشه وجناحه، ثمّ يصفر به الثّانية، فيطير الطائر على تاج الملك، فينفض ما في ريشه على رأس الملك .

فلما نظر الملك إلى ذلك عتا وتجرّ فادّعى الرّبوبيّة من دون الله، ودعا إلى ذلك وجوه قومه، فكلّ من أطاعه على ذلك أعطاه وحباه وكساه، وكلّ من لم يبايعه قتله فاستجابوا له رأساً، واتّخذ لهم عيداً في كلّ سنة مرّة . فبينما هم ذات يوم في عيد، والبطارقة عن يمينه، والمراقلة عن يساره، إذ أتاه بطريق، فأخبره أنّ عساكر الفرس قد غشيت فاعتم لذلك حتّى سقط التّاج عن ناصيته، فنظر إليه أحد الثّلاثة الذين كانوا عن يمينه يقال له : تمليحاً وكان غلاماً، فقال في نفسه : لو كان دقيوس إلهاً كما يزعم إذاً ما كان يغتم ولا يفرع وما كان يبول ولا يتغوّط وما كان ينام، وليس هذا من فعل الإله . قال : وكان الفتية السّنة كلّ يوم عند أحدهم وكانوا ذلك اليوم عند تمليحاً، فاتّخذ لهم من أطيب الطّعام، ثمّ قال لهم : يا إخوتاه قد وقع في قلبي شيء منعي الطّعام والشّراب والمنام، قالوا : وما ذاك

يا تمليحاً؟ قال : أطلت فكري في هذه السّماء، فقلت : من رفع سقفها محفوظاً بال عمد ولا علاقة من فوقها ؟ ومن أجرى فيها شمساً وقمرأ آيتان مبصرتان ؟ ومن زينه بالنّجوم ؟ ثم أطلت الفكر في الارض فقلت : من سطحها على صميم الماء الرّخار ؟ ومن حبسها بالجبال أن تميد على كلّ شيء ؟ وأطلت فكري في نفسي من أخرجني جنيئاً من بطن أمي ؟ ومن غذاني ؟ ومن ربّاني ؟ أنّ لها صانعاً ومدبراً غير دقيوس الملك، وما هو إلّا ملك الملوك وجبّار السّماوات . فانكبت الفتية على رجليه يقبلونهما، وقالوا : بك هدانا الله من الضّلالة إلى الهدى فأشر علينا، قال : فوثب تمليحاً فباع تمرأ من حائط له بثلاثة آلاف درهم وصرّها في رده، وركبوا خيولهم وخرجوا من المدينة، فلمّا ساروا ثلاثة أميال قال لهم تمليحاً : يا إخوانه جاءت مسكنة الآخرة وذهب ملك الدّنيا، انزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعلّ الله أن يجعل لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبعة فراسخ في ذلك اليوم، فجعلت أرجلهم تقطر دماً . قال : فاستقبلهم راع، فقالوا : يا أيّها الراعي هل من شربة لبن أو ماء ؟ فقال الرّاعي : عندي ما تحبّون، ولكن أرى وجوهكم وجوه الملوك، وما أظنّكم إلّا هراباً من دقيوس الملك، قالوا : يا ايها الرّاعي لا يحلّ لنا الكذب، أفينجيننا منك الصّدق ؟ فأخبروه بقصّتهم، فانكبّ الرّاعي على أرجلهم يقبلها، ويقول : يا قوم لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم، ولكن أمهلوني حتّى أردّ الأغنام على أربابها، وألحق بكم، فتوقّفوا له، فردّ الأغنام وأقبل يسعى فتبعه كلب له . قال : فوثب اليهودي، فقال يا عليّ : ما كان إسم الكلب ؟ وما لونه ؟

فقال عليّ □ : لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم أمّا لون الكلب، فكان أبلق بسواد وأمّا اسم الكلب فقطمير، فلمّا نظر الفتية إلى الكلب قال بعضهم : إنّنا نخاف أن يفضحنا بنباحه فانحوا عليه بالحجارة فأنطق الله تعالى الكلب : ذروني أحرسكم من عدوكم . فلم يزل الرّاعي يسير بهم حتّى علاهم جبلاً، فانخطّ بهم على كهف يقال له : الوصيد، فإذا بفناء الكهف عيون وأشجار مثمرة، فأكلوا من ثمارها وشربوا من الماء وجنّهم اللّيل، فأووا إلى الكهف . فأوحى الله عزّ وجلّ إلى ملك الموت بقبض أرواحهم، ووكل الله بكلّ رجلين ملكين يقلّبانهما من ذات اليمين إلى ذات الشّمال . وأوحى الله عزّ وجلّ إلى خزّان الشّمس، فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وتقرضهم ذات الشّمال . فلمّا رجع دقيوس من عيده سأل عن الفتية، فأخبر أنّهم خرجوا هراباً فركب في ثمانين ألف حصان، فلم يزل يقفوا أثرهم حتّى علا فانخطّ إلى كهفهم، فلمّا نظر إليهم إذا هم نيام، فقال الملك : لو أردت أن أعاقبهم بشيء لما عاقبتهم بأكثر ممّا عاقبوا أنفسهم، ولكن اتّوني بالبّنائين، فسدّ باب الكهف بالكلس والحجارة، وقال لأصحابه : قولوا لهم : يقولوا لإلههم الذي في السّماء لينجيهم، وأن يخرجهم من هذا الموضع . قال عليّ □ : يا أخا اليهود، فمكثوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين، فلمّا أراد الله أن يحييهم أمر إسرافيل أن ينفخ فيهم الرّوح، فنفخ، فقاموا من رقدهم، فلمّا برغت الشّمس، قال بعضهم : قد غفلنا في هذه اللّيلة عن عبادة إله السّماء، فقاموا فإذا العين قد غارت وإذا الأشجار قد يبست، فقال بعضهم : إنّ أمورنا لعجب

مثل تلك العين الغزيرة قد غارت والاشجار قد يبست في ليلة واحدة، ومستمهم الجوع فقالوا : [ابعثوا بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيّها أذكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرون بكم أحداً]. قال تمليخاً : لا يذهب في حوائجكم غيري، ولكن ادفع أيّها الرّاعي ثيابك إليّ، قال : فدفع الرّاعي ثيابه ومضى يؤمّ المدينة، فجعل يرى مواضعاً لا يعرفها وطريقاً هو ينكرها حتى أتى باب المدينة وإذا علم أخضر مكتوب عليه : لا إله إلاّ الله عيسى رسول الله، قال : فجعل ينظر إلى العلم وجعل يمسح به عينيه، ويقول : أراني نائماً، ثمّ دخل المدينة حتّى أتى السّوق، فأتى رجلاً خبّازاً فقال : أيّها الخبّاز ما اسم مدينتكم هذه ؟ قال : أفسوس قال : وما اسم ملككم ؟ قال : عبد الرّحمن، قال ادفع إليّ بهذه الورق طعاماً فجعل الخبّاز يتعجّب من ثقل الدّراهم ومن كبرها .

قال : فوثب اليهوديّ، وقال يا عليّ : ما كان وزن كلّ درهم منها ؟ قال : وزن كلّ درهم عشرة دراهم وثلثي درهم . فقال الخبّاز : يا هذا أنت أصبت كنزاً ؟ فقال تمليخاً : ما هذا إلاّ ثمن تمر بعثها منذ ثلاث وخرجت من هذه المدينة، وتركت النّاس يعبدون دقيوس الملك . قال : فأخذ الخبّاز بيد تمليخاً وأدخله على الملك، فقال : ما شأن هذا الفتى ؟ قال الخبّاز : إنّ هذا رجل أصاب كنزاً، فقال الملك : يا فتى لا تخف، فإنّ نبينا عيسى ﷺ أمرنا أن لا نأخذ من الكنز إلاّ خمسها، فأعطني خمسها وامض سالماً، فقال تمليخاً : انظر أيّها الملك في

أمري ما أصبت كنزاً أنا رجل من أهل هذه المدينة، فقال الملك : أنت من أهلها ؟ قال : نعم، قال : فهل تعرف بها أحداً ؟ قال : نعم . قال : ما اسمك ؟ قال اسمي تمليحاً قال : وما هذه الأسماء أسماء أهل زماننا . فقال الملك : هل لك في هذه المدينة دار ؟ قال : نعم اركب أيّها الملك معي، قال : فركب والنّاس معه فأتى بهم أرفع دار في المدينة قال تمليحاً : هذه الدّار لي، ففرع الباب فخرج إليهم شيخ كبير قد وقع حاجباه على عينيه من الكبر، فقال : ما شأنكم ؟ فقال الملك : أتانا هذا الغلام بالعجائب يزعم أنّ هذه الدّار داره، فقال له الشيخ : من أنت ؟ قال : أنا تمليحاً بن قسطيّكين، قال : فانكب الشّيخ على رجليه يقبلها، ويقول : هو جدّي وربّ الكعبة .

فقال : أيّها الملك هؤلاء السّتة الّذين خرجوا هرباً من دقيوس الملك، فنزل الملك عن فرسه، وحمله على عاتقه، وجعل النّاس يقبلون يديه وجليه، فقال : يا تمليحاً ما فعل أصحابك ؟ فأخبر أنّهم في الكهف وكان يومئذ بالمدينة ملك مسلم وملك يهوديّ . فركبوا في اصحابهم، فلمّا صاروا قريباً من الكهف قال لهم تمليحاً : إنّني أخاف أن تسمع أصحابي أصوات حوافر الخيول، فيظنّون أنّ دقيوس الملك قد جاء في طلبهم، ولكن أمهلوني حتّى أتقدم فأخبرهم، فوقف النّاس . فأقبل تمليحاً حتّى دخل الكهف، فلمّا نظروا إليه اعتنقوه وقالوا : الحمد لله الّذي نجّنا من دقيوس، قال تمليحاً : دعوني عنكم وعن دقيوسكم كل لبثتم ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم قال تمليحاً : بل لبثتم ثلاثمائة وتسع سنين، وقد

مات وانقرض قرب بعد قرن، وبعث الله نبياً يقال له : المسيح عيسى بن مريم، ورفع الله إليه، وقد أقبل إلينا الملك والناس معه . قالوا : يا تلميخاً أتريد أن تجعلنا فتنة للعالمين قال تلميخاً : فما تريدون ؟ قالوا : ادع الله جلّ ذكره وندعوه معك حتى يقبض أرواحنا، فرفعوا أيديهم، فأمر الله بقبض أرواحهم، وطمس الله باب الكهف على الناس، فأقبل الملكان يطوفان على باب الكهف سبعة أيام لا يجدان للكهف باباً . فقال الملك المسلم : ماتوا على ديننا أبنى على باب الكهف مسجداً، وقال اليهودي : لإبل ماتوا على ديني أبنى على باب الكهف كنيسة فافتتلا، فغلب المسلم وبنى مسجداً عليه . يا يهوديّ أيوافق هذا ما في توراتكم قال : ما زدت حرفاً ولا نقصت حرفاً وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

أقول: إن هذه القصة التفصيلية تبرز بوضوح أحقية إمامة أمير المؤمنين عليه السلام على الثلاثة الذين اغتصبوا هذا الحق منه بالقهر والغلبة والحيلة وهم يعلمون علم اليقين بزيغ خلافتهم وحكمهم المزعوم بعد الحجج والبراهين التي صدرت من رسول الله عليه السلام في مواضع كثيرة الموجبة للشهادة لعلي عليه السلام بإمرة وخلافة المسلمين، منها عامة، ومنها خاصة من قبيل ما ورد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : [صلى النبي عليه السلام ذات ليلة، ثم توجه إلى البنية، فدعا أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً عليه السلام فقال : امضوا حتى تأتوا أصحاب الكهف وتقرؤهم مني السلام، وتقدم أنت يا أبا بكر فأنك أسن القوم، ثم أنت يا عمر، ثم أنت يا عثمان،

فان أجابوا واحداً منكم، وإلا فتقدّم أنت يا عليّ كن آخرهم، ثم أمر الريح فحملتهم حتّى وضعتهم على باب الكهف، فتقدّم أبو بكر فسلمّ فيم يردّوا عليه فتنحّى، فتقدّم عمر فسلمّ فلم يردّوا عليه وتقدّم عثمان فسلمّ فلم يردّوا عليه . فتقدّم عليّ ﷺ وقال : السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل الكهف الذين آمنوا برّبهم وزادهم هدى وربط على قلوبهم، أنا رسول رسول الله إليكم فقالوا : مرحباً برسول الله وبرسوله، وعليك السّلام يا وصيّ رسول الله ورحمة الله وبركاته . قال : فكيف علمتم أنّي وصيّ النّبي ﷺ ؟ فقالوا : إنّهُ ضرب على آذاننا أن لا نكلّم إلاّ نبياً أو وصيّ نبيّ، فكيف تركت رسول الله ﷺ وكيف حشمه وكيف حاله ؟ وبالغوا في السّؤال، وقالوا : خبر أصحابك هؤلاء إنّنا لا نكلّم إلاّ نبياً، أو وصيّ نبيّ، فقال لهم : أسمعتم ما يقولون ؟ قالوا : نعم، قال : فاشهدوا ثمّ حوّلوا وجوههم قبل المدينة فحملتهم الريح حتّى وضعتهم بين يدي رسول الله ﷺ فأخبره بالذي كان . فقال لهم النّبي ﷺ : قد رأيتم وسمعتم فاشهدوا، قالوا : نعم فانصرف النّبي ﷺ إلى منزله، وقال لهم : احفظوا شهادتكم . [(108)] .

نبوة محمد ﷺ

(108) بحار الأنوار (14 / 420 — 421) ، برقم : (2) وإثبات الهداة (2 / 130) ، برقم : (564) .

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان. وقد ورد عنه □: [إذا بلغ نسي إلى عدنان فأمسكوا]. فأجداده من أبناء نبي الله إسماعيل ابن النبي خليل الله إبراهيم □. قال سبحانه: [إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ] ⁽¹⁰⁹⁾. وفي حياته الشريفة محاور عدة، ومنها:

الخور الأول: ولاته الشريفة:

إن لولادة سيد الكائنات والمخلوقات محمد □ آثاراً تكوينية إعجازية عظيمة، وهي على أشكال ومنها:

الشكل الأول: في نوره ونسبه:

فما عليه إجماع العلماء هو إسلام جميع من استقر النبي □ في رحمه وصلبه، وأن نوره الشريف لم يستقر في صلب ورحم من كان مشركاً قط، وذلك تفسير قوله تعالى: [وتقلبك في الساجدين]. وكان نوره الطاهر يُرى عند جميع أجداده الذين كانوا سادة لمكة، وسدنة لبیت الكعبة وقع عليهم شرفية إعمارها وترميمها، بل كان أجداد النبي □ جميعهم موحدین ومتدينين بدين الحنفية الإبراهيمية وحاملين لآثار الأنبياء ووصاياهم واحداً بعد الآخر إلى أن بلغ الأمر

(109) آل عمران: 68.

إلى عبد المطلب الذي أوصى بأبي طالب الذي تكفل نبينا عليهم سلام الله أجمعين.

وأما هاشم وعبد المطلب فكانا يعرفان بالبدريين لحسنهما وجماهما خلقاً وخلقاً، وعندما وُلد عبد الله الأب المباشر لنبينا ﷺ عرف أكثر أحبار اليهود والقسيسين النصارى أنه أب لآخر الأنبياء وخاتمهم من خلال علامة كانت عندهم وهي أنه كانت عندهم قطعة نسيج من الصوف الأبيض ملونة بدم النبي يحيى بن زكريا ﷺ، وكان إذا انقلب هذا الدم طرياً كان علامة على أن أبا نبي آخر الزمان قد ولد، وهذا ما حصل في ولادة عبد الله أبي محمد X. وكان عبد الله إذا جلس في ظل شجرة يابسة اخضرت وأينعت، وإذا فارقها عادت إلى ييوستها، وكان في جلوسه على الأرض كثيراً ما يسمع نداء يقول له: [يا حامل نور محمد عليك السلام].

وأما آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ فقد قالت: "عندما سقط ابني اتقى الأرض بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر فيها، ثم خرج مني نور أضاء كل شيء، فسمعت في الضوء قائلاً يقول: [إنك قد ولدت سيد الناس فسميه محمداً]. وكان يقول إذا أكل: [بسم الله رب محمد]، وفي آخر ما يفرغ من أكله وشربه يقول: [الحمد لله رب محمد].

وقد روي عنه ﷺ قوله: [أنا ابن العواتك من قريش]، والعواتك جمع عاتكة معناها المتضمخة بالطيب، والعواتك ثلاث نسوة كن من أمهات رسول الله ﷺ؛ عاتكة بنت هلال وهي أم عبد مناف بن قصي، وعاتكة بنت مروة

وهي أم هاشم بن عبد مناف، وعاتكة بنت الأوقص وهي أم وهب أبي آمنة بنت وهب.

وقد روي في قصة زواج والدي رسول الله ﷺ: أن عبد الله بن عبد المطلب لما ترعرع ركب يوماً ليصيد، وقد نزل بالبطحاء قوم من اليهود قدموا ليهلكوا والد محمد ﷺ، وكان وهب بن عبد مناف ابن زهرة والد آمنة في ذلك الصوب يصيد، وقد رأى عبد الله وقد صفّ به اليهود ليقتلوه، فقصد أن يدفعهم عنه، وإذا بكثير من الملائكة معهم الأسلحة طردوا عنه اليهود، فعجب من ذلك وإنصرف ودخل على عبد المطلب، وقال: "أزوج بنتي آمنة من محمد".

وأما حليلة السعدية مرضعة النبي ﷺ فكانت تقول: فما زال من خيمتي نور ممدود بين السماء والأرض، ولقد كان الناس يصيبهم الحر والبرد فما أصابني حر ولا برد منذ كان عندي، ولقد هممت يوماً أن أغسل رأسه فجئته وقد غسل رأسه ودهن وطيب، وما غسلت له ثوباً قط، وكلما هممت بغسل ثوبه سبقت إليه فوجدت عليه ثوباً غيره جديداً. قالت: ما كنت أخرج لمحمد ثديي إلا وسمعت له نغمة، ولا شرب قط إلا وسمعتة ينطق بشيء، فتعجبت منه حتى إذا نطق وعقد.

الشكل الثاني: في تساقط النجوم ورجم الشياطين:

حيث روي عن أمير المؤمنين ﷺ قوله للنصارى الذين حاولوا الاحتجاج بمعجزة عيسى ﷺ وكلامه في المهد: [وتضطرب النجوم وتتساقط النجوم

علامات لميلاده، ولقد هم إبليس بالظعن في السماء لما رأى من الأعاجيب في تلك الليلة، وكان له مقعد في السماء الثالثة، والشياطين يسترقون السمع، فلما رأوا الأعاجيب أرادوا أن يسترقوا السمع، فإذا هم قد حجبوا من السماوات كلها، ورموا بالشهب دلالة لنبوته [١].

الشكل الثالث: في سلام الجمادات والنباتات والملائكة عليه:

لما بلغ رسول الله ﷺ سنتين أراد الخروج إلى الرعاء لينظر إلى جمال الطبيعة الإلهية وروعة ما خلقه الجليل تبارك وتعالى، فحدث ما لا يحدث من المعجزات الربانية عند خروجه وعلى يمينه عبد الله بن الحارث، وعن يساره ضمرة، وقرة قدومه، والنبي ﷺ بينهم كالبدر بين النجوم، فسلمت عليه الجمادات والنباتات والملائكة؛ أما الجمادات والنباتات: فما بقي حجر ولا مدر إلا وهم ينادون: السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا حامد، السلام عليك يا محمود، السلام عليك يا صاحب القول العدل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، طوبى لمن آمن بك، والويل لمن كفر بك، ورد عليك حرفاً تأتي به من عند ربك، والنبي ﷺ يرد ﷺ، وقد تحير الذين معه مما يرون من العجائب.

وأما الملائكة: فنزل منهم في ذلك الموضع جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ودردائيل، فقال جبرئيل: السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا حامد، السلام عليك يا محمود، السلام عليك يا طه، السلام يا يس، السلام عليك يا أيها المدثر.. طوبى لمن آمن بك، والويل لمن كفر بك، ورد

عليك حرفاً مما تأتي به من عند ربك، والنبي ﷺ يرد ﷻ، فقال لهم: [من أنتم؟] قالوا: نحن عباد الله، وقعدوا حوله، فقال النبي ﷺ: [كلنا عباد الله]، وكان مع جبرئيل طست من ياقوت أحمر، ومع ميكائيل إبريق من ياقوت أخضر وفي الإبريق ماء من الجنة، فتقدم جبرئيل ﷻ ووضع فمه على فم محمد ﷺ إلى أن ذهبت ثلاث ساعات من النهار، ثم قال: يا محمد اعلم وافهم ما بينته لك، قال: [نعم إن شاء الله تعالى]، وقد ملا جوفه علماً وفهماً وحكماً وبرهاناً، وزاد الله تعالى في نور وجهه سبعة وسبعين ضعفاً، فلم يتهياً لأحد أن يملأ بصره من رسول الله ﷺ، فقال له جبرائيل ﷻ: لا تخف يا محمد، فقال له النبي ﷺ: [ومثلي من يخاف؟ وعزة ربي وجلاله وجوده وكرمه وارتفاعه في علو مكانه لو علمت شيئاً دون جلال عظمتي لقلت: لم أعرف ربي قط]، قال: ونزل جبرائيل إلى ميكائيل وقال: "حق لدينا أن يتخذ مثل هذا حبیباً، ويجعله سيد ولد آدم".

الشكل الرابع: في استجابة الحيوانات له:

حيث روي أنه كان لرسول الله ﷺ إخوة من الرضاعة من حليلة السعدية يخرجون بالنهار إلى الرعاية ويعودون بالليل إلى منازلهم، فرجعوا ذات ليلة مغموين، فلما دخلوا الدار قالت لهم حليلة: مالي أراكم مغموين؟ قالوا: يا أمنا إن في هذا اليوم جاء ذئب وأخذ شاتين من شياهنا وذهب بهما، فقالت

حليمة: الخلف والخير على الله تعالى، فسمع النبي ﷺ قولهم، فقال لهم: [لا عليكم، فإني أسترجع الشاتين من الذئب بمشية الله تعالى].

فقال ضمرة: واعجباً منك يا أخي قد أخذهما بالأمس، فكيف تسترجعهما باليوم؟ فقال النبي ﷺ: [إنه صغير في قدرة الله تعالى]، فلما أصبحوا قام ضمرة وأخذ رسول الله على كتفه فقال النبي ﷺ: [مري إلى الموضع الذي أخذ الذئب فيه الشاتين].

قال: فذهب برسول الله ﷺ إلى ذلك الموضع، فعند ذلك نزل النبي ﷺ عن كتف أخيه ضمرة وسجد سجدة لله تعالى وقال: [إلهي وسيدي ومولاي تعلم حق حليمة علي، وقد تعدى ذئب على مواشيها، فأسألك أن تلزم الذئب برد المواشى إلي]، قال: فما استتم دعائه حتى أوحى الله تعالى إلى الذئب فنادى مناد: "يا أيها الذئب احذر الله وبأسه وعقوبته، واحفظ الشاتين اللتين أخذتهما حتى تردهما على خير الأنبياء والمرسلين، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ".

فلما سمع الذئب النداء تحير ودهش، ووكل بهما راعياً يرعاهما إلى الصباح، فقام الذئب وردهما، وقبل قدم النبي ﷺ، وقال: "يا محمد اعذرني فإني لم أعلم أنهما لك"، فأخذ ضمرة الشاتين، ولم ينقص منهما شيء، فقال ضمرة: يا محمد ما أعجب شأنك؟ وأنفذ أمرك؟ فبلغ ذلك عبد المطلب فأمرهم بكتمانه فكتموه مخافة أن يحسده قريش.

الخور الثاني: خصائصه ومعجزاته وفضائله وكراماته:

إن ما سنذكره من خصائص وفضائل ومميزات لرسول الله ﷺ يعني أفضلية وأكملية وأشرفيته ﷺ على المخلوقات كافة بما فيهم الأنبياء والرسل سلام الله عليهم أجمعين، بل أنه ورد النهي من قبل أئمتنا المعصومين ﷺ عن تفضيل أحد على رسول الله ﷺ، كما في رواية الطيالسي عن فضيل بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: [اتقوا الله، وعظموا الله ورسوله، ولا تفضلوا على رسول الله ﷺ أحداً، فإن الله تبارك وتعالى قد فضله].

ويمكن تقسيم الخصائص والفضائل والمميزات التي اختص بها رسول الله ﷺ إلى قسمين باعتبار الخصائص والفضائل المختصة بالأحكام الشرعية، والخصائص والفضائل المختصة بغير الأحكام:

القسم الأول: الخصائص والفضائل المختصة بالأحكام الشرعية، وهي على أنواع ثلاثة:

النوع الأول: الأحكام الواجبة: أي الأحكام الشرعية التي يجب الإتيان

بها، فقد أوجب الله سبحانه أموراً على رسوله الكريم، ومن هذه الأمور:

أولاً: السواك، الوتر، الأضحية، قيام الليل: فهنا أمور أربعة واجبة

جمعناها لأنه قد تم الجمع بين بعض أفرادها في الرواية، فقد روي عنه ﷺ أنه قال:

[ثلاث كتب علي، ولم يكتب عليكم: السواك، والوتر، والأضحية. وفي

حديث آخر: [كتب علي الوتر، ولم يكتب عليكم، كتب علي السواك، ولم

يكتب عليكم، وكتبت علي الأضحية، ولم تكتب عليكم]. وروي عنه □: [ثلاث علي فريضة ولكم سنة: الوتر، والسواك، وقيام الليل].

ثانياً: إنكار المنكر: أي يجب على رسول الله □ إنكار الأمور المنكرة والمحرمة في الشريعة الإسلامية إذا رثاها وإظهار الإنكار، ودليله؛ أن إقراره □ للمنكر يوجب جوازه، وهذا لا يجوز، لأن الله تعالى ضمن له النصر والإظهار.

ثالثاً: تخيير زوجاته: أي يجب على رسول الله □ أن يخير نسائه وزوجاته بين مفارقتها، ومصاحبته بقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً]. ودليله؛ أن النبي □ أثر لنفسه الفقر والصبر عليه، فأمر بتخيير نسائه بين مفارقتها واختيار زينة الدنيا، وبين اختياره والصبر على ضر الفقر، لئلا يكون مكرهاً لهن على الضر والفقر.

وأما عدد زوجاته □، فهو محل خلاف لكنه تعدى الأربعة زوجات، فقد دخل بثلاثة عشر، وتوفت واحدة وطلق واحدة، فبقيت عنده تسعة زوجات هن أمهات المؤمنين ويحرم نكاحهن من بعده حرمة مؤبدة، وترتيبهن: تزوج بمكة أولاً بـ(خديجة بنت خويلد) رضوان الله تعالى عليها، والأصح أنها كانت عذراء، وأما أن رقية وزينب فكانتا ابنتي هالة اختها، وولدت منه الزهراء فاطمة □، فلما ماتت خديجة بعدها بسنة تزوج بـ(سودة بنت زمعة)، ثم تزوج بـ(عائشة بنت أبي بكر). وبعدها (أم سلمة واسمها هند بنت أمية المخزومية) تزوجها بالمدينة، وهي بنت عمته عاتكة بنت عبد المطلب. ثم (حفصة بنت عمر). ثم (زينب

بنت جحش الأسدية) وهي ابنة عمته اميمة بنت عبد المطلب، وكانت عند زيد بن حارثة التي ذكر خبرها في القرآن: [فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لَكِي لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا]. ثم (جويرية بنت الحارث بن ضرار). و(أم حبيبة بنت أبي سفيان واسمها رملة)، و(صفية بنت حيي بن أخطب النضري)، و(فاطمة بنت الضحاك الكلابية). و(ميمونة بنت الحارث الهلالية)، خالة ابن عباس التي طلقها بعد أن استعادت منه.

النوع الثاني: المحرمة: أي الأحكام الشرعية التي يحرم الإتيان بها ويجب تركها، فقد حرم الله سبحانه أموراً على رسوله الكريم، ومن هذه الأمور:

أولاً: الزكاة الواجبة: أي يحرم على رسول الله ﷺ أن يأخذ الزكاة الواجبة والمفروضة في الإسلام، وأبدله تعالى بالفداء الذي يؤخذ على سبيل القهر والغلبة. ودليله؛ أن ما يؤخذ من الزكاة معبر عنه في الروايات بأنه أوساخ أموال الناس فمن أجل صيانة منصب النبي ﷺ من هذه الأوساخ حرم الله سبحانه على نبيه الأخذ، فإن ما يعطيه الناس من زكواتهم غالباً ما يكون فيه الترحم فيشعر ذلك بذلة الآخذ، بينما ما يؤخذ من الفداء غالباً ما يكون فيه العزة والغلبة اللائقة بنبيه الكريم الذي كتب الله تعالى له العزة والغلبة، مع ضمنية أن الزكاة الواجبة نوع من أنواع الصدقات، والصدقة محرمة عليه وعلى أهل بيته عليه وﷺ، لقوله ﷺ: [إنا أهل بيت لا تحل لنا الصدقة].

ثانياً: خائنة الأعين: أي يحرم على رسول الله ﷺ خائنة الأعين بمعنى أن يظهر بالإيماء أو الإشارة أو الكناية عكس ما يستبطن في الأمور المباحة. ودليله قوله ﷺ: [ما كان لني أن يكون له خائنة الأعين].

ثالثاً: المنة في العطاء: أي يحرم على رسول الله ﷺ أن إذا أعطى شيئاً أن يريد أكثر مما أعطاهم فيأخذ الزيادة على ما أعطاه. ودليله قوله تعالى: [ولا تمنن تستكثر].

النوع الثالث: الأحكام الجائزة: أي الأحكام الشرعية التي يجوز الإتيان بها بمعنى ثبوت التخيير بين فعلها وتركها، فقد أجاز الله سبحانه أموراً على رسوله الكريم، ومن هذه الأمور:

أولاً: صوم الوصال: أي يجوز لرسول الله ﷺ الوصال، بمعنى أن يصوم الليل مع النهار جمعاً. ودليله أنه لما نهي النبي ﷺ أمته عن الوصال قيل له: إنك تواصل، فقال: [إني لست كأحدكم، إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني].

ثانياً: الغنيمة: أي يجوز لرسول الله ﷺ أن يختار ما يشاء من غنائم الحرب قبل قسمتها التي كان المسلمون يغنومونها في الحروب، فله ﷺ أن يصطفي ما يشاء من الغنائم قبل قسمتها، وتسمى الغنيمة المأخوذة بالصفية، كما في زوجته صفية بنت يحيى عندما اصطفاها فاعتقها وتزوجها.

ثالثاً: الإحرام: أي يجوز لرسول الله ﷺ أن يدخل الحرم المكي في من دون إحرام، بينما يجب على الداخل إلى مكة المكرمة الإحرام بمعنى مراعاة واجبات

الإحرام, كما في لبس الثوبين والتلبية وترك محرمات الإحرام المذكورة بشكل تفصيلي في الفقه.

القسم الثاني: الخصائص والفضائل المختصة بغير الأحكام الشرعية, وهي على أنواع ثلاثة أيضاً:

النوع الأول: النبوة: أي أن رسول الله صلى الله تعالى كان له في باب النبوة خصائص وفضائل وكرامات لم تكن لغيره, ومنها: أنه خاتم الأنبياء والرسل, وذلك لقوله تعالى: [مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا].

ومنها: أنه □ أعطى جوامع الكلم, وهو القرآن الكريم الذي كان معجزته الخالدة الدائمة التي لم تقبل التحريف أو التبديل بخلاف, وقد تضمن القرآن شريعة الإسلام التي نسخت الشرائع السابقة, بخلاف كتب الأنبياء والرسل وشرائعهم, ويدل عليه رواية عثمان بن عيسى عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله □: قول الله عز وجل: [فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل] فقال: [نوح وإبراهيم وموسى وعيسى □ ومحمد □], قلت: كيف صاروا أولو العزم؟ قال: [لأن نوحاً بعث بكتاب وشريعة, وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهجه حتى جاء إبراهيم □ بالصحف وبعزيمة ترك كتاب نوح □ لا كفرا به, فكل نبي جاء بعد إبراهيم □ أخذ بشريعة إبراهيم □ ومنهجه وبالصحف حتى جاء موسى □ بالتوراة وشريعته ومنهجه وبعزيمة ترك الصحف, فكل نبي جاء بعد موسى □ أخذ بالتوراة وشريعته ومنهجه,

حتى جاء المسيح □ بالإنجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى □ ومنهاجه، فكل
نبي جاء بعد المسيح □ أخذ بشريعته ومنهاجه حتى جاء محمد □ فجاء
بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى
يوم القيامة].

ومنها: أن رسول □ عترته وأهل بيته قد فرض الله تعالى محبتهم : [قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى] , وعصمهم وطهرهم من الرجس: [إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا] . وأن وصيه خير
الأوصياء: [إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ] , وأن أولاد بناته ينسبون إليه، وأولاد بنات غيره لا
ينسبون إليه، لقوله □: [كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سبي
ونسي].

ومنها: أن أمة رسول الله □ خير الأمم، لقوله تعالى: [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ
أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ] تكرمة
وتشريفاً له □.

ومنها: أن رسول الله □ قد فضل بأنه جعلت له الأرض مسجداً وطهوراً
يقيم بها ويصلي عليها، وأن كل عضو منه □ له فضل وكرامة ومعجزة؛ ريقه،
فكان أطيب من المسك. ظله، فكان لا ظل له، لأن الظل من الظلمة، وكان
إذا وقف في الشمس والقمر والمصباح نوره يغلب أنوارها. قامته، فكان كلما

مشى مع أحد كان أطول منه برأس، وإن كان طويلاً. رأسه، فكان يظله سحابة من الشمس، وتسير لمسيره، وتركذ لركوده، ولا يطير الطير فوقه. عينيه، فكان يبصر من ورائه كما يبصر من أمامه، ويرى من خلفه كما يرى من قدامه. أنفه، فكان لم يشم به منذ خلقه الله تعالى رائحة كريهة. فمه، فكان يمج في الكوز والبئر فيجدون له رائحة أطيب من المسك. لسانه، فكان ينطق بلغات كثيرة. أذنيه، فكان يسمع في منامه كما يسمع في انتباهه. صدره، فلم يكن على وجه الأرض أعلم منه. ظهره: كان بين كتفيه خاتم النبوة، كلما أبداه غطى نوره نور الشمس، مكتوب عليه: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، توجه حيث شئت فأنت منصور ". يده، فكان قد فار الماء من بين أصابعه، وسبح الحصى في كفه. ركبته: ولد مسروراً مختوناً، وما احتلم قط، لان ذلك من الشيطان، وكان له شهوة أربعين نبياً. جسده، فكان ينبت على أرواح الجنة، فما يخرج منه شيء إلا ابتلعت الأرض، وكان يتبرك بدمه وبوله. فخذ، فكل دابة ركبها النبي ﷺ بقيت على سننها لا تهرم قط. رجله، فكلما أرسلهما في بئر ماؤه أجاج فعذب.

النوع الثاني: خطاب القرآن: أي أن رسول الله ﷺ قد ناداه الله تعالى في قرآنه الكريم بألقابه الشريفة ولم يذكره باسمه الصريح، كما في: [يا أيها النبي، يا أيها الرسول، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر]، نعم ذكره باسمه الصريح في مواضع أربعة جميعها مقرونة بلقب تشريفي وتكرمي له ﷺ: فقال عز وجل: [محمد رسول الله]، وقال تعالى: [مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ

وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ]، وقال سبحانه: [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ]. وكان يحرم أن ينادى باسمه فيقول: يا محمد، يا أحمد، ولكن يقول: "يا نبي الله، يا رسول الله، يا خيرة الله"، إلى غير ذلك من صفاته الجليلة. كما أن الله تعالى وتقدس قد أقسم بحياة نبينا ﷺ، كما في قول تعالى شأنه: [لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ]. بينما باقى الأنبياء والرسول قد نادهم سبحانه وتعالى بأسمائهم الصريحة مرات ومرات ولم يقسم بحياتهم، كما في قوله سبحانه: [إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا].

كما أن في القرآن مقامات للنبي ﷺ كثيرة، ومنها: أن رسول الله ﷺ أحسن الخلائق: [الذي خلقك فسواك]، وأجلهم: [لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم]، وأفضلهم: [وكان فضل الله عليك كبيراً]، وأعزهم: [لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم]، وأهيب الناس لنصرته بالرعب: [سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب]، وأكملهم سعادة: [عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً]، وأقربهم منزلة من رب العزة والجلال: [ثم دنى فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى]، وأقواهم نصرة: [وينصرك الله نصراً عزيزاً] وأصحهم وأصدقهم رؤيا: [لقد صدق الله رسوله الرؤيا]، وأكملهم رسالة: [الله نزل أحسن

الحديث], وأحسنهم دعوة: [فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه], وأعصمهم عصمة: [والله يعصمك من الناس] وأبعدهم صيتاً: [ورفعنا لك ذكرك]. وأحسنهم خلقاً وأخلاقاً: [وإنك لعلی خلق عظيم].

النوع الثالث: الآخرة: أي أن رسول الله ﷺ له في باب الآخرة من الخصائص والفضائل والكرامات ما لم تكن لأحد, ومنها: أنه سيد ولد آدم, وأول من تنشق عنه الأرض, وأول من يدخل الجنة, وأول شافع ومشفع حيث يشفع في أهل الكبائر, لقوله ﷺ: [ذخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي], وأول من يقرع باب الجنة, كما في قوله: [آتي يوم القيامة باب الجنة فأستفتح, فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول: محمد, فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك], وأن له لواء الحمد والحوض والكوثر.

المحور الثالث: سيرته الشريفة:

إن سيرة رسول الله صلى الله عليه بالنسبة لمحل سكناه قد مرت بمرحلتين:
الأولى: مرحلة مسقط رأسه الشريف ومحل ولادته الميمونة وكانت في مكة المكرمة.

الثانية: مرحلة هجرته المباركة ومحل تأسيس دولة الإسلام النظامية وكانت في يثرب التي تشرفت بأن تكون مدينته المنورة.

وأما أول الحوادث والوقائع التي حصلت في مكة فهي:

الإعلان عن الإسلام:

قال سبحانه: [فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ] عندما نزل قوله تعالى صعد رسول الله ﷺ على جبل الصفا ونادى: [يا صباحاه]، فاجتمعت إليه قريش فقالوا له: ما لك ؟ فقال: [أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني ؟] قالوا: بلى، قال: [فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد]، وفي رواية: [قولوا لا إله إلا الله تفلحوا]، فقال أبو لهب: تباً لك لهذا دعوتنا جميعاً ؟ فأنزل الله هذه السورة: " تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ " . ثم ابتداء بعشيرته الأقربين عندما أمره تعالى بإنذار الأقربين منهم: [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ]، فكذبه أبو لهب أيضاً وأنكر عليه باقي أفراد العشيرة الذين كان عددهم أربعين رجلاً، وذلك قوله ﷺ في بدر مخاطباً عشيرته: [بئس عشيرة الرجل كنتم لنبيكم، كذبتُموني وصدقتني الناس، وأخرجتُموني وآواني الناس، وقاتلتُموني ونصرتني الناس، ثم قال: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً]، ثم قال: [إنهم يسمعون ما أقول]. إلا أمير المؤمنين ﷺ حيث صدقه وبايعه، وذلك قوله ﷺ في جواب من سأله؛ بما ورث ابن عمك دون عمك ؟ فقال ﷺ: [يا معشر الناس - ففتحوا آذانهم واستمعوا ، فقال: - جمعنا رسول الله ﷺ بني عبد المطلب في بيت رجل منا، فدعا بمد ونصف من طعام وقدح له يقال له: الغمر، فأكلنا وشربنا وبقي الطعام

والشراب كما هو، وفينا من يأكل الجذعة، ويشرب الفرق، فقال رسول الله ﷺ: " قد ترون هذه فأياكم يباعني على أنه أخي ووارثي ووصيي ؟ "، فقمت إليه وكنت أصغر القوم وقلت: أنا، قال: " أجلس "، ثم قال ذلك ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه فيقول: " اجلس "، حتى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي]. ثم استهزئت قريش ومشركوها بدعوة رسول الله ﷺ، وكان أبرز المستهزئين خمسة؛ الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن طلائة الخزاعي، فخذ مثلاً الوليد بن المغيرة الذي كانت قريش تحكمه في أمورها ويسمونه بزينة قريش يروى؛ أن قريشاً اجتمعت في دار الندوة، فقال لهم الوليد: " إنكم ذووا أحساب وذووا أحلام، وإن العرب يأتونكم فينطلقون من عندكم على أمر مختلف، فأجمعوا أمركم على شئ واحد، ما تقولون في هذا الرجل ؟ "، قالوا: نقول: إنه شاعر، فعبس عندها، وقال: " قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر "، فقالوا: نقول: إنه كاهن، قال: " إذا يأتونه فلا يجدونه يحدث بما يحدث به الكهنة "، قالوا: نقول: إنه مجنون، قال: " إذا يأتونه فلا يجدونه مجنوناً "، قالوا: نقول: إنه ساحر، قال: " وما الساحر ؟ "، فقالوا: بشر يخبون بين المتباغضين، ويبغضون بين المتحابين، قال: " فهو ساحر "، فخرجوا فكان لا يلقي أحد منهم النبي ﷺ إلا قال: يا ساحر يا ساحر. بل كانوا يتربصون بالناس والوفود التي تفد على رسول الله ﷺ ويقولون لهم بأنه مجنون، وعندما يرونه جالساً يلتفون حوله كحلقات فيستهزئون به، ويصفرون وبطلون

ليفسدوا عبادته وصلاته. بل كانوا يرمونه ويضعون فوق ظهره سلى الشاة وقاذورتها، فاغتم رسول الله ﷺ من ذلك، فجاء إلى أبي طالب فقال: [يا عم كيف حسبي فيكم؟]. قال: وما ذاك يا ابن أخ؟ قال: إن قريشاً ألقوا على السلى، فقال لحمزة: خذ السيف، وكانت قريش جالسةً في المسجد، فجاء أبو طالب ومعه السيف، وحمزة ومعه السيف، فقال: أمر السلى على سباهم، فمن أبى فاضرب عنقه، فما تحرك أحد حتى أمر السلى على سباهم، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ وقال: يا ابن أخ هذا حسبك منا وفينا.

شعب أبي طالب

ثاني الحوادث والوقائع التي حصلت في مكة واقعة أو حادثة شعب أبي طالب: فلما قام رسول الله ﷺ بالإعلان عن دعوة الإسلام الإلهية قام مشركوا قريش إتماماً لحملة العدا والاستهزاء بمقاطعة المسلمين آنذاك وحصارهم في شعب أبي طالب على ما هو المعروف في السيرة، ولكن لهذه المقاطعة تأمل من حيث أن نفس المسلمين وأتباع نبي الإسلام هم الذين اختاروا الانعزال ومقاطعة قريش، بل يمكن القول أن الذي اختار المقاطعة ناصر رسول الله ﷺ ومجيره ومؤيده، وهو عمه أبو طالب ﷺ، الذي قال الله تعالى فيه: [وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ]، ويمكن أن نفهم لاختيار أبي طالب ﷺ هذا الحصار معنيان:

الأول: المعنى الباطني: وهو أنه قد طرق أسماعنا أن البلاء إما إضطراري الذي يحصل للإنسان من دون أي اختيار فيه كالمرض ونحوه، وإما اختياري الذي يحصل للإنسان باختياره وإرادته، ولا شك أن البلاء الإضطراري آثاراً أقوى على تكامل الإنسان وسمو نفسه، فيحتمل أن يكون ما فعله أبو طالب ﷺ من هذا القبيل حيث اختار البلاء ليزداد إيمان المسلمين برسالة الإسلام.

ولعل قائل يقول: أن الإسلام في بداية ظهوره لم يكن للمسلمين قوة معنوية لمواجهة هذا النوع من البلاءات، ولكن هذا مدفوع بعدة أجوبة، ومنها: أن ما فعله أبو طالب ﷺ كان مقدمة للأجيال اللاحقة لكي يعودهم على تحمل البلاءات الاختيارية وإن كانت المقدمات صعبة وشاقة، مضافاً إلى أن ما فعلوه كان مطابقاً للأسباب الطبيعية التي أدت بهم إلى اتخاذ مثل هذه المواقف، فإن الإنسان إذا وجد من يضيق عليه ويأذيه فيحاول أن يتعد عنه ويقاطعه وإن يستلزم ذلك عناءً وصعوبة، ويضاف إلى ذلك أن ما فعله أبو طالب كان بأمر من نبي الله ﷺ، فينقطع السؤال أصلاً، كما سيأتي في أمره أبي طالب ﷺ في صحيفة المقاطعة التي كتبها مشركوا قريش.

الثاني: المعنى الظاهري: وهو أنه إذا رجعنا إلى التاريخ وسيرة رسول الله ﷺ وجدنا ما يؤيد بل يدل على أن المقاطعة كانت من طرف المسلمين لا من طرف مشركي قريش، فعندما أعلن نبي الله ﷺ الإسلام حاربه مشركوا قريش وناصره أبو طالب وأجاره، فطلبوا منه أن يسلم إليهم محمد ﷺ ويسلموا إليه، فقال لهم: أسلم إليكم ابني لتقتلوه، وتسلموا إليكم إبنكم لأربيه؟! فحصلت

المنافرة والمشادة من الطرفين، فكتب المشركون صحيفة بينوا فيها مقاطعة بني هاشم ومن آمن بهم، فاختر أبو طالب شعباً من الشعب ليأوي فيه محمداً ﷺ، فالاختيار حينئذ من أبي طالب، بلغ ذلك أبا طالب جمع بني هاشم ودخلوا الشعب وكانوا أربعين رجلاً، فحلف لهم أبو طالب بالكعبة والحرم والركن والمقام إن شأكت محمداً ﷺ شوكة لاثني عليكم يا بني هاشم، وحصن الشعب، وكان يحرسه بالليل والنهار، فإذا جاء الليل يقوم بالسيف عليه، ورسول الله ﷺ مضطجع، ثم يقيمه ويضعه في موضع آخر، فلا يزال الليل كله هكذا، ويوكل ولده وولد أخيه به يحرسونه بالنهار فأصابهم الجهد، وكان من دخل مكة من العرب لا يجسر أن يبيع من بني هاشم شيئاً ومن باع منهم شيئاً انتهبوا ماله، وكان أبو جهل والعاص بن وائل السهمي والنضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط يخرجون إلى الطرقات التي، تدخل مكة، فمن رأوه معه ميرة نحوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً، ويحذرون إن باع شيئاً منهم أن ينهبوا ماله، وكانت خديجة رضي الله عنها لها مال كثير فأنفقته على نبي الله ﷺ في الشعب.

ويروى أن النبي ﷺ أصبح يوماً، وقال لعمه أبي طالب: [إن الصحيفة التي كتبها قريش في قطيعتنا قد بعث الله عليها دابة فلدحت كل ما فيها غير اسم الله، وكانوا قد ختموها بأربعين خاتماً من رؤساء قريش]، فقال أبو طالب: يا ابن أخي أفأصير إلى قريش فاعلمهم بذلك؟ قال: [إن شئت]، فصار أبو طالب رضي الله عنه إليهم فاستبشروا بمصيره إليهم واستقبلوه بالتعظيم والإجلال، وقالوا: "قد علمنا الآن أن رضى قومك أحب إليك مما كنت فيه،

أفتسلم إلينا محمداً ولهذا جئتنا ؟ فقال: " يا قوم قد جئتكم بخبر أخبرني به ابن أخي محمد، فانظروا في ذلك، فإن كان كما قال فاتقوا الله وارجعوا عن قطيعتنا، وإن كان بخلاف ما قال سلمته إليكم واتبعتم مرضاتكم"، قالوا: " وما الذي أخبرك ؟"، قال: " أخبرني أن الله قد بعث على صحيفتكم دابة فلحست ما فيها غير اسم الله، فحطوها فإن كان الأمر بخلاف ما قال سلمته إليكم"، فلما فتحو الصحيفة فلم يجدوا فيها شيئاً غير اسم الله فتفرقوا وهم يقولون: " سحر سحر"، وانصرف أبو طالب رضي الله عنه.

وقيل أنه قد أسلم على هذه الواقعة جمعاً كثيراً من قريش، فكان مشركوا قريش مصداقاً لقوله سبحانه: [يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ].

رحلة الطائف

ثالث الحوادث والوقائع التي حصلت في مكة واقعة أو حادثة؛ رحلة الطائف: فلما توفي أبو طالب وبعده بثلاثة أيام توفت خديجة رضوان الله تعالى عليهما في شعب أبي طالب في نفس السنة حيث سمي هذا العام بعام الحزن للحزن الشديد الذي لحق برسول الله ﷺ لفقده عمه الذي ناصره وآواه، وزوجته التي أول من آمنت به وصلت معه - كما روي ذلك - مع أمير المؤمنين وأخوه جعفر الطيار، وقد أمر أبو طالب جعفرًا أن يصلي مع نبي الله ﷺ وعلي وخديجة عندما دخل عليه في بداية البعثة، مضافاً لزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ،

فكل أولئك من السابقين في الإسلام، ففقد نبي الله ﷺ اثنين من أولئك السابقين.

فخرج بذلك رسول الله ﷺ مع بني عمومته ومن آمن به إلى مكة فقاطعته جميع القبائل، فكان نبي الله ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، كما في قبيلة كندة وكنب وحنيفة، وكان يكلم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤووه ويمنعوه، ويقول: [لا أكره أحدا منكم على شيء، من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذاك، ومن كره لم أكرهه، إنما أريد أن تحرزوني مما يراد لي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي، وحتى يقضي الله عز وجل لي ولمن صحبني بما شاء الله].

فاختار بذلك رسول الله ﷺ الرحيل إلى الطائف حيث تقطن عشيرة ثقيف في الطائف، وهي عشيرة المختار الثقفي رضوان الله تعالى عليه، فخرج وأقام بها شهراً مع مولاه زيد بن حارثة، فقد جاء عن الطبرسي برواية عداس النصراني؛ أن نبي الله ﷺ ذهب إلى ثقيف بالطائف فوجد ثلاثة نفر منهم هم سادة ثقيف يومئذ وهم إخوة: "عبد ياليل بن عمرو، وحبيب ابن عمرو، ومسعود بن عمرو"، فعرض رسول الله ﷺ عليهم نفسه وشكا إليهم البلاء وما انتهك منه قومه، فقال أحدهم: "أنا أسرق أستار الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط"، وقال الآخر: "أعجز على الله أن يرسل غيرك؟"، وقال الآخر: "والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا أبداً، والله لئن كنت نبي الله لأنت أعظم شرفاً من أن أكلمك، ولئن كنت تكذب على الله لأنت شر من أن أكلمك".

وتَهَزَّؤُوا بِهِ، وَأَفْشَوْا فِي قَوْمِهِمُ الَّذِي رَاجَعُوهُ بِهِ، فَقَعَدُوا لَهُ صَفِينَ عَلَى طَرِيقِهِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ صَفِيهِمُ كَانَ لَا يَرِفَعُ رَجْلِيهِ وَلَا يَضَعُهُمَا إِلَّا رَضَخُوهُمَا بِالْحَجَارَةِ، وَقَدْ كَانُوا أَعْدُوهُمَا حَتَّى أَدَمَوْا رَجْلِيهِ، فَخَلَصَ مِنْهُمْ وَرَجَلَاهُ تَسِيلَانِ الدَّمَاءِ بِأَبْيِ هُوَ وَأُمِّي، فَعَمِدَ إِلَى حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِهِمْ وَاسْتَظَلَّ فِي ظِلِّ حَبْلَةٍ، وَهُوَ مَكْرُوبٌ مَوْجَعٌ، فَإِذَا فِي الْحَائِطِ عَتَبَةُ بَنِ رِبْعَةَ، وَشَيْبَةُ بَنِ رِبْعَةَ، فَلَمَّا رَأَاهُمَا كَرِهَ مَكَانَهُمَا لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَدَاوَتِهِمَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

ولما رأياه أرسلًا إليه غلاماً لهما يدعى عداس وهو نصراني من أهل نينوى معه عنب، فلما جاءه عداس قال له نبي الله ﷺ: [من أي أرض أنت؟]. قال: "أنا من أهل نينوى"، فقال ﷺ: [من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى؟]. فقال له عداس: "وما يدريك من يونس بن متى؟"، فقال له رسول الله ﷺ: [أنا رسول الله، والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى]، فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس بن متى خر عداس ساجداً لله وجعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء، فلما بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا، فلما أتاهما قالَا له: "ما شأنك سجدت لمحمد، وقبلت قدميه ولم نرك فعلته بأحد منا؟"، قال: "هذا رجل صالح أخبرني بشئ عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى"، فضحكا وقالَا: "لا يفتنك عن نصرانيتك فإنه رجل خداع".

وهكذا كانت حال الطائف وعشيرة ثقيف فهم ليسوا بأسوء حالاً من مكة وما فعلته قريش برسول الله ﷺ، فبأس للظالمين والمفسدين في الأرض بدلاً

على ما اقترفته أيديهم من تكذيب وعناد وعصبية جاهلية، ولكن [كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ]، فسيأتي كيفية إسلام الأوس والخزرج التي أطفأت نار قريش وثقيف.

بيعة العقبة

رابع الحوادث والوقائع التي حصلت في مكة واقعة أو حادثة؛ **بيعة العقبة**: فلما رجع رسول الله ﷺ من رحلة الطائف قدم وفد من الخزرج إلى مكة، وكان بين الأوس والخزرج حرب قد بقوا فيها مئة وعشرين سنة وهم يتقاتلون فيما بينهم، لأن الأوس قد قتل خزرجاً وهم أخوان فظل أبنائهما يتقاتلون فيما بينهم طوال هذه المدة من دون توقف أو صلح، فحصل أن بايع الأوس والخزرج نبي الله ﷺ ببيعتين؛ "بيعة العقبة الأولى، وبيعة العقبة الثانية"، والبيعة من المبايعة على أن تكون للمبايعين الجنة على أن ينصروا رسول الله ﷺ.

أما بيعة العقبة الأولى: أتى مكة فد من الخزرج وهم اثنا عشر رجلاً منهم أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة فنزل عليه فقال له: "إنه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناك نطلب الحلف عليهم"، فقال له عتبة: "بُعِدَتْ دارنا من داركم، ولنا شغل لا نتفرغ لشيء"، قال أسعد: وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟ قال له عتبة: خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله، سفه أحمالنا وسب آلهتنا، وأفسد شباننا، وفرق جماعتنا، فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب من أوسطنا شرفاً، وأعظمنا بيتاً،

وكان أسعد وبقيت الوفد الخزرجي وجميع الاوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم: " النضير, وقريظة, وقينقاع " أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجرة بالمدينة لنقتلنكم به يا معشر العرب, فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو ؟ قال: جالس في الحجر، فلا تسمع منه ولا تكلمه فإنه ساحر يسحرك بكلامه، فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر لا بد لي أن أطوف بالبيت ؟ قال: ضع في أذنك القطن، فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه بالقطن، فطاف بالبيت ونبي الله جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجازه، فلما كان في الشوط الثاني قال أسعد في نفسه: ما أجد أجهل مني ؟ أيكون مثل هذا الحديث بمكة فلا أتعرفه حتى أرجع إلى قومي فاخبرهم، ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به، وقال لرسول الله: أنعم صباحاً، فرفع نبي الله ﷺ رأسه إليه، وقال: [قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا، تحية أهل الجنة: السلام عليكم]، فقال له أسعد: إن عهدك بهذا لقريب، إلى ما تدعو يا محمد ؟ قال: [إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأدعوكم إلى - وتلا قوله تعالى - " أن لا تشركوا به شيئاً، وبالوالدين إحساناً، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً

إلا وسعها، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون".

فلما سمع أسعد هذا قال له: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك، ولا أجد أعز منك، ومعني رجل من قومي فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك، والله يا رسول الله لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، ويبشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن يكون دارنا دار هجرتك عندنا، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقني إليك، والله ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل مما أتيت له".

ثم أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود يبشرون به، وتخبرنا بصفته، فهل فأسلم، فأسلم ذكوان، وهكذا أسلموا جميعهم، وطلبوا من نبي الله ﷺ أن يبعث معهم رجلاً يدعو إلى الإسلام ويعلمهم القرآن، فبعث معهم مصعب بن عمير، وهكذا تمت بيعة العقبة الأولى بفضل الله ورحمته.

أما بيعة العقبة الثانية: أتى وفد من الأوس والخزرج وكانوا سبعين رجلاً وامرأتين فجاءهم رسول الله ﷺ فقال لهم: [تمنعون لي جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم، وثوابكم على الله الجنة]، قالوا: نعم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما شئت، فقال: [موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالي التشريق]، فلما حجوا رجعوا إلى منى، فقال لهم نبي الله ﷺ في اليوم الثاني من أيام

التشريق: [فاحضروا دار عبد المطلب على العقبة، ولا تنبهوا نائماً وليتسلل واحد فواحد]. فلما اجتمعوا قال لهم رسول الله ﷺ: [تمنعون لي جانبي حتى أتلقوا عليكم كتاب ربي، وثوابكم على الله الجنة؟]، فقال أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبد الله بن حزام: نعم يا رسول الله، فاشتراط لنفسك ولربك. فقال نبي الله ﷺ: [تمنعوني مما تمنعون أنفسكم وتمنعون أهلي مما تمنعون أهليكم وأولادكم؟] قالوا: فما لنا على ذلك؟ قال: [الجنة، تملكون بها العرب في الدنيا، وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكاً].

فقالوا: قد رضينا، وقال أبو الهيثم بن التيهان: مالك وللكلام؟ يا رسول الله! بل دمننا بدمك، وأنفسنا بنفسك فاشتراط لربك ولنفسك ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: [أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً يكفلون عليكم بذلك، كما أخذ موسى ﷺ من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً]، فقالوا: اختر من شئت. فأشار جبرئيل إليهم، فقال: هذا نقيب، وهذا نقيب، وهذا نقيب حتى اختار تسعة من الخزرج، وثلاثة من الاوس، وهؤلاء هم النقباء من الأنصار.

فلما اجتمعوا وبايعوا نبي الله ﷺ صاح بهم إبليس: "يا معشر قريش والعرب هذا محمد والصبابة من الاوس والخزرج على جمة العقبة يبايعونه على حربكم". فأسمع أهل منى فهاجت قريش وأقبلوا بالسلاح وسمع رسول الله ﷺ النداء فقال للأنصار: [تفرقوا]، فقالوا: يا رسول الله إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيفنا فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: [لم أؤمر بذلك ولم يأذن الله لي في محاربتهم]، فقالوا: يا رسول الله فتخرج معنا، قال: أنتظر أمر الله، فجاءت

قريش على بكرة أبيها قد أخذوا السلاح، وخرج حمزة ومعه السيف فوقف على العقبة هو وعلي بن أبي طالب ؑ، فلما نظروا إلى حمزة قالوا: " ما هذا الذي اجتمعتم عليه ؟ ". قال: " ما اجتمعنا، وما ههنا أحد، والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي "، فرجعوا وغدوا إلى عبد الله بن أبي وقالوا له: قد بلغنا أن قومك بايعوا محمداً على حربنا، فحلف لهم عبد الله أنهم لم يفعلوا ولا علم له بذلك، وإنهم لم يطلعوه على أمرهم فصدقوه، وتفرقت الأنصار ورجع نبي الله ؑ إلى مكة، وهكذا تمت بفضل الله ورحمته بيعة العقبة الثانية.

الهجرة إلى الحبشة

خامس الحوادث والوقائع التي حصلت في مكة واقعة أو حادثة؛ الهجرة إلى الحبشة: فلما رأى رسول الله ؑ ما حصل له ولأصحابه من أذى مشركي قريش وعداوتهم ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد، فأمر رسول الله ؑ بالخروج إلى أرض الحبشة، وذلك في السنة الخامسة على المبعث الشريف في شهر رجب، وقال لهم: [إن بها ملكاً صالحاً لا يظلم ولا يُظلم عنده أحد، فاخرجوا إليه حتى يجعل الله عز وجل للمسلمين فرجاً].

ومقصود رسول الله ؑ من الملك الصالح هو النجاشي، واسمه " أصحمة بن أبجر "، أو " أصحم "، وبالعربية " عطية "، والنجاشي اسم للملك، كما في كسرى اسم لملك الفرس، وقيصر اسم لملك الروم. وكان هذا الملك متديناً بدين

المسيحية، وهو النصراني من أتباع المسيح عيسى بن مريم عليه وعلى أمه السلام، وكان معه قسسيون وبطارقة من المسيح، وهم عليه القوم ورؤسائهم.

فخرج من مكة إلى الحبشة الوفد النبوي سرّاً وخفّاءً عن مشركي قريش وزعمائها، وكانوا (82) رجلاً ما عدا النساء والصبيان، منهم؛ جعفر بن أبي طالب وزوجته أسماء بنت عميس، وعثمان بن عفان، والزيير بن العوام وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمان بن عوف، وأبو حذيفة بن عتبة، ومصعب بن عمير، وأبو سلمة بن عبد الاسد، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة، وحاطب بن عمرو، وسهيل بن بيضاء. وكان قائد الوفد جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه حيث خرجوا عن طريق البحر مستأجرين سفينة بنصف دينار.

فلما بلغ قريشاً خرج المسلمون مهاجرين من مكة إلى الحبشة بعثوا عمرو بن العاص من قبيلة بنو سهم، وعمارة بن الوليد من قبيلة بني مخزوم، إلى النجاشي ليرد المسلمين إليهم بقبال هدايا بعثوها إليه، وكان عمرو وعمارة متعادين، فقالت قريش: "كيف نبعث رجلين متعادين؟" فبرئت بنو مخزوم من جناية عمارة وبرئت بنو سهم من جناية عمرو بن العاص، فخرجا عن طريق البحر أيضاً بسفينة، وكان عمارة بن الوليد حسن الوجه شاباً مترفاً، فأخرج عمرو بن العاص أهله معه، فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر، فقال عمارة لعمرو بن العاص: "قل لأهلك تقبلني"، فقال عمرو: "أيجوز سبحان الله؟" فسكت عمارة، فلما انتشى عمرو، وكان على صدر السفينة فدفعه عمارة

وألقاه في البحر، فتشبث عمرو بصدر السفينة وأدركوه وأخرجوه، فوردوا على النجاشي وقد كانوا حملوا إليه هدايا.

فوصل الوفد القريشي إلى النجاشي قبل الوفد النبوي، فقال عمرو بن العاص: "أيها الملك إن قوماً منا خالفونا في ديننا، وسبوا آلهتنا، وصاروا إليك فردهم إلينا"، فبعث النجاشي إلى جعفر فجاء، ومن هنا حصلت المناظرة الكلامية بين الوفدين في محضر الملك:

فقال النجاشي لجعفر: "يا جعفر ما يقول هؤلاء؟"، فقال جعفر: "أيها الملك وما يقولون؟"، قال: النجاشي: "يسألون أن أردكم إليهم"، قال جعفر: "أيها الملك سلهم أعبيد نحن لهم؟" قال عمرو بن العاص: "لا بل أحرار كرام"، قال جعفر: "فاسألهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟" فقال عمرو: "لا مالنا عليكم ديون"، قال جعفر: "فلكم في أعناقنا دماء تطالبوننا بذحول؟" فقال عمرو: "لا"، قال جعفر: "فما تريدون منا؟ أذيتمونا فخرجنا من بلادكم"، فقال عمرو: "أيها الملك خالفونا في ديننا، وسبوا آلهتنا، وأفسدوا شباننا، وفرقوا جماعتنا، فردهم إلينا لنجمع أمرنا"، فقال جعفر: "نعم أيها الملك خالفناهم: بعث الله فينا نبياً أمرنا بخلع الأنداد، وترك الاستقسام بالازلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وحرم الظلم والجور وسفك الدماء بغير حقها، والزنا والربا والميتة والدم، وأمرنا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي.

فقال النجاشي: " بهذا بعث الله عيسى بن مريم ﷺ، يا جعفر هل تحفظ
 مما أنزل الله على نبيك شيئاً؟ قال: نعم، فقرأ عليه سورة مريم، فلما بلغ إلى
 قوله: [وَهَـزَيَ إِلَيْكَ الْجِذْعَ النَّخْلَةِ تَسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا * فَكُلْ مِنْهُ وَأَشْرَبِ
 وَقَرِّ عَيْنًا]، فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً، وقال: " هذا والله
 هو الحق "، وقال عمرو: " أيها الملك إن هذا مخالف لنا فردّه إلينا "، فرفع
 النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو، ثم قال: " اسكت، والله لئن ذكرته بسوء
 لأفقدنك نفسك "، فقام عمرو بن العاص من عنده والدماء تسيل على وجهه
 وهو يقول: " إن كان هذا كما تقول أيها الملك فإننا لا نتعرض له ".

ثم لما كان ما بين عمرو بن العاص من العداوة والبغضاء فيما بينهما أراد
 عمرو بن العاص المعروف بالمكر والخداع أراد البطش بعمارة، وذلك أنه كانت
 على رأس النجاشي وصيفة له تذب عنه، فنظرت إلى عمارة بن الوليد وكان فتى
 جميلاً فأحبته، فلما رجع عمرو بن العاص إلى منزله قال لعمارة: " لو راسلت
 جارية الملك، فراسلها فأجابته "، فقال عمرو: " قل لها: تبعث إليك من طيب
 الملك شيئاً "، فقال لها. فبعثت إليه، فأخذ عمرو من ذلك الطيب، فأدخل
 عمرو الطيب على النجاشي فقال له: " أيها الملك إن حرمة الملك عندنا
 وطاعته علينا عظيم، ويلزمنا إذا دخلنا بلاده ونأمن فيه أن لا نغشه ولا نزيهه،
 وإن صاحبي هذا الذي معي قد راسل إلى حرمتك وخدعها وبعثت إليه من
 طيبك "، ثم وضع الطيب بين يديه، فغضب النجاشي وهم بقتل عمارة، ثم
 قال: " لا يجوز قتله، فإنهم دخلوا بلادني بأمان "، فدعا النجاشي السحرة فقال

لهم: " اعملوا به شيئاً أشد عليه من القتل " فأخذوه ونفخوا في إحليله الزبيق، فصار مع الوحش يغدو ويروح، وكان لا يأنس بالناس فبعثت قريش بعد ذلك فكمنوا له في موضع حتى ورد الماء مع الوحش فأخذوه، فما زال يضطرب في أيديهم ويصيح حتى مات عمارة.

وهكذا كتب الله سبحانه للمسلمين ولمهاجري الحبشة النصر والغلبة على المشركين، فأنزلهم النجاشي في الحبشة خير منزل، وأكرمهم خير كرامة إلى أن فتح الله تعالى خيبر على يدي رسول الله ﷺ، فبعث النجاشي إلى رسول نبي ﷺ بهدايا وبعث له مارية القبطية ليتزوجها، وهي أم إبراهيم، كما بعث ثلاثين رجلاً من القسيسين فقال لهم: " انظروا إلى كلامه، وإلى مقعده ومشربه ومصلاه ".

فلما وافوا المدينة دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن، [إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ] إلى قوله: [فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ]. فلما سمعوا ذلك من نبي الله بكوا وآمنوا ورجعوا إلى النجاشي وأخبروه خبر رسول الله ﷺ، وقرؤوا عليه ما قرأ عليهم، فبكى النجاشي، وبكى القسيسون، وأسلم النجاشي فسمى ولده محمداً تيمناً باسم النبي ﷺ، ولم يظهر للحبشة إسلامه، وخافهم على نفسه، حيث أن المروي في إسلامه أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه. وكتب معه كتاباً، وجاء فيه: [بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم صاحب الحبشة، سلام عليك، إني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن

المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه فيه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالة على طاعته. وأن تتبني وتؤمن بي وبالذي جاءني فإني رسول الله، قد بعثت إليكم ابن عمي جعفر بن أبي طالب معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فاقرهم ودع التجبر، فإني أدعوك وجيرتك إلى الله تعالى، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى].

فكتب إليه النجاشي: " بسم الله الرحمن الرحيم: إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام، وقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فرب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرينا ابن عمك وأصحابه، وأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك يا رسول الله أريحا بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي، إن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، إني أشهد أن ما تقول حق".

فخرج النجاشي من بلاد الحبشة يريد النبي ﷺ، فلما عبر البحر توفي، فأنزل الله على رسوله: [لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ

تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا
مَعَ الشَّاهِدِينَ].

فلما مات نعه جبرئيل لرسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه، فقال
رسول الله ﷺ: [اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم]، قالوا: ومن
هو؟ قال: [النجاشي]، فخرج نبي الله ﷺ إلى البقيع وكشف له من المدينة إلى
أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه.

الهجرة إلى المدينة

سادس الحوادث والوقائع التي حصلت في مكة حادثة أو واقعة؛ الهجرة إلى
المدينة: فلما كانت السنة الرابعة عشر من المبعث كان رسول الله ﷺ مقيماً بمكة
لم يخرج منها، وقد كان جماعة من المسلمين قد خرجوا من مكة إلى المدينة
مهاجرين بأمر رسول الله ﷺ في ذي الحجة لما لاقوه من الأذى والتعذيب من
مشركي قريش، وكان آخر ما اجتمعت عليه قريش يوم الدار: دار الندوة،
وإبليس الملعون حاضر في صورة أعور ثقيف، وقد أجمعوا على قتل نبي الله ﷺ
ليلاً وهو نائم في فراشه على أن ينتدب من كل فخذ من قريش رجل، ثم يأخذ
كل رجل منهم سيفه، فيضربوه ضربة رجل واحد ليضيع دمه هدراً بين قبائل
قريش، وكانت قبائل عشرة، فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه، وإن طالبوا
بدمه، فقالوا: "أعطوهم ثلاث ديات، بل وعشر ديات".

فهبط جبرئيل ﷺ على رسول الله ﷺ فأنبأه بذلك، وتلا عليه آية: [وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ]، وأخبره بالليلة التي يجتمعون فيها، والساعة التي يأتون فراشه فيها، وأمره بالخروج من البيت.

ثم أن في هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة مواقف كثيرة وعديدة نحاول الإشارة إلى موقف أو حديث مبين أمير المؤمنين ﷺ وهجرته، فلما أخبر جبرئيل رسول الله ﷺ باجتماع قريش ومكرهم أخبر نبي الله ﷺ بذلك علماً سلام الله عليهم أجمعين، فقال له: [يا علي إن الروح هبط علي بهذه الآية آنفاً، يخبرني أن قريشاً اجتمعت على المكر بي وقتلي، وإنه أوحى إلي عن ربي عز وجل أن أهجر دار قومي، وأن أنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي وأنه أمرني أن آمرك بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليه أثرى، فما أنت قائل وصانع؟]، فقال علي ﷺ: [أو تسلمن بمبيتي هناك يا نبي الله؟] قال: [نعم]، فتبسم علي ﷺ ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً، شكراً لما أنبأه به رسول الله ﷺ من سلامته، فكان علي ﷺ أول من سجد لله شكراً، وأول من وضع وجهه على الأرض بعد سجده من هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ، فلما رفع رأسه قال له: [امض لما أمرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شئت أكن فيه كمسرتك واقع منه بحيث مرادك، وإن توفيقى إلا بالله].

فقال له رسول الله ﷺ: [فارقده على فراشي، واشتمل ببردي الحضرمي، ثم إني أخبرك يا علي أن الله تعالى يمتحن أوليائه على قدر إيمانهم ومنازلهم من

دينه، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك يا بن أم وامتحنني فيك بمثل ما امتحنه خليله إبراهيم ؑ والذبيح إسماعيل ؑ، فصبراً صبراً، فإن رحمة الله قريب من المحسنين، ثم ضمه النبي ؑ إلى صدره وبكى إليه وجداً به، وبكى علي ؑ جشعاً لفراق رسول الله ؑ.

ثم أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى جبرئيل وميكائيل في ليلة المبيت: [أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بحياته؟]، فاختر كل منهما الحياة وأحباها، فأوحى الله تعالى إليهما: [أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب ؑ، آخيت بينه وبين محمد، فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه]، فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجله، وجبرئيل ؑ ينادي: [بخ بخ، من مثلك يا بن أبي طالب؟ يباهي الله بك الملائكة]، فأنزل الله عز وجل قوله: [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ].

فلما جاء الليل أقبل رجال قريش ليدخلوا على بيت رسول الله ؑ، فقال أبو لهب: " لا أدعكم أن تدخلوا عليه بالليل، فإن في الدار صبياناً ونساءً، ولا نأمن أن تقع يد خاطئة، فنحرسه الليلة، فإذا أصبحنا دخلنا عليه "، فناموا حول بيت رسول الله ؑ استجابة لرأي أبي لهب.

ثم جاء جبرئيل فأخذ بيد رسول الله ؑ فأخرجه على قريش وهم نيام وهو يقرأ عليهم: [وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ

لَا يُبْصِرُونَ]. فلما جاء الفجر هجموا على علي □، وكانت دور مكة يومئذ سوائب لا أبواب لها، فلما بصر بهم علي □ قد انتضوا السيوف وأقبلوا عليه بها يقدمهم خالد بن الوليد وثب به علي □ فختله وهمز يده، فجعل خالد يقمص قماص البكر، وإذا له رغاء فانكشف الصبح وهم في عرج الدار من خلفه، وشد عليهم علي □ بسيف خالد، فأجفلوا أمامه إجمال النعم إلى ظاهر الدار وتبصروه، فإذا علي □، قالوا: " وإنك لعلي ؟ " قال: [أنا علي]، قالوا: " فإننا لم نردك، فما فعل صاحبك ؟ " قال: [لا علم لي به]، وقد كان علم أن الله تعالى قد أنجى نبيه □ بما كان أخبره من مضيه إلى الغار واختبائه فيه، فأقبلوا على أبي لهب يضربونه، ويقولون: " أنت تخدعنا منذ الليلة، فتفرقوا في جبال مكة بحثاً عن رسول الله □. وقد قال أمير المؤمنين □ بعض الأبيات يصف فيها مبيته في فراش نبي الله □ ومقامه في الغار:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى

ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

محمد لما خاف أن يمكروا به

فوقاه ري ذو الجلال من المكر

وبت أراعيهم متى ينشروني

وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

وبات رسول الله في الغار آمناً

هناك وفي حفظ الإله وفي ستر

ثم أن رسول الله ﷺ أوصى علياً ﷺ بوصيتين بل ثلاثة: أحدهما؛ أن يرد الأمانات إلى الناس كونه عليه الصلاة والسلام كان موضع حفظ الأمانات في الجاهلية وقد عرف بالصادق الأمين. والثانية؛ أن يجلب الفواطم معه - فاطمة الزهراء، فاطمة بنت أسد، فاطمة بنت الزبير بنت عبد المطلب - ومن يرغب بالهجرة من الضعفاء. والثالثة؛ بأن يوفيه في مسجد قبا ليدخلوا المدينة معاً فيما إذا وصل إليه كتاب.

هذا وقد أدى أمير المؤمنين ﷺ جميع ما أوصى به؛ أما رد الأمانات، فوقف أمير المؤمنين ﷺ صارخاً يهتف بالابطح غدوة وعشيّاً: [من كان له قبل محمد أمانة أو ودعة فليأت فلنؤد إليه أمانته]، وقد رد جميع من كانت له أمانة أو ودعة جهراً وعياناً أما أنظار مشركي قريش لئلا يقول قائل منهم بأن محمداً ﷺ قد أدخل بأماناته وودائعهم طمعاً فيها، وكان كل ذلك بتوجيه وأمر من رسول الله ﷺ لعلمه بما تستبطن قريش من نوايا سيئة وخبيثة للطعن بأمانة نبي الله ﷺ.

وأما وصول كتاب رسول الله عليه وآله، فلما أتاه أبو واقد الليثي حاملاً إليه كتاب رسول الله ﷺ لبي وأطاع وخرج ليلاً مع الركب العلوي، وتبعهم أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله ﷺ، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فقال علي ﷺ: [أرفق بالنسوة أبا واقد ! إنهن من الضعائف]، قال: "إني أخاف أن يدركنا الطالب"، فقال علي ﷺ: [أربع عليك، فإن رسول الله ﷺ قال لي: يا علي

إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه]. ثم جعل أمير المؤمنين □ يسوق
بهن سوقاً رفيقاً وهو يرتجز ويقول:

ليس إلا الله فارفع ظنكا يكفيك رب الناس ما أهمكا

فلما شارف ضجنان لحقه سبع فوارس من قريش وثامنهم مولى الحارث
بن أمية يدعى جناحاً، فأقبل علي □ على أيمن وأبي واقد وقد تراءى القوم فقال
لهما: [أنيخا الإبل واعقلاها]، وتقدم حتى أنزل النسوة، ودنا القوم فاستقبلهم
علي □ منتضياً سيفه، فأقبلوا عليه فقالوا: " ظننت أنك يا غدار ناج بالنسوة،
ارجع لا أبا لك، قال: [فإن لم أفعل ؟] قالوا: " لترجع راعماً، أو لترجعن
بأكبرك سعراً، وأهون بك من هالك "، ودنا الفوارس من النسوة والمطايا
ليثوروها، فحال علي □ بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه، فراغ علي □ عن
ضربته، وتحتله علي □ فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مس
كائبة فرسه، فكان علي □ يشد على قدمه شد الفرس، أو الفارس على فرسه،
فشد عليهم بسيفه وهو يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدع وهرب القوم عنه، فقالوا له: " اغن عنا نفسك يا ابن أبي طالب
"، قال: [فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله □ يشرب، فمن سره أن افري
لحمه واهريق دمه فليتبني، أو فليدن مني] ثم أقبل على صاحبيه: أيمن وأبي
واقد فقال لهما: [أطلقا مطاياكما]، ثم سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان،
فقتلوهما بقدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، وفيهم أم

أُيْمَنَ مَوْلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَصَلَّى لَيْلَتَهُ تِلْكَ هُوَ وَالْفَوَاطِمُ وَيَذْكُرُونَهُ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ، فَمَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَصَلَّى عَلَيَّ ﷺ بِهَمِّ صَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ سَارَ لَوَجْهِهِ، فَجَعَلَ وَهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ مَنْزِلًا بَعْدَ مَنْزِلٍ يَعْبُدُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَرْغَبُونَ إِلَيْهِ كَذَلِكَ حَتَّى قَدَمُوا الْمَدِينَةَ، وَقَدْ نَزَلَ الْوَحْيُ بِمَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِمْ قَبْلَ قُدُومِهِمْ: [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٌ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مَّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ] فَاَلْمَقْصُودُ مِنَ الذِّكْرِ: عَلَيَّ ﷺ، وَالْأُنْثَى فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ ﷺ. ثُمَّ تَمَثَّلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ قَائِلًا: [يَا عَلِيُّ أَنْتَ أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَوَّلُهُمْ هَجْرَةً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَآخِرُهُمْ عَهْدًا بِرَسُولِهِ، لَا يَجِبُكَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِلَّا مُؤْمِنٌ قَدْ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ أَوْ كَافِرٌ].

أي موقف أو حديث غار الثور في هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، فعندما أخرج جبرئيل رسول الله ﷺ من بيته على مرأى ومسمع مشركي قريش قال له: [خذ على طريق ثور]، وهو جبل على طريق منى، له سنام وبروز كسنام الثور لا أحد يقصده كونه شديد النزال، فخرج رسول الله ﷺ قاصداً جبل الثور، فخرج معه أبو بكر وهند بن أبي هالة ودليلهم "ابن أريقط" وهو راعي من قريش دعاه رسول الله ﷺ فقال له: [أفيك مساعدة لنا] فقال: "إذن والله أحرسك وأحفظك، ولا أدل عليك، فأين تريد يا محمد؟" قال: [يثرب]، قال: "لأسلكن بك مسلماً لا يهتدي فيها أحد"، فقال له رسول الله ﷺ: ائت علياً وبشره بأن الله قد أذن لي في الهجرة فهيم لي زاداً وراحلة، وقال له أبو بكر: ائت أسماء ابنتي وقل لها: تهيمي لي زادا وراحتين، وأعلم عامر بن فهيرة أمرنا - وكان من موالى أبي بكر، وكان قد أسلم - وقل له ائتنا بالزاد والراحتين، فجاء ابن أريقط إلى علي ﷺ فأخبره بذلك، فبعث أمير المؤمنين إلى رسول الله عليه وآلهما السلام بزاد وراحلة، وبعث ابن فهيرة بزاد وراحتين، فمكث في الغار ثلاثة أيام.

والمروي عن أبي جعفر ﷺ قال: [لما صعد رسول الله ﷺ الغار طلبه علي بن أبي طالب ﷺ وخشي أن يغتاله المشركون، وكان رسول الله ﷺ على حراء، وعلي ﷺ على ثبير - وهو من جبال مكة -، فبصر به النبي ﷺ فقال: مالك يا علي؟ قال: بأبي أنت وأمي خشيت أن يغتالك المشركون فطلبتك، فقال

النبي ﷺ: ناولني يدك يا علي فزحف الجبل حتى خطا برجله إلى الجبل الآخر، ثم رجع الجبل إلى قراره].

وأما مشركوا قريش فخرجوا بحثاً عن رسول الله ﷺ، وكان فيهم رجل من خزاعة يقال له: " أبو كرز " يقفوا الآثار، فقالوا: " يا أبا كرز اليوم اليوم "، فوقف بهم على باب حجرة رسول الله ﷺ، فقال: " هذه قدم محمد، والله لأنها لاخت القدم التي في المقام "، وكان أبو بكر استقبل رسول الله ﷺ فرده معه، فقال أبو كرز: " وهذه قدم أبي قحافة أو ابنه "، ثم قال: " وههنا غير ابن أبي قحافة "، فما زال بهم حتى أوقفهم على باب الغار، ثم قال: " ما جازوا هذا المكان، إما إن يكونوا صعدوا إلى السماء، أو دخلوا تحت الأرض ".

من هنا حصلت عدة معاجز وكرامات وفضائل خصها العلي الأعلى برسوله ونبيه ﷺ، ومن هذه المعاجز ما يلي:

الأولى: الحمامة والعنكبوت: حيث دعا رسول الله ﷺ بشجرة فأثنته فأمرها أن تكون على باب الغار، وبعث الله حمامتين فكانتا على فم الغار، فلما جاء مشركوا قريش رأوا الحمامتين ونسج العنكبوت على فم الغار انصرفوا، فدعا رسول الله ﷺ للحمام، وفرض جزاءهن، وانحدرن في الحرم، ونهى عن قتل العنكبوت، وقال: [هي جند من جنود الله].

ثم أن أبي بكر قد اضطربت نفسه وتزلزلت عقيدته — إن كانت له عقيدة أو اطمئنان — وخاف خوفاً شديداً فأراد الخروج إلى مشركي قريش، فأنزل الله تعالى قوله: [ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]. أي أنزل الله تعالى سكينته على رسوله ﷺ، فرأى أبو بكر أحد المشركين يبول في باب الغار، فقال: هذا رأنا، فأجابه نبي الله ﷺ: [كلا لو رأنا ما استقبلنا بعورته، لا تخف إن الله معنا لن يصلوا إلينا]. فلا يزال اضطراب أبي بكر فلما رأى ﷺ ذلك منه ضرب ظهر الغار فانفتح منه باب إلى بحر وسفينة، فقال له: [اسكن الآن، فإنهم إن دخلوا من باب الغار خرجنا من هذا الباب وركبنا السفينة]، فسكن أبو بكر عند ذلك. وفي رواية الإمام الصادق ﷺ أنه أراه سفينة جعفر بن أبي طالب، فصدق أبو بكر على أن النبي ﷺ ساحر، وبذلك سماه الصديق.

هذا مضافاً لما في هذه المعجزة من مطبات عقائدية اختلف فيها العامة والخاصة من حيث أن العامة استدلووا بهذه الحادثة على صلاحية وأهلية أبي بكر للخلافة، وأنكر ذلك الخاصة ذلك، ومحصل ما في استدلال العامة بهذه الآية متوقف على ضم مقدمتين:

1. أن المقصود من صاحب في قوله: (لصاحبه) هو أبو بكر الذي صاحب رسول الله ﷺ بدليل ما تقدم في حديث الغار، بل أن البعض قال بأن نبي الله ﷺ كان مأموراً من قبل الله سبحانه باصطحاب أبي بكر، كما قالت الخاصة بأنه كان مأموراً بمبيت أمير المؤمنين ﷺ في فراشه.

2. أن المقصود من إنزال السكينة في قوله: (سكينته) هو عود الضمير على أبي بكر، فيكون المعنى أن الله أنزل سكينته على أبي بكر ليخفف من اضطراب رسول الله ﷺ لما أصابه - حاشاه - من الخوف والتردد.

ولكن في كلا هاتين المقدمتين مجال واسع للنقاش؛ أما المقدمة الأولى فنكتفي بالرد عليها بردين:

1. أننا لا نسلم كون المقصود من صاحب هو خصوص صاحب ذو العقيدة الصالحة بحيث يلزم من الصحبة ترتب آثارها وأحكامها بحيث إذا كان أحد الصاحبين ذا اعتقاد صحيح يستلزم صحة اعتقاد الصاحب الآخر، ويدل على ذلك إطلاق أهل اللغة والعرف على الصاحب، فإنه يصدق الصاحب مع مطلق المرافق ولو لم يكن ذا اعتقاد صحيح، بل يطلق الصاحب ليشمل غير العاقل والجمادات، كما في قوله سبحانه: [أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ] حيث أطلق على رسول الله ﷺ بأنه صاحب ذوا الاعتقادات الباطلة.

2. أننا لو سلمنا كون المقصود من الصاحب هو أبو بكر، ولكن ذلك على نحو القضية الشرطية، فهو صاحبه متى ما صدق وأدعن بالحق والتصديق لرسول الله ﷺ، والحال أن أبا بكر لم يصدق بما جاء به نبي الله ﷺ بدليل ما تقدم من المحاورة التي حصلت بينهما الدالة على أن القضية معكوسة تماماً، فالذي اضطرب وتردد هو أبو بكر لا غير.

وأما المقدمة الثانية فيرد عليها ردان:

1. أننا لا نسلم عود الضمير في (سكينته) على أبي بكر، بل الضمير راجع إلى نبي الله ﷺ، وذلك بدليل وحدة السياق القرآني المقتضي برجوع جميع الضمائر الموجودة في الآية على رسول الله ﷺ، فرجوع بعضها دون بعض يلزم منه خلاف السياق، فيثبت كون المقصود من إنزال السكينة على قلب رسوله ﷺ.
2. أن رجوع الضمير على رسول الله ﷺ تعدي كونه مروياً عن أهل بيته ﷺ، فعن زرارة: قال أبو جعفر ﷺ في تفسير الآية وكيفية احتجاج العامة بها على خلافة أبي بكر: [ألا ترى أن السكينة إنما نزلت على رسوله " وجعل كلمة الذين كفروا السفلى " فقال: هو الكلام الذي يتكلم به عتيق]. وعتيق هذا اسم من أسماء أبي بكر. بينما المروي في طرق العامة أن أبي بكر قد طلب من رسول الله ﷺ مراراً وتكراراً الهروب من مكة خوفاً من قريش، كما رواه الطبري في تاريخه، فقال ما هذا لفظه: " وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ: [لا تعجل] ".

فكيف يكون أبو بكر صاحب الصالح ومَن أنزل الله تعالى سكينته عليه وأيده بجنود الله ؟!

الثانية: سرقة: أي المعجزة الثانية التي حصلت في حديث الغار عندما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من غار ثور مر على حي سراقه بن جعشم، وقد سمع بأن قريشاً قد أعدت جائزة لمن يقبض على نبي الله ﷺ فأراد الحصول على الجائزة والتقرب إلى قريش، فلما نظر سرقة إلى رسول الله ﷺ قال: " آتخذ يداً

عند قريش "، وركب فرسه قاصداً محمداً ، فقال نبي الله ﷺ: [قد لحق بنا هذا الشيطان إن الله سيكفينا أمره].

فلما قرب قال ﷺ: [اللهم خذه] فارتطم فرسه في الأرض فصاح: " يا محمد خلص فرسي، لا سعت لك في مكروه أبداً "، وعلم أن ذلك بدعاء محمد ﷺ، فقال: [اللهم إن كان صادقاً فخلصه] فوثب الفرس.

فقال سراقه: " يا أبا القاسم ستمر برعائي وعبيدي فخذ سوطي، فكل من تمر به فخذ ما شئت فقد حكمتك في مالي "، فقال له: [لا حاجة لي في مالك]، قال: " فسلي حاجة "، قال: [رد عنا من يطلبنا من قريش]، فانصرف سراقه فاستقبله جماعة من قريش في الطلب فقال لهم: " انصرفوا عن هذا الطريق، فلم يمر فيه أحد، وأنا أكفيكم هذا الطريق، فعليكم بطريق اليمن والطائف ".

الثالثة: أم معبد: أن النبي ﷺ سار حتى نزل بجيمة أم معبد الخزاعية فطلبوا عندها قرى فقالت: " ما يحضرني شيء "، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في ناحية الخيمة قد تخلفت من الغنم لضرها، فقال: [أتأذين في حلبها؟].

قالت: " نعم ولا خير فيها "، فمسح يده على ظهرها فصارت من أسمن ما يكون من الغنم، ثم مسح يده على ظهرها فأرخت ضرعاً عجيباً، ودرت لبناً كثيراً، فقال: [يا أم معبد هاتي العس]، فشربوا جميعاً حتى رروا.

وفي رواية: فلما رأت أم معبد ذلك قالت: " يا حسن الوجه إن لي ولداً له سبع سنين وهو كقطعة لحم لا يتكلم ولا يقوم فأنته به "، فأخذ تمره وقد

بقيت في الوعاء ومضغها وجعلها في فيه فنهض في الحال ومشى وتكلم، وجعل نواها في الأرض فصارت في الحال نخلة وقد تهدل الرطب منها، وكان كذلك صيفاً وشتاءً، وأشار من الجوانب فصار ما حولها مراعي، ورحل رسول الله ﷺ. ولما توفي ﷺ لم ترطب تلك النخلة، وكانت خضراء، فلما قتل أمير المؤمنين ﷺ لم تخضر بعد وكانت باقية، فلما قتل الإمام الحسين ﷺ سال منها الدم فبيست.

فلما جاء أبو معبد ورأى ذلك فسأل وقال: "من أين لك هذا اللبن يا أم معبد، والشاة عازب حيال ولا حلوبة بالبيت؟" قالت: "لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا"، قال: "صفه لي يا أم معبد"، قالت: "رأيت رجلاً ظاهر الوضوء، أبلغ الوجه، حسن الخلق، لم تعب نخلة، ولم يزيه صقلة، وسيم قسيم، في عينيه دمع، وفي أشفاره غطفة، وفي صوته سهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثافة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما به وعلاه البهاء، أكمل الناس وأبهاء من بعيد، وأحسنه وأعلاه من قريب، حلو المنطق فصل، لا نزر ولا هذر، كأن منطق خرزات نظم يتحدثون ربعة، لا يأس من طول، ولا تقتحمه العين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إن قال نصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند".

قال أبو معبد: " يا أم معبد إن هذا الرجل هو صاحب أهل المدينة الذي هم ينتظرونه، ووالله ما أشك الآن أنه صادق في قوله: إني رسول الله، فليس هذا إلا من فعل الله "، ثم قصد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فآمن هو وأهله. فأصبح صوت بمكة عالياً يسمعه أهل مكة ولا يدرون من صاحبه يقول أحياناً عندما انقضت حادثة أم معبد، والأبيات هي:

فيا لقصي ما زوى الله عنكم	به من فعال لا يجازى وسودد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم	ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها	فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت	عليه صريحاً ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب	يرردها في مصدر ثم مورد
فأصبح القوم قد فقدوا نبيهم	وأخذوا على خيمتي أم معبد

فلما سمع بذلك حسان بن ثابت نشب يجاوب الهاتف:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم

وقدس من يسري إليهم ويقتدي

ترحل عن قوم فزالت عقولهم

وحل على قوم بنور مجدد

هداهم به بعد الضلالة ربهم

وأرشدهم من يتبع الحق يرشد

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله

ويتلو كتاب الله في كل مشهد

ليهن بني كعب مقام فتاتهم

ومقعدهما للمؤمنين بمرصد

سيرة رسول الله في المدينة المنورة

مسجد قباء

أول هذه الحوادث والوقائع حادثة أو واقعة؛ مسجد قباء، وهو أول مسجد أسسه رسول الله ﷺ، وذلك قوله سبحانه: [لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى]. حيث كان خروج نبي الله ﷺ من مكة في أول يوم من ربيع الأول وذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث النبوي الشريف، وقدم المدينة لاثني عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس، ثم رد التاريخ الهجري إلى الأول من محرم. وأول من رأى رسول الله ﷺ قادماً يهودي وقد وقف على الأُطم، وهي حصون لأهل المدينة، فلما رأى ثلاثة ركبان قال: " يا بني قيلة هذا

جُدُّكُمْ قَدْ جَاءَ"، وقيلة هذه أم للأوس والخزرج، وجدكم يعني رئيسكم أو حبيبيكم. فنزل نبي الله ﷺ بقاءً فصلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، ثم نزل على بيت عمرو بن عوف، وكان الناس يتوافدون عليه ويسألونه أن يبي لهم مسجداً، فيجيبهم أنه ينتظر أمير المؤمنين ﷺ، كما في رواية الإمام السجاد ﷺ: [لم يزل مقيماً ينتظر علياً ﷺ يصلي الخمس صلوات ركعتين ركعتين، وكان نازلاً على عمرو بن عوف، فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يقولون له: أقيم عندنا فنتخذ لك مسجداً؟ فيقول: "لا، إني أنتظر علي بن أبي طالب وقد أمرته أن يحلطني ولست مستوطناً منزلاً حتى يقدم علي، وما أسرع إن شاء الله"، فقدم علي ﷺ والنبي ﷺ في بيت عمرو بن عوف فنزل معه]. بينما أراد أبو بكر الدخول إلى المدينة، فكان يقول لرسول الله ﷺ: "انفض بنا إلى المدينة فإن القوم قد فرحوا بقدمك، وهم يستريثون إقبالك إليهم فانطلق بنا ولا تقم ههنا تنتظر علياً، فما أظنه يقدم إليك إلى شهر"، ولكن نبي الله ﷺ كان يجيبه: [كلا ما أسرع، ولست أريم - أي أزال - حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عز وجل، وأحب أهل بيتي إلي، فقد وقاني بنفسه من المشركين]. فغضب أبو بكر وفارق رسول الله ﷺ، فكان هذا أول ظهور العداوة والحسد والخلاف من أبي بكر على أمير المؤمنين ﷺ، وذلك قول الإمام السجاد ﷺ: [فغضب عند ذلك أبو بكر، وأشماز وداخله من ذلك حسد لعلي ﷺ، وكان ذلك أول عداوة بدت منه لرسول الله ﷺ في علي ﷺ، وأول خلاف على رسول الله ﷺ، فانطلق حتى دخل المدينة، وتحلف رسول الله ﷺ بقاءً حتى ينتظر علياً].

ثم أنه حصلت حادثتان في مسجد قباء:

الأولى: إسلام سلمان الفارسي:

كان سلمان الفارسي عبداً لبعض اليهود وقد كان خرج من بلاده من فارس يطلب الدين الحنيف الذي كان أهل الكتب يخبرونه به، فوقع إلى راهب من رهبان النصارى بالشام، فسأله عن ذلك وصحبه، فقال: " اطلبه بمكة فثم مخرجه واطلبه يیشرب فثم مهاجره "، فقصد سلمان يثرب فأخذه بعض الأعراب فسبوه، واشتراه رجل من اليهود، فكان يعمل في نخله، وكان في ذلك اليوم على النخلة يصرمه، فدخل على صاحبه رجل من اليهود فقال: يا فلان أشعرت أن هؤلاء المسلمة قد قدم عليهم نبيهم ؟ "، فقال سلمان: " جعلت فداك ما الذي تقول ؟ " فقال له صاحبه: " مالك وللسؤال عن هذا ؟ اقبل على عملك ".

فنزل سلمان من على النخلة وأخذ طبقاً فصير عليه من ذلك الرطب وحمله إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: [ما هذا ؟] قال: " هذه صدقة تمورنا، بلغنا أنكم قوم غرباء قدمتم هذه البلاد فأحببت أن تأكلوا من صدقاتنا ". فقال رسول الله ﷺ: [سموا وكلوا] ولم يأكل منها نبي الله ﷺ، فقال سلمان في نفسه وعقد بأصبعه: هذه واحدة يقولها بالفارسية. ثم أتاه بطبق آخر فقال له رسول الله ﷺ: [ما هذا ؟] فقال له سلمان: " رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أهديتها إليك "، فقال ﷺ: [سموا وكلوا]، وأكل ﷺ، فعقد سلمان بيده اثنتين، وقال: " هذه آيتان "، يقولها بالفارسية. ثم دار خلفه فألقى رسول الله ﷺ

عن كتفه الإزار، فنظر سلمان إلى خاتم النبوة والشامة فأقبل يقبلها، فقال له رسول الله ﷺ: [من أنت؟] قال: "أنا رجل من أهل فارس قد خرجت من بلاد ي منذ كذا وكذا، وحدثه بحديثه، فأسلم سلمان، وقال: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله". ثم بشره رسول الله ﷺ فقال له: [أبشر واصبر فإن الله سيجعل لك فرجاً من هذا اليهودي].

الثانية: الاجتماع: ثم حصل اجتماعان في مسجد قباء؛ اجتماع الأوس والخزرج، واجتماع رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليهما وآلهما السلام: أما اجتماع الأوس والخزرج، فقد اجتمعت عند نبي الله ﷺ أولاً بطون الأوس، وكانت بين الأوس والخزرج عداوة فلم يجسر الخزرج على أن يأتوا نبي الله ﷺ لما كان بينهم من الحروب، فأقبل رسول الله ﷺ يتصفح الوجوه فلا يرى أحداً من الخزرج، وقد كان قدم على بني عمرو بن عوف قبل قدوم رسول الله ﷺ ناس من المهاجرين فنزلوا فيهم. إلى أن جاء أسعد بن زرارة من الخزرج مقنعاً فسلم على رسول الله ﷺ وفرح بقدومه ثم قال: "يا رسول الله ما ظننت أن أسمع بك في مكان فأقعد عنك، إلا أن بيننا وبين إخواننا من الأوس ما تعلم، فكرهت أن آتيهم، فلما أن كان هذا الوقت لم أحتمل أن أقعد عنك"، فقال رسول الله ﷺ للأوس: [من يحيره منكم؟] فقالوا: يا رسول الله جوارنا في جوارك فأجره، قال: [لا بل يحيره بعضكم] فقال عويم بن ساعدة وسعد بن خيثمة: "نحن نحيره يا رسول الله"، فأجاروه، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ فيتحدث عنده ويصلي خلفه، فبقي

رسول الله خمسة عشر يوماً في مسجد قباء. وأما اجتماع أمير المؤمنين ورسول الله عليهما وآلهما السلام، فكان في منزل عمرو بن عوف، فاعتنقه النبي ﷺ وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وتفل في يديه ومرهما على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك حتى قتل رضى الله عنه، وبذلك الاجتماع انطلق الوفد النبوي قاصداً المدينة لتبدأ الدعوة الإسلامية لعبادة الله الواحد الأحد، وعلى الله فليتوكل المتوكلون.

المسجد النبوي

ثاني الأحداث والوقائع التي حصلت في المدينة المنورة هي بناء المسجد النبوي، فبعد دخول رسول الله ﷺ المدينة استقبله أهاليها كل منهم يعرض نفسه ليقوم بضيافة نبي الله ﷺ وأن ينزل عليهم، وكان يجيبهم: **[خلوا سبيلها فإنها مأمورة]**، وممن مر بهم:

بنو سالم: حيث مر بهم، فقالوا: "يا رسول الله هلم إلى الجدة والجدد والحلقة والمنعة". فبركت ناقته عند مسجدهم وقد كانوا بنوا مسجداً قبل قدوم نبي الله ﷺ، فنزل في مسجدهم وصلى بهم الظهر وخطبهم، وكان أول مسجد خطب فيه الجمعة، وصلى فيه متوجهاً إلى بيت المقدس، وكان الذين صلوا معه في ذلك الوقت مائة رجل، وقد نقل الطبرسي خطبته، وكان منها: **[الحمد لله الذي أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من**

يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل..].

بنو الحبلى: حيث مر بهم، وأرخت الناقة عند " عبد الله بن أبي "، فوقف عليه، وهو يقدر أنه يعرض عليه النزول عنده، فقال له عبد الله بن أبي بعد أن ثارت الغيرة وأخذ كفه ووضعته على أنفه: " يا هذا اذهب إلى الذين غروك وخدعوك وأتوا بك فانزل عليهم، ولا تغشنا في ديارنا "، فسلط الله على دور بني الحبلى الذر فخرّب دورهم فصاروا نزلاً على غيرهم.

سعد بن عباد: حيث كان جد عبد الله بن أبي يقال له: " ابن الحبلى " فقام سعد بن عباد فقال: " يا رسول الله لا يعرض في قلبك من قول هذا شئ، فإننا كنا اجتمعنا على أن نملكه علينا، وهو يرى الآن أنك قد سلبته أمراً قد كان أشرف عليه، فانزل علي يا رسول الله فانه ليس في الخرج ولا في الاوس أكثر فم بئر مني، ونحن أهل الجلد والعز، فلا تجزنا يا رسول الله.

فأرعى رسول الله ﷺ زمام ناقته ومرت تحب به حتى انتهت إلى باب المسجد الذي هو اليوم، ولم يكن مسجداً، إنما كان مربداً لتييمين من الخرج يقال لهما: " سهل وسهيل "، وكانا في حجر أسعد بن زرارة، والمريد في اللغة المكان الذي تجمع فيه الإبل أو الغنم أو التمر.

بنو النجار: فبركت الناقة على باب " أبي أيوب خالد بن زيد "، وكان من بني النجار، فنزل عنها نبي الله ﷺ، فاجتمعت جوارى من بني النجار يضربن الدفوف وقلن شعراً:

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال نبي الله ﷺ: [أتحبوني؟] فقالوا بلى يا رسول الله، قال: [أنا والله أحبكم] قالها ثلاث مرات. فوثبت أم أبي أيوب إلى الرجل فحلته فأدخلته منزلها، فلما أكثروا عليه قال رسول الله ﷺ: [أين الرجل]، فقالوا: "أم أبي أيوب قد أدخلته بيتها"، فقال ﷺ: [المرء مع رحله]، وكانت أم أبي أيوب عمياء، وقالت: "واحسرتاه ليت كانت لي عين أبصر بها وجه سيدي رسول الله ﷺ"، فسمعها رسول الله ﷺ فوضع يده الشريفة على عينها فارتدت بصيرة، وكانت هذه أول معجزة له في المدينة. كما أن لرسول الله عليه وآله قولاً آخر في بني النجار، وهو قوله لهم: [أنا نقيبكم] عندما توفي "أسعد بن زرارة" قبل الفراغ من بناء المسجد النبوي، فدفنوا في البيقيع وهو أول المدفونين وفيها، وقال المهاجرون "عثمان بن مظعون" فأتى بنو النجار وقالوا: "قد مات نقيبنا فنقب علينا".

اليهود: وجاءته اليهود، وهم أقوام ثلاثة؛ "قريظة والنضير وقينقاع"، فقالوا: "يا محمد إلى ما تدعو؟" قال: [إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأني الذي تجدوني مكتوباً في التوراة، والذي أخبركم به علماءكم أن مخرجي بمكة، ومهاجري في هذه الحرة، وأخبركم عالم منكم جاءكم من الشام فقال: تركت الخمر والخمير، وجئت إلى البؤس والتمور، لنبي يبعث في هذه الحرة مخرجه بمكة، ومهاجره ههنا، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، يركب

الحمار ويلبس الشملة، ويجتري بالكسرة، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، ويضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى، وهو الضحوك القتال، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر].

فقالوا له: " قد سمعنا ما تقول، وقد جئناك لنطلب منك الهدنة على أن لا نكون لك ولا عليك، ولا نعين عليك أحداً، ولا نتعرض لأحد من أصحابك ولا نتعرض لنا ولا لأحد من أصحابنا حتى ننظر إلى ما يصير أمرك وأمر قومك ". فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك، وكتب بينهم كتاباً ألا يعينوا على رسول الله ﷺ ولا على أحد من أصحابه بلسان ولا يد ولا بسلاح ولا بكراع في السر والعلانية لا بليل ولا بنهار، الله بذلك عليهم شهيد.

فاختلف اليهود فيما بينهم؛ أما ابن أخطب، فلما رجع إلى منزله قال له إخوته: " ما عندك ؟ " قال: " هو الذي نجده في التوراة، والذي بشرنا به علماؤنا، ولا أزال له عدواً، لان النبوة خرجت من ولد إسحاق وصارت في ولد إسماعيل، ولا نكون تبعاً لولد إسماعيل أبداً ".

وأما مخيريق وكان أكثرهم مالاً وبساتيناً، فقال لقومه: " تعلمون أنه النبي المبعوث ؟ فهلما نؤمن به ونكون قد أدركنا الكتابين "، فلم يجبه بنو قينقاع إلى ذلك، ثم أعلن إسلامه فاستشهد في معركة أحد، وقد أوصى بأن تُعطى بساتينه السبع إلى رسول الله ﷺ الذي أوقفها بعده إلى الزهراء ﷺ.

ثم أن رسول الله ﷺ قام ببناء المسجد النبوي، حيث قال لأسعد بن زرارة: [اشتر هذا المريد من أصحابه]، فقالا: " هو لرسول الله "، فقال رسول الله ﷺ:

[لا إلا بثمان]، فاشتراه بعشرة دنانير، وكان فيه ماء مستنقع، فأمر به نبي الله ﷺ فسيل، وأمر باللبن فضرب، فبناه رسول الله ﷺ فحفره في الأرض، ثم أمر المسلمون بنقل الحجارة، وكان يرى يحمل حجراً أو لبناً على ظهره أو بطنه. ثم بناه أولاً بالسعيدة، وهي البناء لبنة لبنة، ثم بناه ثانياً بالسमित وهو البناء لبنة ونصف، ثم بناه ثالثاً بالأنثى والذكر، وهو البناء لبنتين مخالفتين، ورفع حائطه قامة، وكان مؤخره مائة ذراع.

فأخذ المهاجرون والأنصار يرتجزون قائلين:

لئن قعدنا والنبي يعمل فذاك منا العمل المضضل

ورسول الله ﷺ يقول لهم: [لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم أرحم الأنصار والمهاجرة]، وفي رواية يقول:

هذا الحمال لا حمال خبير هذا أبر ربنا وأطهر

ومعناه: الحمال هو الطين أو اللبن أبر وأطهر عند الله تعالى من حمال خبير، وهو التمر والزبيب والطعام الذي يتمناه الناس.

وأما أمير المؤمنين ﷺ فيرتجز قائلًا:

لا يستوي من يعمل المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

فلما اشتد عليهم الحر قالوا: "يا رسول الله لو أظلمت عليه ظلاً"، فرفع ﷺ أساطينه في مقدم المسجد إلى ما يلي الصحن بالخشب. ثم ظلله وألقى عليه

سعف النخل فعاشوا فيه، فقالوا: " يا رسول الله لو سقفت سقفاً "، قال: [لا عريش كعريش موسى، الأمر أعجل من ذلك].

ثم بنى رسول الله ﷺ منازل ومنازل أصحابه حول المسجد، وخط لأصحابه خططاً، فبنوا فيه منازلهم، وكل شرع منه باباً إلى المسجد وخط لـ(حمزة بن عبد المطلب) رضوان الله تعالى عليه وشرع بابه إلى المسجد، وخط لـ(علي بن أبي طالب) ﷺ مثل ما خط لهم، وكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد.

فنزّل عليه جبرئيل فقال: [يا محمد إن الله يأمرك أن تأمر كل من كان له باب إلى المسجد أن يسده، ولا يكون لأحد باب إلى المسجد إلا لك ولعلي ﷺ، ويحل لعلي فيه ما يحل لك]، فغضب أصحابه وغضب حمزة وقال: " أنا عمه يأمر بسد بابي، ويترك باب ابن أخي وهو أصغر مني "، فجاءه فقال: [يا عم لا تغضب من سد بابك وترك باب علي فوالله ما أنا أمرت بذلك، ولكن الله أمر بسد أبوابكم وترك باب علي]، فقال: " يا رسول الله رضيت وسلمت لله ولرسوله ".

زواج أمير المؤمنين ﷺ

ثالث الأحداث والوقائع التي حصلت في المدينة المنورة زواج أمير المؤمنين ﷺ، حيث كانت فاطمة ﷺ عند رسول الله ﷺ، فخطبها أبو بكر فقال رسول الله: [أنتظر أمر الله]، ثم خطبها عمر فقال: مثل ذلك، فقيل لعلي ﷺ: " لم لا

تخطب فاطمة ؟ " فقال: [والله ما عندي شيء]، فقيل له: " إن رسول الله ﷺ لا يسألك شيئاً ". فجاء إلى رسول الله ﷺ فاستحى أن يسأله، فرجع ثم جاءه في اليوم الثاني فاستحى فرجع، ثم جاءه في اليوم الثالث، فقال له نبي الله ﷺ: [يا علي ألك حاجة؟] قال: [بلى يا رسول الله]، فقال: [لعلك جئت خاطباً؟] قال: [نعم يا رسول الله]، قال له رسول الله ﷺ: [هل عندك شيء يا علي؟] قال: [ما عندي يا رسول الله شيء إلا درعي]. وفي رواية أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال له: [يا أبا الحسن إني أرى أنك أتيت حاجة فقل حاجتك وأبد ما في نفسك، فكل حاجة لك عندي مقضية]. قال علي ﷺ: فقلت: [فداك أبي وأمي إنك لتعلم أنك أخذتني من عمك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي لا عقل لي، فغذيتني بغذائك، وأدبتني بأدبك، فكنت إلي أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البر والشفقة وإن الله تعالى هداي بك وعلى يديك، واستنقذني مما كان عليه آبائي وأعمامي من الحيرة والشك، وأنت والله يا رسول الله ذخري وذخيري في الدنيا والآخرة، يا رسول الله فقد أحببت مع ما شد الله من عضدي بك أن يكون لي بيت وأن يكون لي زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطباً راعباً أخطب إليك ابنتك فاطمة، فهل أنت مزوجي يا رسول الله؟]. قالت أم سلمة: فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل فرحاً وسروراً، ثم تبسم في وجه علي ﷺ فقال: [يا أبا الحسن فهل معك شيء أزوجه به؟] فقال علي ﷺ: [فداك أبي وأمي والله ما يخفى عليك

من أمري شيء، أملك سيفي، ودرعي، وناضحي وما أملك شيئاً غير هذا]، فقال له رسول الله ﷺ: [يا علي أما سيفك فلا غنا بك عنه تجاهد به في سبيل الله وتقاتل به أعداء الله، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكني قد زوجتك بالدرع ورضيت بها منك. يا أبا الحسن أبشرك؟].

قال علي ﷺ: قلت: [نعم فداك أبي وأمي بشرني فإنك لم تنزل ميمون النقية، مبارك الطائر، رشيد الأمر صلى الله عليك]. فقال لي رسول الله ﷺ: [أبشر يا أبا الحسن فإن الله عز وجل قد زوجكها في السماء من قبل أن أزوجك في الأرض، ولقد هبط علي في موضعي من قبل أن تأتيني ملك من السماء له وجوه شتى، وأجنحة شتى لم أر قبله من الملائكة مثله فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أبشر يا محمد باجتماع الشمل وطهارة النسل، فقلت: وما ذاك أيها الملك؟ فقال لي: يا محمد أنا سيئاتي الملك الموكل بإحدى قوائم العرش، سألت ربي عز وجل أن يأذن لي في بشارتك، وهذا جبرئيل ﷺ في أثري يخبرك عن ربك عز وجل بكرامة الله عز وجل]. فزوجه نبي الله ﷺ قائلاً له: [هنيئاً منزلاً حتى تحول فاطمة إليه]، فقال علي ﷺ: [يا رسول الله ما ههنا منزل إلا منزل حارثة بن النعمان]. وكان لفاطمة ﷺ يوم بنى بها أمير المؤمنين ﷺ تسع سنين، فقال نبي الله ﷺ: [والله لقد استحيينا من حارثة بن النعمان قد أخذنا عامة منازلها]، فبلغ ذلك حارثة فجاء إلى

رسول الله ﷺ فقال: " يا رسول الله أنا ومالي لله ولرسوله، والله ما شئ أحب إلي مما تأخذه والذي تأخذه أحب إلي مما تتركه "، فجراه رسول الله ﷺ خيراً. ثم ما أن كان اليوم الثالث من الزواج إلا ورسول الله ﷺ يطرق زائراً أهل بيته، فسأل الزهراء عليه و: [كيف أنت يا بنية وكيف رأيت زوجك؟] قالت له: [يا أبة خير زوج إلا أنه دخل علي نساء من قريش وقلن لي: زوجك رسول الله ﷺ من فقير لا مال له] فقال لها: [يا بنية ما أبوك بفقير ولا بملك بفقير، ولقد عرضت علي خزائن الأرض من الذهب والفضة فاخترت ما عند ربي عز وجل. يا بنية لو تعلمين ما علم أبوك لسمجت الدنيا في عينيك. والله يا بنية ما ألوتك نصحاً أن زوجتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً وأعظمهم حلاًماً. يا بنية إن الله عز وجل اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختر من أهلها رجلين: فجعل أحدهما أباك والآخر بملك، يا بنية نعم الزوج زوجك لا تعصي له أمراً]. ثم نادى رسول الله ﷺ علياً: [يا علي]، فقال: [لييك يا رسول الله]: قال: [ادخل بيتك، وألطف بزوجتك، وأرفق بها فان فاطمة بضعة مني، يؤمني ما يؤلمها ويسرني ما يسرها، أستودعكما الله وأستخلفه عليكما]. قال علي: ثم قام رسول الله ﷺ لينصرف فقالت له فاطمة: [يا أبة لا طاقة لي بخدمة البيت، فأخدمني خادماً تخدمني وتعيني على أمر البيت]، فقال لها: [يا فاطمة أولاً تريدن خيراً من الخادم؟ فقال علي: [قولي: بلى]، قالت: [يا أبة خيراً من الخادم] فقال: [تسبحين الله عز وجل، في كل يوم ثلاثاً وثلاثين مرة

وتحمدينه ثلاثا وثلاثين مرة، وتكبرينه أربعاً وثلاثين مرة فذلك مائة باللسان وألف حسنة في الميزان، يا فاطمة إنك إن قلتها في صبيحة كل يوم كفاك الله ما أهمك من أمر الدنيا والآخرة]. وهو تسبيح الزهراء □.

ثم أن أمير المؤمنين □ واصفاً نفسه وزوجته في الطاعة: [فوالله ما أغضبته، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبني، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان].

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

رابع الأحداث والوقائع التي حصلت في المدينة المنورة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، حيث آخى رسول الله □ بين المهاجرين والأنصار، وقال لهم: [تآخوا في الله أخوين أخوين] فأخذ بيد أمير المؤمنين □، فقال: [هذا أخي]، وكان عددهم تسعين رجلاً؛ خمسة وأربعين من المهاجرين، وخمسة وأربعين من الأنصار. وقيل ثلاثمائة رجلاً؛ مئة وخمسون من المهاجرين، ومئة وخمسون من الأنصار. وكان سبب المؤاخاة التوارث فيما بينهم في المهادنة الأنصاري، وبالعكس، ولما كانت معركة بدر نسخت هذه المؤاخاة عندما نزل قوله تعالى: [وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ] فرجع الإرث بين الأرحام وليس بين المهاجرين والأنصار. ولكن للمؤاخاة في المنظور الإسلامي معنى أعمق وأعظم وهو الوصاية والخلافة، كما في مؤاخاة نبي الله لأمر المؤمنين عليهما

وألهما السلام, وحصل ذلك في مناسبات كثيرة وعديدة أظهر من خلالها رسول الله ﷺ أحقية أمير المؤمنين ﷺ في الخلافة, ومن هذه المناسبات:

الأولى: حديث الميثاق: وهو في قوله تعالى: [أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ]، فقال الإمام الصادق ﷺ: [وإن هذا محمد رسولي، وعلي أمير المؤمنين خليفتي وأميني].

الثانية: حديث إنذار العشيرة الأقربين: وهو في قوله سبحانه: [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] عندما جمع رسول الله ﷺ عشيرته وقومه من بني عبد المطلب, وقال لهم: [يا بني عبد المطلب هذا أخي ووارثي ووصيي ووزيرني وخليفتي فيكم بعدي].

الثالثة: حديث الزواج: وهو قول جبرئيل لرسول الله في زواج علي من فاطمة عليهم سلام الله أجمعين: [يا محمد إن الله عز وجل اطلع إلى الأرض اطلاعة فاخترك من خلقه فانبعثك برسالته، ثم اطلع إلى الأرض ثانية فاختر لك منها أخاً ووزيراً].

الرابعة: حديث أم سلمة: وهي زوجة نبي الله ﷺ, وذلك أنها سمعت أن أحد موالها ينتقص علياً ﷺ ويسبهه, فحدثته بحديث رسول الله ﷺ قائلاً لها: [هذا علي بن أبي طالب أخي في الدنيا، وأخي في الآخرة، يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا، وحامل لوائي غداً في القيامة يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب وصيي

وخليفتي من بعدي، وقاضي عداوتي، والذائد عن حوضي، يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، قلت: يا رسول الله من الناكثون ؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينة وينكثون بالبصرة، قلت: من القاسطون ؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام، قلت: من المارقون ؟ قال: أصحاب النهروان]. فقال مولى أم سلمة: فرجت عني فرج الله عنك، والله لا سببت علياً أبداً.

الخامسة: حديث الصادقين: وهو في قوله عز من قال: [يوم ينفع الصادقين صدقهم] قال الإمام الباقر ؑ واصفاً الحساب: [فيقول الله: يا محمد هل بلغك جبرئيل ما أوحيت إليك وأرسلته به إليك من كتابي وحكمتي وعلمي ؟ وهل أوحى ذلك إليك ؟ فيقول رسول الله ؑ: نعم يا رب قد بلغني جبرئيل جميع ما أوحيته إليه وأرسلته به من كتابك وحكمتك وعلمك، وأوحاه إلي. فيقول الله لمحمد: هل بلغت أمتك ما بلغك جبرئيل من كتابي وحكمتي وعلمي ؟ فيقول رسول الله ؑ: نعم يا رب قد بلغت أمتي ما أوحيت إلي من كتابك وحكمتك وعلمك، وجاهدت في سبيلك. فيقول الله لمحمد: فمن يشهد لك بذلك ؟ فيقول محمد: يا رب أنت الشاهد لي بتبليغ الرسالة، وملائكتك، والأبرار من أمتي وكفى بك شهيداً، فيدعا بالملائكة فيشهدون لمحمد بتبليغ الرسالة. ثم يدعى بأمة محمد فيسألون: هل بلغكم

محمد رسالتي وكتابي وحكمتي وعلمي وعلمكم ذلك ؟ فيشهدون لمحمد بتبليغ الرسالة والحكمة والعلم. فيقول الله لمحمد: فهل استخلفت في أمتك من بعدك من يقوم فيهم بحكمتي وعلمي، ويفسر لهم كتابي، ويبين لهم ما يختلفون فيه من بعدك حجة لي وخليفة في الأرض ؟ فيقول محمد: نعم يا رب قد خلفت فيهم علي بن أبي طالب أخي ووزير ووصي وخير أمتي، ونصبته لهم علماً في حياتي، ودعوتهم إلى طاعته، وجعلته خليفتي في أمتي إماماً يقتدي به الأمة بعدي إلى يوم القيامة. فيدعي بعلي بن أبي طالب فيقال له: هل أوصى إليك محمد واستخلفك في أمته ونصبك علماً لأمته في حياته ؟ فهل قمت فيهم من بعده مقامه ؟ فيقول له علي: نعم يا رب قد أوصى إلي محمد وخلفني في أمته، ونصبني لهم علماً في حياته، فلما قبضت محمداً إليك جحدتني أمته، ومكروا بي واستضعفوني وكادوا يقتلونني، وقدموا قدامي من آخرت، وأخروا من قدمتي، ولم يسمعوا مني، ولم يطيعوا أمري، فقاتلتهم في سبيلك حتى قتلوني].

تحويل القبلة

خامس الأحداث والوقائع التي حصلت في المدينة المنورة؛ تحويل القبلة، حيث كان رسول الله ﷺ يصلي باتجاه بيت المقدس، فأمره الله سبحانه بأن يحول قبلته التي كان عليها إلى مكة، وذلك قوله تعالى: [قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ

الحُرَامُ. وكان ذلك في مسجد بني سالم بعد صلاة الظهر عندما زار رسول الله ﷺ أم بشر بن البراء بن معرور في بني سالم، فتغدى هو وأصحابه وجاءت صلاة الظهر، فصلى بأصحابه في مسجدهم الظهر ركعتين إلى بيت المقدس، ثم أتاه جبرئيل وأخذ بعضديه وحول وجهه إلى البيت الحرام في مكة وهو راکع في الركعة الثانية، فاستدار إلى الكعبة فدارت صفوف الجماعة خلفه، ثم أتم صلاة الظهر، فكانت صلاة واحدة قد صليت بقلبتين، فسمي مسجدهم بـ(مسجد القبلتين). والمروي أن بني عبد الأشهل قد صلوا صلاة واحدة إلى قبلتين، فسمي مسجدهم بـ(مسجد القبلتين)، وذلك قول أحدهما - إما الباقر أو الصادق - ﷺ: [إن بني عبد الأشهل أتوهم وهم في الصلاة قد صلوا ركعتين إلى بيت المقدس، فقبل لهم: إن نبيكم قد صرف إلى الكعبة فتحول النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة، فصلوا صلاة واحدة إلى قبلتين، فلذلك سمي مسجدهم مسجد القبلتين]. وفي هذا الأمر الإلهي بتحويل القبلة فيه سببان أو منشئان:

الأول: الاستهزاء والشماتة: أي أن نبي الله ﷺ قد استهزأ به وشتم به

بعض من لا دين لهم ولا عقيدة، وقد اختلف في الشامتين والمستهزئين:

اليهود: أي أن اليهود هم من قال لنبي الله ﷺ، وذلك من حيث أنهم كانوا يقولون له: "إنك تابع لقلبتنا"، فاغتم بذلك وحزن حزناً شديداً، فأخذ يقلب وجهه في السماء منتظراً صدور الإذن الإلهي بتغيير القبلة وتحويلها. وهذا مروى عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: [إن رسول الله ﷺ لما بعث كانت الصلاة

إلى قبلة بيت المقدس سنة - أي طريقة - بني إسرائيل وقد أخبرنا الله في كتابه بما قصه في ذكر موسى ﷺ أن يجعل بيته قبلة، وهو قوله: " وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوترك قبلة " وكان رسول الله ﷺ في أول مبعثه يصلي إلى بيت المقدس جميع أيام مقامه بمكة، وبعد هجرته إلى المدينة بأشهر، فغيرته اليهود وقالوا: إنك تابع لقبلتنا، فأحزن رسول الله ﷺ ذلك منهم، فأنزل الله تعالى عليه وهو يقبل وجهه في السماء وينتظر الأمر: " قد نرى تقلب وجهك " إلى قوله: " لنلا يكون للناس عليكم حجة " يعني اليهود في هذا الموضع، ثم أخبرنا الله عز وجل ما العلة التي من أجلها لم يحول قبلته من أول مبعثه، فقال تبارك وتعالى: " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم " فسمى سبحانه الصلاة ههنا إيماناً.

النصارى: أي أن النصارى من المسيحية هم من قال لرسول الله ﷺ، حيث أنهم كانوا يقولون له: " ما أمرت بهذا يا محمد، وإنما هو شيء تبتدعه من تلقاء نفسك مرة إلى هنا، ومرة إلى هنا ".

المشركون: أي أن مشركي العرب هم من قال لرسول الله ﷺ، حيث أنهم كانوا يقولون له: " يا محمد رغبت عن قبلة آبائك، ثم رجعت إليها فلترجعن إلى دينهم ".

المنافقون: أي أن المنافقين هم من قال لنبي الله ﷺ، حيث أنهم كانوا يقولون: "أننا لا نؤمن بالنسخ وتبديل الأحكام وتغييرها استهزاءً بالإسلام وتعاليمه".

الثاني: الامتحان والبلاء: أي أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يمتحن قلوب المسلمين ليعلم أيهم يتبع الرسول ويؤمن به فيما لو امتثل وتوجه إلى مكة، وأيهم لا يتبعه فينكره فيما لو عصى وبقي متوجهاً إلى القدس، وهذا السبب أو المنشأ مما ذكرته الآية التي قبل آية الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام، وهي قوله سبحانه: [وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ].

وسبب هذا الامتحان والاختبار هو ما كان عند العرب من حب كبير إلى مكة والمسجد الحرام، فأمرهم أولاً بالتوجه إلى بيت المقدس، لأن قبلة خليل الله إبراهيم عليه وعلى نبينا السلام كانت مكة، فأراد تعالى بذلك اختبارهم، ثم أمرهم بعد ذلك للرجوع إلى قبلتهم السابقة، وإن كان الأمر بالتحويل كبير وثقيل على المسلمين، إلا من هداه الله وشرح قلبه بالإيمان تلقى التعاليم الإسلامية خير تلقى.

ثم أن جماعة من المسلمين، كما في بني النجار حيث مات سيدهم أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، فسألوا نبي الله ﷺ، قالوا: "صلاتنا إلى بيت المقدس تضيع يا رسول الله؟". فأجابهم القرآن الكريم بـ(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ).

أي أن صلاتكم التي صليتموها سابقاً ما كان الله تعالى ليضيعها ولم يحسبها، بل الله تعالى لا يضيع أجر العاملين فضلاً عن الصلاة التي هي بمنزلة إيمان الفرد ودينه، فإن قُبلت قُبل ما سواها، وإن رُدت رُدت ما سواها، وغيرها من الآثار التي تترتب على الصلاة.

ويحتمل أن يكون المراد من قوله سبحانه المتقدم — وما كان الله ليضيع إيمانكم —؛ أن تحويل القبلة جاء استحقاقاً لما مر به المسلمون من صعوبات ومشقات، فكانوا أهلاً ليجزيهم الله تعالى على ذلك أجراً حسناً بأن يخفف من عنائهم وتعبهم بأن يتوجهوا في صلاتهم إلى قبلتهم السابقة التي طالما كانوا يتمنون التوجه إليها، فجاء هذا الأمر الإلهي موافقاً لما يرغبون الله، والله تعالى لديه المزيد من النعم التي لا تحصى، والآلاء التي تستقصى، تبارك وتعالى بيده كل شيء، وهو على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

وكيف كان فإن علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بتحويل القبلة، وذلك لأنه كان في بشارة الأنبياء الذين سبقوا نبينا عليهم و□ أنه يكون نبي من صفاته كذا وكذا، وكان في صفاته أن يصلي إلى القبليتين؛ "المقدس، مكة"، ولكن على الرغم من ذلك أنهم جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم لما تقدم من إنكارهم واستهزائهم وتشتمهم برسول الله □.

الحروب والغزوات

سادس الأحداث والوقائع التي حصلت في المدينة المنورة؛ الحروب والغزوات، حيث كان رسول الله ﷺ في مكة لم يؤمر بالجهاد ومقاتلة المشركين، ولكن بعد هجرته من مكة إلى المدينة المنورة جاء الأمر والإذن الإلهي بالجهاد في سبيل الله تعالى، وذلك قوله سبحانه: [أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ]. ولكن قبل هذا الإذن الإلهي كان رسول الله ﷺ يبعث السرايا إلى الطرقات التي تدخل مكة لتتعرض لغير قريش من طعام أو حيوان، والمروى أنه بعث (36) سرية، وحارب أو غزا (80) غزوة، وقاتل عليه الصلاة والسلام في تسع غزوات؛ " بدر، أحد، الخندق، بنو قريظة، المصطلق، خيبر، الفتح، حنين، الطائف ". وسوف نقتصر على ذكر بعض السرايا، ومنها:

أولاً: سرية حمزة: وهو عم النبي ﷺ وسيد الشهداء، حيث بعثه في ثلاثين مقاتلاً من المهاجرين ليس فيهم أحد من الأنصار، وكان أول لواء عقده أو راية عقدها نبي الله صلى ﷺ، فساروا حتى بلغوا سيف البحر من أرض جهينة، فلقوا أبا جهل بن هشام في ثلاثين ومائة راكباً من المشركين، فحجز بينهم مجدي ابن عمرو الجهني، فرجع الفريقان، ولم يكن بينهما قتال. وفي ذلك قال حمزة شعراً، ومنه:

بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ أَوَّلُ خَافِقٍ

عَلَيْهِ لَوَاءٌ لَمْ يَكُنْ لَاحَ مِنْ قَبْلِي

لَوَاءٌ لَدَيْهِ النَّصْرُ مِنْ ذِي كَرَامَةٍ

إِلَهُ عَزِيزٍ فِعْلُهُ أَفْضَلُ الْفِعْلِ

فأجابه أبو جهل قائلاً:

عَجِبْتُ لِأَسْبَابِ الْحَقِيقَةِ وَالْجَهْلِ

وَلِلشَّاعِبِينَ بِالْخِلَافِ وَبِالْبُطْلِ

وَلِلتَّارِكِينَ مَا وَجَدْنَا جُدُونَا

عَلَيْهِ ذَوِي الْأَحْسَابِ وَالسَّوْدُودِ الْجَزَلِ

ثانياً: سرية عبيدة بن الحارث: وهو ابن عم النبي ﷺ، حيث بعثه في ستين راكباً من المهاجرين ليس فيهم أحد من الأنصار - وقبل ذلك غزوة الأبواء أو غزوة ودان -، فالتقى هو والمشركون على ماء يقال له: "أحيا"، وكانت بينهم الرماية، وعلى المشركين أبو سفيان بن حرب.

ثالثاً: سرية عبد الله بن جحش: وهو ابن عمه النبي ﷺ، حيث بعثه رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه ليرصد قريشاً، فانتهى إلى نخلة وهي بستان بني عامر، فأقبلت من جهة الطائف غير من قريش عليها الزبيب والادم والطعام فوافوها، وقد نزلت العير وفيهم عمرو بن الجموح الحضرمي.

وقد اختلف أصحاب عبد الله بن جحش في تاريخ هذه الغزوة؛ فقال البعض: "هذه غرة من عدو وغنم رزقتموه فلا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا؟"، أي لا نعلم بأنه آخر جمادى الآخر أو أول رجب. وقال البعض الآخر: "لا نعلم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام، ولا نرى أن تستحلوه لطمع أشفيتم عليه"، أي أن هذا اليوم من شهر رجب، وهو من الأشهر الحرم الأربعة - محرم، ذو القعدة، ذو الحجة، رجب - التي يحرم فيها القتال. فغلب على

الأمر الذين يريدون عرض الحياة الدنيا، فشدوا على ابن الحضرمي فقتله؛ " واقد بن عبد الله التميمي "، فغنم المسلمون غنمه، وأسروا أسيرين من المشركين، وسميت هذه الغزوة بـ(غزوة النخلة).

فبلغ ذلك كفار قريش، وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المشركين والمسلمين، فركب وفد كفار قريش حتى قدموا على النبي ﷺ، فقالوا: أيحل القتال في الشهر الحرام؟ فأنزل الله هذه الآية: [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ]. فحكم نبي الله تعالى بدفع الدية إلى أهل المقتول وفدى الأسيرين، وقال للمسلمين: [والله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام].

ثم أن المستفاد من الروايات أن رسول الله ﷺ كان يعلم ويربي ويؤدب سراياه المجاهدة في سبيل الله تعالى ليكون عملهم مرضياً عند الله سبحانه أولاً، وليكونوا النواة الحقيقية التي يقتدى بها، والنموذج الأمثل للسرايا المجاهدة كافة وعلى مر التاريخ، ومن تلك الوصايا ما ورد عن إمامنا الصادق عيه السلام في موضعين:

الأول: قال ﷺ: [إن النبي ﷺ كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه، ثم في أصحابه عامة، ثم يقول: اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله تعالى، قاتلوا من كفر بالله، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، ولا متبتلاً في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً، لأنكم لا تدرن

لعلكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم مما يؤكل لحمه إلا ما لا بد لكم من أكله..]

الثاني: قال ﷺ: [كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول: " سيروا بسم الله وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله ﷺ، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها].

صلح الحديبية

سابع الأحداث والوقائع التي حصلت في المدينة المنورة؛ صلح الحديبية، حيث أن رسول الله ﷺ لما خرج هو وأصحابه في العام الذي أرادوا فيه العمرة وهو العام السادس من الهجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، فساروا حتى نزلوا الحديبية، وهي قرية قريبة عن مكة، وقد سميت باسم بئر فيها، وكانت بئراً معطلة لا ماء فيها لولا المعجزة التي جرت على يدي نبي الله ﷺ، فصدهم المشركون عن البيت الحرام وحصل الصلح بينهم، وكان نبي الله ﷺ قد ساق معه سبعين بدنة، فلما منعهم مشركوا قريش الدخول إلى المسجد الحرام نحر هذه البدن في الحديبية وأمر بخلق الرؤوس أو تقصيرها، ولكن جماعة من الصحابة أنكروا الصلح والذبح والحلق، ثم أظهروا الندامة بعد ذلك، فحصلت بيعة الرضوان تحت الشجرة، وذلك قوله سبحانه: [لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ].

من هنا لابد من الإشارة إلى النقاط الآتية المتعلقة بصلح الحديبية:

النقطة الأولى: إن رسول الله صلى عليه وآله عندما وصل الحديبية قد وصله خبر مشركي قريش وإعدادهم العدة من أجل القتال، وذلك عن طريقين:

الطريق الأول: عن طريق المخبر السري الذي بعثه، وكان من خزاعة، وقال له: "إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي قد جمعوا لك الاحابيش وجمعوا لك جمعوا وهم قاتلوك أو مقاتلوك وصادوك عن البيت". فأجابه رسول الله ﷺ: [روحا].

أي واصلوا المسير والتقدم نحو مكة، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال نبي الله عليه الصلاة والسلام: [إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل قريش طليعة فخذوا ذات اليمين]، أي اسلكوا طريقاً مغايراً لطريق خالد بن الوليد قبل إسلامه، حينما بعثته قريش بـ (200) فارس ليقاتل رسول الله ﷺ، فكان يعارضه على الجبال، فلما كان في بعض الطريق حضرت صلاة الظهر فأذن بلال وصلى رسول الله ﷺ بالناس، فقال خالد بن الوليد: "لو كنا حملنا عليهم في الصلاة لأصبناهم، فإنهم لا يقطعون صلاتهم، ولكن يجيئ لهم الآن صلاة أخرى أحب إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا في الصلاة أغرنا عليهم".

فنزل جبرئيل ﷺ على رسول الله ﷺ بصلاة الخوف في قوله: [وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ

وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً].

ثم استقر الجيش النبوي بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، فشكى الصحابة إلى نبي الله العطش، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه في الماء، فجرى الماء في البئر، وفي رواية أنه عليه الصلاة والسلام أمر بماء فتوضأ فيه ثم مسح فيه ثم وضعه في البئر، فإذا بالماء يتفجر بين أصعابه عليه الصلاة والسلام، وهذه هي المعجزة التي أرادها تبارك وتعالى تأييداً لرسوله عليه الصلاة والسلام.

الطريق الثاني: عن طريق جماعة من خزاعة وكانوا من الناصحين، فقالوا له مثل ما قال الخزاعي قبلهم، فأجابهم رسول الله ﷺ: [إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضررت بهم، فإن شأؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، وإن شأؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذن الله تعالى أمره]. فقال بديل بن ورقاء الخزاعي: " سأبلغهم ما تقول ".

النقطة الثانية: أن قريشاً بعثت عدة أشخاص لمحاوره رسول الله عليه وآله، ومنهم؛ " عروة بن مسعود الثقفي، رجل من كنانة، سهيل بن عمرو؛ أما عروة بن مسعود الثقفي فكان رجلاً عظيماً عند قريش، وفيه نزل قوله تعالى: [وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ].

فدار بينه وبين رسول الله عليه الصلاة والسلام مثل ما دار بينه وبين خزاعة، ولما رجع إلى قريش قال لهم: "أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها".

وأما الرجل من خزاعة، فعندما رآه نبي الله ﷺ قال: [هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها] فبعثت له، واستقبله القوم يلبنون؛ "ليبك اللهم ليبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك ليبيك"، فلما رأى ذلك قال: "سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت".

وأما سهيل بن عمرو فهو الرجل الذي وقع بينه وبين رسول الله عليه وآله الصلح، فقال سهيل: "اكتب بيننا وبينك كتاباً"، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، فقال له: [اكتب بسم الله الرحمن الرحيم].

فقال سهيل: "أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم"، فقال النبي ﷺ: [اكتب باسمك اللهم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ].

فقال سهيل: "لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله"، فقال النبي ﷺ: [إني لرسول الله وإن كذبتُموني] ثم قال لعلي ﷺ: [امح رسول الله] فقال علي ﷺ: [يا رسول الله إن

ييدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة أبداً], فأخذه رسول الله ﷺ فمحاها، ثم قال: [أكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله]. فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح.

النقطة الثالثة: أن فقرات وبنود الصلح يمكن تقريرها وفقاً لما يلي:

1. أن تتوقف الحروب بين المسلمين وقريش لمدة (10) سنين.
2. أنه من قدم مكة من أصحاب رسول الله ﷺ حاجاً أو معتمراً أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو الشام فهو آمن على دمه وماله.
3. من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.
4. من جاء إلى قريش من المسلمين كافراً فلا يردوه، ومن جاء من قريش كافراً يريد الإسلام ردوه إلى قريش، وذلك قوله عليه الصلاة والسلام: [من جاءهم منا فأبعده الله، ومن جاءنا منهم رددناه إليهم، فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً]. على رسول الله ﷺ أن يرجع إلى المدينة ولا يعتمر في هذا العام، ويعتمر في العام القادم، وعلى مشركي قريش الخروج من مكة، فيدخلها نبي الله ﷺ بأصحابه ويقيم (3) أيام، وأن يدخلها بالسلاح إلا السيوف في القرب وسلاح الراكب.

النقطة الرابعة: إن هناك جماعة من المسلمين شككوا في كتاب الصلح

المتقدم وفقراته، ومنهم الخليفة الثاني - كما هو ديدنه - فقال: " والله ما

شككت منذ أسلمت إلا يومئذ فأتيثُ النبي ﷺ فقلت: " أأست نبي الله ؟ " ؟
قال: [بلى]، قلت: أولسنا بالمسلمين ؟ قال: [بلى]، قلت: أوليسوا بالمشركين ؟
قال: [بلى] قلت: فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قلت: [أنا عبد الله ورسوله
لن أخالف أمره ولن يضيعني وهو ناصري]. قلت: " أولست تحدثنا أنا سنأتي
البيت و نطوف حقاً ؟ قال: [بلى، أفأخبرتكم أنا نأتيه العام ؟] قلت: " لا "،
قال: [فإنك تأتيه وتطوف به].

ثم قلت بعد ذلك: " لو كان معي أربعون رجلاً لخالفته "، وبعدها قال:
" ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي واعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي
الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً ".

هذا وأن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد أخبر أصحابه قبل التوجه
إلى العمرة برؤيا قد رآها أنه يدخل المسجد الحرام، وهذا قوله سبحانه: [لَقَدْ
صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ
مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ
فَتْحاً قَرِيباً].

النقطة الخامسة: إن جماعة من الصحابة لما أكثروا على رسول الله ﷺ
الإنكار والمعارضة في الصلح قال لهم: [إن لم تقبلوا الصلح فحاربوهم]، فمروا
نحو قريش وهم مستعدون للحرب وحملوا عليهم، فانهزم الأصحاب هزيمة قبيحة،
ومروا برسول الله ﷺ فتبسم نبي الله عليه الصلاة والسلام، ثم قال: [يا علي خذ
السيف واستقبل قريشاً].

فأخذ أمير المؤمنين ﷺ سيفه وحمل على قريش، فلما نظروا إلى أمير المؤمنين ﷺ تراجعوا، وقالوا: "يا علي بدأ محمد فيما أعطانا؟" قال ﷺ: [لا]، فرجع الأصحاب مستحيين وأقبلوا يعتذرون، فقال لهم رسول الله ﷺ: [ألستم أصحابي يوم بدر إذ أنزل الله فيكم: "إذ تستغيثون ربكم فاستجاب، لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين"، ألستم أصحابي يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم؟ ألستم أصحابي يوم كذا؟ ألستم أصحابي يوم كذا؟] فقالوا: "الله أعلم ورسوله، فاصنع ما بدالك".

النقطة السادسة: إن أمير المؤمنين ﷺ عندما قال لرسول الله ﷺ عليهما الصلاة والسلام: [يا رسول الله إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة أبداً]، أجابه نبي الله ﷺ: [يا علي إنك أبيت أن تمحو اسمي من النبوة، فوالذي بعثني بالحق نبيا لتجيبن أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد]. وكان هذا الإخبار فيه نحو من الإخبار الغيبي الصادق، فلما كان يوم صفين، وهو يوم الحرب التي حارب فيها أمير المؤمنين ﷺ القاسطين الذين حكموا القرآن، وهم أصحاب معاوية بن أبي سفيان لعنهم الله، فحينما رضوا بالتحكيم كتب أمير المؤمنين ﷺ: [هذا ما اصطلاح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان]، فقال عمرو بن العاص: "لو علمنا أنك أمير المؤمنين ما حاربناك، ولكن اكتب هذا ما اصطلاح عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن

أبي سفيان "، فقال أمير المؤمنين □: [صدق الله وصدق رسوله □، أخبرني رسول الله □ بذلك] ثم كتب □ الكتاب.

المحور الرابع: استشهاده عليه وآله السلام:

إن المروي من مجموع عمر رسول الله □ الشريف (63) سنة، أقام منها بمكة (53) سنة، وهاجر إلى المدينة وأقام بها (10) سنين، وكانت وفاته في (28) من صفر. والرواية عن ابن عباس قال: دخل أبو سفيان على النبي □ يوماً فقال: يا رسول الله أريد أن أسألك عن شيء، فقال □: [إن شئت أخبرتك قبل أن تسألني]، قال: افعل، قال عليه الصلاة والسلام: [أردت أن تسأل عن مبلغ عمري]، فقال: نعم يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: [إني أعيش ثلاثاً وستين سنة]، فقال أشهد أنك صادق، فقال عليه الصلاة والسلام: [بلسانك دون قلبك].

ثم أن هناك مواطن للخلاف بين المسلمين حصلت في أيام قتل النبي □، ومنها مواطن ثلاثة:

الموطن الأول: سبب الموت أو القتل:

قال تعالى: [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ]. فلا خلاف أن سبب موت النبي □ هو السم، ولكن

هناك خلاف فيمن قدم السم إلى النبي ﷺ، فهناك ثلاث روايات مرويات عن الإمام الصادق ﷺ تبين فيمن قدم السم:

أولها: قوله ﷺ: [سُم رسول الله يوم خير فتكلم اللحم فقال: يا رسول الله إني مسموم، قال: فقال النبي عند موته: اليوم قطعت مطاياي الأكلة التي أكلتُ بخير، وما من نبي ولا وصي إلا شهيداً]. ولم تبين هذه الرواية من قدم السم إليه.

وثانيها: قوله ﷺ: [سمت اليهودية النبي في ذراع]، قال: [وكان رسول الله ﷺ يحب الذراع والكتف، ويكره الورك لقربها من المبال]، قال: [لما أتني بالشواء أكل من الذراع وكان يحبها، فأكل ما شاء الله ثم قال الذراع: يا رسول الله إني مسموم فتركه، وما زال ينتفض به سمه حتى مات ﷺ]. وقد بينت هذه الرواية أن تلك اليهودية من قدمت السم.

وثالثها: قوله ﷺ: [تدرون مات النبي أو قتل إن الله يقول: " أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم " فسم قبل الموت إنهما سقتاه]، فقلنا: إنهما وأبوهما شر من خلق الله. وقد بينت هذه الرواية إجمالاً من قدم السم وهو كونهما من النساء، وبقرينة (إنهما وأبوهما شر من خلق الله) يُعلم أن هاتين المرأتين من نساء النبي وإحدى زوجاته. ويحتمل أيضاً كما احتمله صاحب البحار المجلسي (قدس) بمقتضى الجمع بين هذه الروايات أن الجميع اشترك في سم النبي، سواء اليهودية أم إحدى زوجاته من حيث أن أول من قدم السم هو اليهودية، وبعد فترة من الزمن قد تكون ثلاث سنين تقريباً — كما في بعض

المصادر - دُسم السم إلى النبي ﷺ من داخل بيته عن طريق إحدى زوجاته، والله أعلم بحقائق الأمور.

الموطن الثاني: تغسيله والصلاة عليه ودفنه:

قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا]، فالمروي أن أمير المؤمنين ﷺ لما أراد غسل الرسول ﷺ استدعى الفضل ابن العباس، فأمره أن يناوله الماء لغسله بعد أن عصب عينه، - وذلك لأمر النبي ﷺ إياه بأن لا ينظر إلى عورته أحد غير أمير المؤمنين ﷺ، لأن من ينظر إلى عورته تنفتق عيناه - ثم شق قميصه من قبل حبيبه حتى بلغ به إلى سترته، وتولى غسله وتحنيطه وتكفينه. والفضل يعاطيه الماء، ويعينه عليه، فلما فرغ من غسله وتجهيزه تقدم أمير المؤمنين ﷺ فصلى عليه وحده ولم يشركه معه أحد في الصلاة عليه. وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمهم في الصلاة على النبي ﷺ - الخلاف الأول -، وأين يدفن - الخلاف الثاني -، فخرج إليهم أمير المؤمنين ﷺ وقال لهم: [إن رسول الله ﷺ إمامنا حياً وميتاً، فيدخل عليه فوج بعد فوج منكم فيصلون عليه بغير إمام وينصرفون، وإن الله تعالى لم يقبض نبياً في مكان إلا وقد ارتضاه لرمسه فيه، وإني لدفنه في حجرته التي قبض فيها]، فسلم القوم لذلك ورضوا به، ولما صلى المسلمون عليه أنفذ العباس بن عبد المطلب برجل إلى أبي عبيدة بن الجراح، وكان يحفر لأهل مكة ويضرح، وكان ذلك عادة أهل مكة، وأنفذ إلى زيد بن سهل وكان

يحفّر لأهل المدينة ويلحد فاستدعاهما، وقال: اللهم خر لنبيك، فوجد أبو طلحة زيد بن سهل وقيل له: احفر لرسول الله ﷺ فحفر له لحداً. ودخل أمير المؤمنين ﷺ والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد ليتولوا دفن رسول الله ﷺ، فنادت الأنصار من وراء البيت: يا علي إنا نذكرك الله وحقنا اليوم من رسول الله ﷺ أن يذهب أدخل منا رجلاً يكون لنا به حظ من مواراة رسول الله ﷺ، - هذا الخلاف الثالث - فقال: [ليدخل أوس بن خولي]، وكان بدرياً فاضلاً من بني عوف من الخزرج، فلما دخل قال له علي ﷺ: [انزل القبر]، فنزل ووضع أمير المؤمنين رسول الله ﷺ على يديه ودلاه في حفرتة، فلما حصل في الأرض قال له: [اخرج]، فخرج، ونزل علي ﷺ القبر فكشف عن وجه رسول الله ﷺ ووضع خده على الأرض موجهاً إلى القبلة على يمينه، ثم وضع عليه اللبن وأمال عليه التراب.

الموطن الثالث: الخليفة والوصي من بعده:

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ]. فالمروي أن القوم اغتتموا فرصة انشغال أمير المؤمنين ﷺ برسول الله ﷺ وانقطع بني هاشم عنهم بمصاحمهم برسول الله ﷺ، فتبادروا إلى ولاية الأمر، واتفق لأبي بكر ما اتفق، لاختلاف الأنصار فيما بينهم، وكراهية الطلقاء والمؤلفة قلوبهم من تأخر الأمر حتى يفرغ بنو هاشم فيستقر الأمر مقره، فبايعوا أبا بكر

لحضوره المكان وكونه أكبر الصحابة سناً، فلما تم لأبي بكر ما تم وبايعه من بايع جاء رجل إلى أمير المؤمنين ﷺ وهو يسوي قبر رسول الله ﷺ بمسحاة في يده، فقال له: إن القوم قد بايعوا أبا بكر ووقعت الخذلة للأنصار لاختلافهم، وبدر الطلقاء بالعقد للرجل خوفاً من إدراككم الأمر، فوضع أمير المؤمنين ﷺ طرف المسحاة على الأرض ويده عليها ثم قال: [بسم الله الرحمن الرحيم ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * أم حسب الذين عملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون]. وقد كان أن جاء أبو سفيان إلى باب رسول الله ﷺ وعلي ﷺ والعباس متوفران على النظر في أمره، فنادى:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم

ولا سيما تيم بن مرة أو عدي

فما الأمر إلا فيكم وإليكم

وليس لها إلا أبو حسن علي

أبا حسن فاشدد بها كف حازم

فإنك بالأمر الذي تبتغي ملي

ثم نادى بأعلى صوته: يا بني هاشم يا بني عبد مناف، أراضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل الرذل بن الرذل، أما والله لو شئتم لأملأنهما عليهم خيلاً ورجلاً، فناداه أمير المؤمنين ﷺ: [ارجع يا أبا سفيان فوالله ما تريد الله بما تقول،

وما زلت تكيد الإسلام وأهله، ونحن مشاغيل برسول الله ﷺ، وعلى كل امرئ ما اكتسب وهو ولي ما احتقب].

ومقصود أبي سفيان هو ولاية وخلافة أول الخلفاء، واسمه عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة، وقيل عتيق، وقيل عبد رب الكعبة، وقيل عبد اللات ويسمى بأبي الفصيل من فصيل الناقة يعني ابنها، وأبي بكر من البكر العذراء، وكان في الجاهلية يعمل أجيراً عند اليهود ليعلم صبيانهم، وكانت العرب تعيب هذا العمل وتعدّه نقصاً وضعفاً، وفي الإسلام عمل خياطاً، والعجيب أن العامة تروي أن الله قد أغنى محمداً بأموال أبي بكر؟! وأما أبوه فهو أبو قحافة عندما سمع بخبر خلافة ابنه على المسلمين قال: هل رضي بذلك بنو هاشم؟ قالوا: نعم. قال: لماذا، قالوا: لأنه أكبر الصحابة سنّاً. فقال: والله أنا أكبر منه. كما أن العجب كل العجب في لقب الصديق الذي يطلقونه عليه ويقصدون منه تصديقه برسول الله ﷺ، وكذا في تلقيب عمر بالفاروق، والحال أن المروي في طرقنا الصحيحة أن سبب التسمية يرجع إلى أنه صدق برسول الله ﷺ كونه ساحراً والعياذ بالله لا كونه رسولاً صادقاً ومصدقاً، فعن خالد بن نجيح قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: جعلت فداك سمى رسول الله أبا بكر الصديق؟ قال: [نعم]، قال: فكيف؟ قال: [حين كان معه في الغار قال رسول الله ﷺ: إني لأرى سفينة جعفر بن أبي طالب تضطرب في البحر ضالة، قال: يا رسول الله وإنك لترأها؟ قال: نعم، قال: فتقدر أن ترينها؟ قال: ادن مني قال: فدنا منه فمسح على عينيه، ثم قال: انظر، فنظر أبو بكر فرأى السفينة

وهي تضطرب في البحر، ثم نظر إلى قصور أهل المدينة فقال في نفسه: الآن صدقت أنك ساحر، فقال رسول الله ﷺ: الصديق أنت !]. ولهذا الحديث تنمة تأتي في حديث الغار.

بل الصديق الأكبر والفاروق بين الحق والباطل هو خصوص مولانا ومولى المؤمنين والمؤمنات علي بن أبي طالب ؑ، قال رسول الله ﷺ: [إن أمتي عرضت علي في الميثاق، فكان أول من آمن بي علي، وهو أول من صدقني حين بعثت، وهو الصديق الأكبر، والفاروق يفرق بين الحق والباطل]، وقال ؑ في موضع آخر: [لئن شككتكم أنتم فيه فقد تيقنته أنا وصاحبي الكائن معي في أشرف المحال من عرش الملك الجبار، والمطوف به معي في أنهار الحيوان من دار القرار، والذي هو تلوي في قيادة الأخيار، والمتردد معي في الأصلاب الزاكيات المتقلب معي في الأرحام الطاهرات، الراكض معي في مسالك الفضل، والذي كسي ما كسيته من العلم والحلم والعقل، وشقيقي الذي انفصل مني عند الخروج إلى صلب عبد الله وصلب أبي طالب، وعديلي في اقتناء المحامد والمناقب علي بن أبي طالب، آمنت به أنا والصديق الأكبر، وساقلي أوليائي من نهر الكوثر، آمنت به أنا والفاروق الأعظم، وناصر أوليائي السيد الأكرم، آمنت به أنا ومن جعله الله محنة لأولاد الغي والرشدة].

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وآله
الطيبين الطاهرين